موسوعة
تاريخ العراق بين احتلالين

الحكومات التركمانية

٨١٤ هـ - ١٤١١ م

٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م

تأليف المؤرخ الكبير

عباس العزاوي المحامي

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات



موسوعة

تاريخ العراق بين احتلالين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موسوعة
تاريخ العراق بين احتلالين

الحكومات التركمانية
٨١٤ هـ - ١٤١١ م
٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م

تأليف المؤرخ الكبير
عباس العزاوي المحامي

المجلد الثالث

الدار العربية للموسوعات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه.

(وبعد) إذا كان محاكاة الحوادث والأوضاع عيناً وحرفياً شأن القرود، فيها تعطيل للدماغ، وانقياد أعمى، وتفقد فعالية الفكرة، وتهمل الرأي على حد (المقلد أعمى وإن كان بصيراً).. فإن الاختيار وحسن الانتقاء يربي السجايا، ويحرك الشعور، ويسوق إلى التدبر والتأمل، ويقوي العقل ويمرنه.. والتاريخ بوجه عام كفيل بتحقيق هذا الغرض، وفي تاريخ القطر خاصة تدريب لمعرفة حياة المجتمع وسيرته، وما أحدث من تقلبات، أو ترك من آثار، أو اعتور من وقائع...

والعراق من أهم الأقطار في كافة حالاته، وتعاقب عصوره لما تنوع فيه من حوادث... وفي صفحاته هذه... كشف عن مألوفه، وعرض لما جرى أيام (التركمان) حتى بدو العهد العثماني.. ولما كان الصق بنا فالانتفاع به أولى، والاستفادة منه أكبر للدواعي الكثيرة في التلقف والأخذ... والوثائق المشعرة بتلك الأوضاع على ندرتها تشير إلى ما هنالك، وفيها كفاية لتفهم الحالة وتطوراتها ووفاء بتعيين المجرى... ولا يعنينا أمر الغرائب، ولا إيراد المؤنس اللاذ، وإنما

نتناول ما وقع خلال المدة، وفيها من الحوادث ضروب ينجلي فيها الغامض، وكلها تدعو للاستبصار والتنبه لما تعاقب من كوارث أو ألمَّ من نكبات، أو عرض من هدوء وطمأنينة... مما وصل إلينا خبره، أو تيسرت معرفته...

ولا نقصد هنا أن نأسف للغابر، ولا نتوجع للنوائب أو نكثر البكاء والعويل على ما جرى من مضاضة... وإنما نحاول أن نقف على الحالة، ونستظهر علاقتنا وننتفع من نتائجها مهما كانت قاسية، فليس بعد العلم مستعتب، ولا تعذر أمة بجهل... وقد قيل:

من لم تفده عبراً أيامه

كان العمى أولى به من الهدى

ونرى في هذه المراجعات التاريخية تعويداً للأمة في تقوية شعورها، وتنظيماً لحياتها الحرة، تقرأ في سطور الأنباء ما يؤدي بها حتماً إلى ما تتطلبه من أغراض اجتماعية، وما ترغب في تعيينه من خطط نافعة... وفي هذه الحالة لا نريد أن نأبه لما شاع بين ظهرانينا من تلقيات وتلقينات من شأنها أن تثبط العزم، وتسدل الستار على الماضي... فالتاريخ خلاصة ارتباط مكين لحاضرنا بماضينا، فلا ينبغي أن يؤدي بنا قصر النظر إلى الوقوف عند حالات العصر الحاضر مما لا يأتلف والمعرفة الحقة... إذ لم تهمل أمة تاريخها بوجه، والانتباه الصحيح إنما يأتي من طريقه وحوادث قطرنا أقرب إلى تفهمنا، وخير معين لمعرفة النظام والإدارة المستقرة، أو الثورات والزعازع... ومنها ندرك إدارة الحكومات في شدتها وقسوتها، أو لينها وإغضائها....

وهكذا نشاهد المجرى، وتتجلى لنا النفسيات الاجتماعية والفردية، وفيها من التهالك في سبيل الحرص ضروب، ومن المغامرات تحقيقاً للأماني والأحلام أنواع... والأوضاع من جراء ذلك مضطربة

في حالتي الخمول والنشاط، أو الشر والخير... ومنها نتبصر السياسة العامة، وتنكشف خبايا القطر ووقائعه والثقافة فيه، أو الحياة الاجتماعية...

هذا. وأسأل الله العون فيما قصدت.

المراجع

ما زلنا ولا نزال نشكو من قلة المدونات، ونعد التفصيلات ناقصة، والوقائع مبعثرة، ونود بتلهف أن نقف على ما يصر أكثر فنلتمس ما يجلو الغامض، فلم نظفر إلا بالإجمال... وقد مر من المراجع السابقة ما يمتد إلى هذه الأيام، وبينها المعاصر أو القريب منه...

وقد عثرنا على مراجع أخرى جديدة لم يسبق نشرها والكثير منها مما يتعلق بهذا العهد إلا أن المدونات الخاصة بالعراق تكاد تكون مفقودة، أو مجهولة الخبر ومندثرة الأثر، أو مهملة في بطون خزائن الكتب، فهي محدودة الفائدة... ولكن الحصول على المدونات المعاصرة لهذه الفترة مما خفف نوعاً وألقى بعض البصيص من النور على ظلام بعض الحوادث...

كان العراق في هذه الأيام قد شغل بنفسه، وألهاه أمره أن يلتفت إلى تدوين الحوادث بصورة متتابعة، أو دونت ففقدت... والمؤرخون في الخارج لم يثبتوا في غالب الأحيان إلا القليل إما لاعتباره مجاوراً، أو قريباً مما ساعد على الكشف عن بعض المهمات... وعلى كل لا نقول إننا استكملنا العدة، فلا يزال الأمر في حاجة إلى التتبع، ولا تزال الوثائق الجديدة تظهر كل يوم، والأمل غير مقطوع... وهذه بضاعتنا، وجملة وثائقنا نذكر المهم منها مما حصلنا عليه أثناء السياحة، أو في وطننا المحبوب... وإليك أيها القارىء وصفها:

١ ـ مجموعة تواريخ التركمان:

وهذه تتعلق بأولاد دلغادر[١]، وسائر إمارات التركمان، وتبتدي حوادثها من سنة ٧٠٠ هـ ـ ١٣٠٠ م إلى سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م جمعها مؤلفها من تاريخ عقد الجمان، ومن إنباء الغمر في أبناء العمر وغيرهما. وكان سبب جمع هذه الوقائع يعقوب شاه المهمندار، جمعها له أبو الفضل محمد بن بهادر المومني الشافعي المتوفى سنة ٨٧٥ هـ، وهو تلميذ ابن حجر. قال ومن هذه السنة ذيل الأمير يوسف ابن الأمير الكبير تغري بردي مدة (٢٥) سنة أعانه الله على ذلك... إلا أن المؤلف لم يتمكن من إلحاق ما ذكر... كتبت باللغة العربية في ١٠٦ ورقات ثم ذكر فيها كتاب (تاريخ يشبك) أمير من أمراء مصر، كان نائب الشام ثم تسلطن في مصر، وبعده نرى ملخصاً في (تاريخ تيمور) منقولاً من ابن حجر.

وهذه المجموعة بحذافيرها مهمة جداً لموضوعنا، وفيها بيان علاقات التركمان بالمجاورين، فتعرض لوقائع البارانية والبايندرية وسائر أمراء الترك المعاصرين بتفصيل، فلم تقف عند دولة دلغادر... والمؤلف لم يذكر اسمه في أول المجموعة، وإنما عرف من خلال سطورها، ولم ينقل من أحد عيناً، وإنما لخص وجمع، فهي تأليف في الحقيقة... وخير أثر لمعرفة العلاقات الدولية في عصرها... ولا تخلو من التعرض للوقائع الخاصة...

٢ ـ ديار بكرية:

من المراجع النادرة، والمعاصرة، كان يظن أنها مفقودة، وهي في تاريخ دولة البايندرية (آق قوينلو) في ديار بكر. أولها «تبارك الذي بيده

---

(١) سماها القرماني في كتابه أخبار الدول (الدولة الغادرية)، وجدها المسماة به (ذو الغادر) وفي تواريخ الترك تدعى (ذو القدرية).

الملك وهو على كل شيء قدير، حمدي كه آشعهٔ شوارق جمالش منازع رباع أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم منور سازد... الخ» ا هـ. من تأليف أبي بكر الطهراني الأصفهاني كتبت باللغة الإيرانية. قال في مقدمتها إنه عاقته عوائق كثيرة وكانت آماله تغيرها الأحوال النفسية حتى صادف الوقت المرهون أيام أبي النصر والظفر، غياث السلطنة... بريد حسناً الطويل...

وهذا الكتاب سماه مؤلفه بـ(ديار بكرية) وحروفها تعين تاريخ تأليفها وهو سنة ٨٧٥ هـ ـ ١٤٧٠ م، وأفاد أنه كان مشغولاً في التدريس، وفي مجالس عديدة، وله تلامذة، ولكنه انصرف لتأليف هذا الكتاب وتخلص له.

كان قد بقي اسم السلطان خالياً لأجل إملائه بمداد أحمر فلم يتيسر ولكن مطاوي الكتاب تدل على ذلك، وقد ذكر المؤرخون أنه كتب تاريخاً لأيام السلطان المشار إليه، فلم نشك في اسم الملك، وعدد أسماء آبائه وأجداده، مما يجعل الأمر واضحاً.

جاء في كتاب حبيب السير[1]: «وفي أيام الأمير أبي النصر حسن بك من حكومة آق قوينلو، كان المولى أبو بكر الطهراني من أهل التأليف، وهو معاصر له، كتب تاريخاً في وقائع أيامه وفي أحواله إلا أنني لم يقع نظري عليه... وعده من الكتب المفقودة، وكنت آمل الاطلاع عليه، والوقوف على مندرجاته، فهو من أقدم الوثائق التي لا يستهان بها، فلما رأيته فرحت به، ولم يخب فيه الظن، لما وجدت فيه من المطالب عن بعض الأمور، والبيان الشافي عنها... فكان خير مرجع، وأجل أثر.

---

(١) هذا الكتاب (حبيب السير) منه نسخة محفوظة في مكتبة بايزيد العامة برقم ٤٩٧٧ مذكورة باسم (عالم آرا) وليس بصواب.

عثرت على هذه النسخة في مكتبة الأستاذ العالم الجليل محمد أحمد المحامي في البصرة، تفضل علي بمطالعتها، وبنسخة منقولة منها قدمتها إلى الأستاذ الفاضل السيد مكرمين أستاذ التاريخ في جامعة استانبول... فكان فضل الأستاذ المحامي كبيراً في هذه المساعدة للتاريخ. وله الشكر الجزيل.

وهذه النسخة قديمة، وليس فيها تاريخ، والظاهر أنها كتبت في أيام المؤلف أو أنها النسخة الأصلية، ولا تقتصر فائدتها على تاريخ العراق، ولا تاريخ إيران بل تفيد أكثر لتاريخ ديار بكر وما والاها، وعليها عولنا في تصحيح كثير من النصوص التاريخية... وقد رأيت علماء الأتراك يعتقدون أن هذا الأثر قد فقد، ولما أخبرت الأستاذ مكرمين عن وجوده سر سروراً كبيراً...

٣ ـ عالم اراي اميني: (تاريخ البايندرية)

هذا من الكتب المهمة أيضاً، والوثائق النفيسة جداً لعصر التركمان، تكلم في تاريخ السلطان يعقوب من ملوك آق قوينلو فهو مكمل لـ(ديار بكرية) المذكورة ومنه ـ على ما نعلم ـ النسخة الوحيدة في مكتبة فاتح. مخطوطة في مجلد واحد، خطها نفيس، وكذا ورقها... مسجلة برقم ٤٤٣١.

وفيها كانت عناية المؤلف كبيرة في التحرير، وإظهار المقدرة في البيان والتعبير، فكاد يغطي المعنى بحجاب سميك من الألفاظ الأدبية... بالغ في تصنيعها، وتجاوز الحد في السجع فشوش الغرض الأصلي من تدوين الوقائع فصارت لا تعرف بسهولة بل نراها قد بعدت عن الغرض بمراحل...!

ولما كان الغرض مصروفاً إلى معرفة حقائق ثابتة عن هذه الحكومة وإدارتها، والعلوم ودرجة حمايتها والأمم ووضعها... مما نحتاجه

لتدوين (تاريخ العراق)... رأينا هذا التاريخ من المراجع القيمة لتاريخ (آق قوينلو) والحكومات المعاصرة لها، فلا يستغنى عنه بوجه، ولو لم نقف عليه لتألمنا لفقدانه واستكبرنا ضياعه... وعلى كل فائدته كبيرة، وفيه ما ليس في غيره...

تقف حوادثه عند سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٩٠ م وأكثر المؤلف من ذكر الشعر والمديح... إلا أن هذا لم يفقد هذا الأثر مزاياه التاريخية.

ولما تكلم على السلطان يعقوب وذكر نسبه قال: إنه لا يرى ضرورة لسرده كله فهو مذكور في (الديار بكرية)، وأحال الأمر إليها... فهو مكمل لها، ومتمم لحوادثها كما تقدم... فالعثور عليه غنيمة لا تقدر في بيان حالة العصر...!

ذكر المؤلف اسمه في الصفحة الأولى من الورقة ٣١ أنه فضل الله بن روزبهان بن فضل الله الجنجي الأصفهاني الملقب بأمين المعروف بـ(خواجه ملا)، ومن ثم عرف الكتاب بتاريخ (عالم آراي أميني)، وفي الغلاف جعل عنوانه (تواريخ سلطان يعقوب)، وصدره بدوبيت...، ومن مطاوي الكتاب يعرف أن المؤلف من أهل العرفان، وله اطلاع في المعقولات، وسرد تفصيل ترجمته في ورقة ٣٢ فما يليها، ومما ذكره أنه قد ذهب للحج، ومر بالمدينة والشام ومصر، ودرس العلوم العقلية وعلوم الحديث، وحصل علوماً جمة... ثم رجح طريق الرياضة بعد العناء الشديد، والتحصيل المديد وكان قد كتب قصة (حي بن يقظان) باللغة الإيرانية بشكل ملائم، وقدمها للسلطان يعقوب باسم (كتاب بديع الزمان)[1]، فيه ذكر أنه كتب كتابه هذا أيام ابنه الأمير بايسنقر وبأمره، وجعله في وضع أدبي نظير (جهانكشاي جويني)[2]. وهذا التاريخ هو

---

(١) ورد في كشف الظنون عند الكلام على عالم آرا المذكور.

(٢) هذا الكتاب تم طبعه بمطبعة بريل في ليدن من بلاد هولانده سنة ١٣٥٥ هـ =

الذي عبر عنه صاحب (جامع الدول) بتاريخ البايندرية وفي كشف الظنون أنه تاريخ فارسي مختصر لدولة البايندرية... ألفه للسلطان يعقوب، ثم أتمه لأبي الفتح بايسنقر، وبعد أن بين المؤلف خصائص كتابه المذكور شرع في المقصود... وذكر في آخره نبذة في التصوف...

كتبت هذه النسخة في سنة ٩٢٧ هـ بقلم يوسف المروي (المروزي)، وهو أقرب إلى آخر حوادثه، خطه جميل جداً، بتعليق، وأوراقه ٢٢٤ وكان من أنفس ما طالعناه أو اطلعنا عليه في دور الكتب باستانبول لما يعود لهذا العهد.

وللمؤلف الفاضل سياحة إلى بخارى تسمى (مهماننامهٔ بخارى) منها نسخة مخطوطة في مكتبة نور عثمانية باستانبول، وهي سياحة لها قيمتها...

٤ ـ لب التواريخ:

تاريخ فارسي، في مجلد واحد، يبحث من أوائل التاريخ إلى أيام الحكومة الصفوية قدمه لأحد أمرائهم أبي الفتح بهرام ميرزا الحسني الصفوي، أفرد مباحث من كتابه في حكومتي (قرا قوينلو)، و(آق قوينلو) وسائر حكومات الترك والمغول في إيران، ومباحثه مختصرة إلا أنها تحوي لب الحوادث وصفوتها، فيصلح أن يكون مرجعاً، ومطالبه تكاد تزيد على الغياثي من بعض الوجوه، ويوافقه في كثير منها خصوصاً ما يتعلق بالحكومات المذكورة، وسوف نناقش المخالفة، وننوه بالزيادة،

= ١٩٣٧ م بتصحيح الأستاذ الكامل الميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني وعلق عليه حواشي نافعة وجعل له فهارس مفيدة طبعته لجنة تذكار جب وكان الجويني من ولاة بغداد راجع المجلد الأول من تاريخ العراق وسنتعرض له في التاريخ العلمي والأدبي.

ونعين نقاط الموافقة فيما هو ملتبس أو مشكوك فيه، ونراه يذكر التواريخ ويعين الوقائع بذكر السنة والشهر واليوم... مما نقطع بأنه معتنى به كثيراً، عندي نسخة مخطوطة كتبت عام ١٢٠٧ هـ بخط واضح، ومؤلفه كما جاء في كشف الظنون الأمير يحيى بن عبد اللطيف القزويني المتوفى سنة ٩٦٠هـ صنفه في عهد الصفوية المعاصرين له. فرغ من تأليفه سنة ٩٤٨هـ.

تهم مطالعته كثيراً، وهو خلاصة الخلاصة، أو كما دعاه مؤلفه (لب التواريخ)، ومنه نسخة في مكتبة ولي أفندي عليها حواش مفيدة، كتبت سنة ٩٩٧ هـ ورقمها ٢٤٤٤ وأخرى في مكتبة نور عثمانية، وفي هذه الأيام طبع في إيران، وهذه الطبعة لا تخلو من أغلاط عديدة...

٥ ـ منتخب التواريخ مظفري:

فارسي. تأليف الميرزا إبراهيم خان المستوفي الشيباني الملقب بصديق الممالك في مجلد واحد كتبه أيام مظفر الدين شاه القجاري، ونوه بتقديمه إليه، وهو مختصر جميل، طبع في إيران على الحجر عام ١٣٢٣هـ وتم في سنة ١٣٢٤ هـ وبعدها أعيد طبعه في سنة ١٣٤٤هـ على الحجر أيضاً.

وفي أوله بيان عن المؤلف، وأنه ولد في كاشان، وتقلب في مناصب عديدة وبذل مساعي عظيمة في سبيل هذا الكتاب فأتمه سنة ١٣٢٢هـ. ومن نظر في هذا الكتاب قدر جهود مؤلفه وأتعابه في سبيل تحرير وقائعه... حالة أن المؤلف اكتفى بالنقل عيناً من كتاب لب التواريخ بلا تصرف وزاد قليلاً أو نقص، لم يبد أي ملاحظة أو إشارة إلى الأخذ، ثم أضاف إليه ما حدث بعد ذلك فأتم حوادثه... من غيره فلم يتكلف مؤونة التصرف وهو منتخب بكل معنى الكلمة.

هذا ما علمناه عن هذا التاريخ وفيه فصول تتعلق بموضوعنا

(حكومات التركمان) وكأنه نسخة أخرى من كتاب لب التواريخ تصلح لتصحيح ما هناك للتثبت من بعض الأعلام.

٦ ـ أحسن التواريخ:

رأيته في مكتبة نور عثمانية وقد قيل على غلافه إنه ذيل مير خواند وأنه الجلد الحادي عشر والثاني عشر وليس بصواب فهو كتاب مستقل لا علاقة له بغيره أوله: حمد وسپاس وشكربي قياس بحاكمى كه... الخ وفيه أنه تأليف حسن سبط الأمير سلطان روملو. قال في مقدمته إنه يشتمل على بعض أحوال سلاطين الروم، وأكثر ملوك الجغتاي، وقراقوينلو، وآق قوينلو، وآق قرمان، ومشاهير العلماء والشعراء المعاصرين.. فهو من نوع كتاب (تواريخ التركمان) إلا أن مباحثه منتظمة وحوادثه مطردة على السنين وفيها تفصيل لا يكاد يوجد في غيرها...، يبتدىء من سنة ٨٠٧هـ ـ ١٤٠٥م من ابتداء سلطنة شاه رخ، توسع في الوقائع ولم أر أوسع منه إلا أنه لا يعتمد عليه في السنين التي يذكرها للوقائع، وقد ناقشتها في محلها... فإذا كان (لب التواريخ) يضبط الوقائع فهذا يوضحها والمؤلف يكتب رأساً، ولا يبدي نقلاً من كتاب كأنه قد شاهد الوقائع... مما هو غير مألوف الكثيرين والغمز المذكور أعلاه لا ينقص قيمته وهو لا يتحامل على ملك ولا يستعمل ألفاظاً بذيئة كما هو شأن غيره من مؤرخين عديدين يطعنون بالمعاصر لأسباب يطول شرحها...، فهو عذب اللسان، يتكلم بكل وقار، وكأنه يقص وقائع كان قد رآها أو نقلها كما سمعها... فهو على كل حال من أمهات الكتب وأصولها التي يجب أن يعول عليها. والنسخة خالية من التواريخ والظاهر أنها نسخة المؤلف أو مكتوبة عليها... وتقف حوادثه عند سنة ٩٨٥هـ.

وفي مكتبة ولي أفندي في استانبول نسخة منه برقم ٢٣٧٠ وليس

فيه عناوين مكتوبة وإنما أبقيت بياضاً بأمل أن تحرر بمداد أحمر... وبهذا كانت نسخة نور عثمانية أولى بالمراجعة وأحق بالاعتماد... صالحة أن تكون مرجعاً...

وقد علمت مؤخراً أنه طبع في كلكته سنة ١٩٣١ م لحساب الجمعية الشرقية في بارودا من بلاد الهند مع ترجمته سنة ١٩٣٤ م.

٧ ـ جامع الدول:

تأليف درويش أحمد بن لطف الله المولوي المتوفى سنة ١١١٣ هـ ـ ١٧٥١ م ويعرف بـ(منجم باشي)، أوله: أحمد الله حمد مفكر في مخلوقاته الخ. ذكر في مقدمته مراجع كثيرة جداً، ومن جملة ما اعتمده (تاريخ البايندرية)، وهو (تاريخ عالم آراي أميني)، ويبعد أن يكون (الديار بكرية) لأنها غير معروفة في تلك الأنحاء... وهو في مجلدين ضخمين الأول منهما يصل إلى آخر الخلفاء، والثاني في ذكر الدول والملوك القديمة والإسلامية، وفيه تفصيل زائد جداً عن حكومات كثيرة، وبينها البريديون (حكام خوزستان والبصرة)، و(المشعشعون) وغيرهما... ويقف عند حوادث سنة (١٠٨١ هـ) ـ ١٦٧٠ م وهو من أوسع الكتب، وفيه مزيد إيضاح عن البارانية والبايندرية، وقد جمع ما لم يجمعه غيره من وقائع هذه الحكومات إلا أنه لم يدون عن العلماء، ولا عن الثقافة ولو بوجه عام... منه نسخة في مكتبة بايزيد العامة في مجلدين أحدهما برقم ٥٠١٩ وصفحاته ١٣٣٤ وثانيهما برقم ٥٠٢٠ وصفحاته ١٢١٤ كتب باللغة العربية. ومراجعه كثيرة بين عربية وفارسية وتركية. والمؤلف أفرد لكل حكومة مبحثاً فلا تطرد وقائعه بصورة متوالية... والكتاب منه نسخ عديدة في مكتبات استانبول وغيرها، ويعد من خير المراجع وأوسعها، جمع مطالب كثيرة... وتفصيله نافع...

٨ ـ تاريخ الجنابي: (العيلم الزاخر في أخبار الأوائل والأواخر)

رأيت نسخة منه في نور عثمانية في استانبول برقم ٣٠٩٩ و٣١٠٠ وأخرى في سراي طوپقپو بمكتبة السلطان أحمد الثالث ونسخ عديدة في سائر المكتبات كتب باللغة العربية أوله:

«أشرف كلام يتضوع نشر رياه، وأحسن مقال يتفوح طيبه وشذاه حمد صانع قادر لا يعبد سواه الخ». تأليف الشريف أبي محمد مصطفى ابن السيد حسن ابن السيد سنان ابن السيد أحمد الحسني الهاشمي القرشي الشهير بـ(جنابي) المتوفى سنة ٩٩٩ هـ ـ ١٥٩٠ م، كتبه أيام السلطان مراد ابن السلطان سليم بن السلطان سليمان القانوبي. قال في مقدمته:

«جمعته من مؤلفات كثيرة... وأوردت اسم الكتاب الذي نقلت عنه الكلام، إما قبل النقل، وإما عقيب الفراغ عند ذكر المرام، ليكون ذلك على صحة هذا دليلاً، ولئلا يجد عائب يعيب إلى كتابي هذا سبيلاً... (إلى أن قال): وما أثبت في هذا الكتاب إلا ما صح عندي نقله، وثبت أصله، حتى تركت النقل عن بعض الكتب المشهورة لشيوعه بين العلماء بأنه في نقله كحاطب ليل». ا هـ. ومثل بالسيوطي، وأنه ينقل عن تاريخ المفرطي (في نسخة القرطبي) وهو ممن اشتهر بالكذب... وهكذا حكى وقائع آق قيوينلو في سعة وبسط زائد... نقل عنها من تاريخ دولتشاه (من الوثائق المعاصرة)، ومن تاريخ عبد الباسط الحنفي المصري، ومما سمعه من العالم أبي الفضل بن إدريس التبريزي الدفتري (هو ابن إدريس البدليسي صاحب هشت بهشت)... وللمؤلف كتب تاريخية عديدة وله شعر في التركية والعربية[1]...

---

(١) عثمانلي مؤلفلري ج٣ ص٣٩ وكشف الظنون ونفس الأثر.

اختصر هذا الكتاب القرماني المذكور سابقاً[1]... فرغ من اختصاره يوم السبت مستهل المحرم سنة ١٠٠٨ هـ[2].

٩ ـ كتاب وجيز الكلام في الذيل على كتاب الذهبي دول الإسلام:

للشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب الضوء اللامع، أوله: الحمد لله العالم بما كان وما يكون الخ. رأيته في مكتبة كوبريلي رقم ١١٨٩ وتنتهي حوادثه في سنة ٨٩٥ هـ ـ ١٤٩٠ م وابتداؤه سنة ٧٤٥ هـ ـ ١٣٤٤ م. والكتاب فيه خروم، وأكلته الأرضة من أماكن مختلفة، وهو مهم خصوصاً القسم الأخير منه...

والأصل تاريخ دول الإسلام للذهبي المطبوع في الهند ورأيت نسخة منه في مكتبة كوبريلي مؤرخة في سنة ٧٤٢ هـ ـ ١٣٤٣ م والنسخة مهمة جداً، وصالحة للطبع وجيدة، مكتوبة في حياة مصنفها... وفي مكتبات استانبول نسخ عديدة منه...

١٠ ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:

تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي المؤرخ المعروف المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠ م[3] أوله: الحمد لله مدبر الدهور الخ. وهو من أجل الآثار وأعظمها فائدة، وأجمعها مادة... قال في مقدمته إنه حملته الرغبة، ولم يكن بأمر أو طلب من سلطان أو أمير، أو من أحد أعيان الزمان، ولا مكلف لتأليفه وإنما جعله لنفسه... وابتدأ فيه من أوائل الدولة التركية من المعز إيبك، وصرح في بعض المواطن أنه

---

(١) راجع تاريخ العراق ج٢.

(٢) كشف الظنون.

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥ وفيها نقد كتابه هذا... وترجمته أيضاً في بدائع الزهور لابن إياس ج٢ ص١١٨.

بدأه بـ(سنة ٦٥٠ هـ) ـ ١٢٥٢ م كتبه على طريقة الخطيب البغدادي في تاريخه (تاريخ بغداد) وابن خلكان والصفدي في الوافي بالوفيات وذكر الأشخاص المشاهير من علماء وأمراء على ترتيب حروف الهجاء إلى آخر أيامه، فتابع الكثيرين من العلماء في ترتيبهم هذا، ومنه نقل صاحب الشذرات، وجعله مرجعاً... والملحوظ أن هذا المؤرخ يتحامل على حكومات التركمان (قراقوينلو وآق قوينلو) تحاملاً شديداً وله الحق في كثير من المواطن... وإن كان أساس ذلك هو العداء الحاصل بين مصر وبين هؤلاء... ولكن مطالبه جليلة، ومباحثه قيمة جداً... ويعد من أتم المراجع لهذه العصور. ترجم المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ١٤٤١م قال: وكان يرجع إلى قولي فيما أذكره من الصواب ويغير ما كتبه أولاً في مصنفاته... منه نسخة نفيسة في مكتبة (نور عثمانية) في استانبول برقم ٣٤٢٨ وهذه النسخة تمتاز في أنها نقلت من نسخة كتبها تلميذه أحمد بن حسين التركماني الحنفي الشهير بـ(المرجي) وتاريخ تحريرها في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٠٢٣ (١٦١٤ م) ورأيت منه نسخة في دار الكتب بـ(سراي طوبقبو) باستانبول...

١١ ـ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور:

في مجلد واحد رأيته في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣١٨٥ أوله: الحمد لله مدبر الدهور الخ. وهو من تأليف أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي أيضاً جعله ذيلاً على السلوك للمقريزي، وأثنى عليه فقال: «أتقن من حرر تاريخ الزمان وأضبط من ألف في هذا الشأن، وأجل تحفة اخترعها، وعمدة ابتدعها، كتابه المسمى بالسلوك في معرفة دول الملوك. قد انتهى فيه إلى أواخر سنة ٨٤٤ هـ ـ ١٤٤١ م...

ولم يأت بعده من نعوّل عليه في هذا الفن، ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام... بدر الدين محمود العيني (صاحب عقد الجمان)،

فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام، فإذا به كثير الغلطات والأوهام وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه، بحيث إن الشخص لا يمكنه الفائدة من ذلك إلا بعد تعب كبير، لاختلاف الضبط، وعدم التحرير. فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريزي (يوم ١٨ رمضان سنة ٨٤٥ هـ ـ ١٤٤٢ م) وجعلته كالذيل... رتبته على السنين» اهـ ابتدأ فيه من أول سنة ٨٤٥ هـ وقال: ولم أسلك فيه طريق الشيخ المقريزي في تطويل الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم، لتكثر الفائدة من الطرفين، وما وجدته مختصراً من التراجم في التعليق فراجع فيه كتابنا المسمى بـ(المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي) فإني هناك شفيت الغلة، وأزحت العلة ا هـ...

انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ ـ ١٤٥٦ م وكتبه تلميذه محمد بن أحمد بن محمد الطندتاي الشافعي سنة ٨٦١ هـ ـ ١٤٥٧ م ونقلت منها هذه النسخة في سنة ٨٩٨ هـ ـ ١٤٩٢ م.

١٢ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك:

هو لشمس الدين محمد السخاوي في مجلد ضخم. رأيته في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣١١٣ أوله: الحمد لله العالم من القدم بما كان وما يكون، والحاكم بما انبرم في كل حركة وسكون الخ. وهذه النسخة ملكية ومهمة، مشكلة، وحروفها كبيرة وواضحة، وتتم في سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م وهي الجلد الأول، كتبه أبو الفضل السنباطي الأعرج عام ٨٨٠ هـ ـ ١٤٧٥ م في منزل مؤلفه... وغالبها لا يتعرض لحوادث ما هو خارج عن مصر والشام...

١٣ ـ تاريخ مطلع السعدين:

تأليف كمال الدين عبد الرزاق بن جلال الدين إسحاق السمرقندي المتوفى سنة ٨٨٧ هـ ـ ١٤٠٢ م وأوله: حسن مطلع أنوار أخبار در افتتاح مقال، ولطف مظهر آثار أخيار در إيضاح مبدأ ومال الخ. ألفه لأبي المغازي السلطان حسين بهادر المعروف بـ(حسين بايقرا) من آل تيمور... وكتب في منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ ـ ١٤٦٦ م في مجلد ضخم مرتب على السنين، وهو مهم جداً، ودون باللغة الفارسية. منه نسخة في دار كتب أيا صوفيا برقم ٣٠٨٦ وفي مكتبات أخرى... ولا يتعلق بأنحاء العراق منه إلا ما حصل استطراداً، وهو مهم للعلاقة بالمجاورة، ومؤلفه من رجال العلم والثقافة، وقد انتدب لمهمات ذات شأن كسفارته إلى ملك الصين فكتب بذلك رسالة، ترجمت إلى اللغة التركية وطبعت باسم عجائب اللطائف[١]...

١٤ ـ تاريخ الغفاري:

منه نسخة في مكتبة ولي أفندي رقم ٢٣٩٧، ألفه أحمد بن محمد القاضي المشتهر بالغفاري أيام أبي المظفر شاه طهماسب بهادرخان. ووقف به عند حوادث سنة ٩٧٣ هـ ـ ١٥٦٥ م. كتب في ربيع الأول سنة ٩٩٠ هـ ـ ١٥٨٢ م. والكتاب سهل الإفادة ومختصر، تكلم على البارانية (قراقوينلو)، وعلى البايندرية (آق قوينلو) ثم ذكر الصفويين والعثمانيين إلى أن انتهى بحوادث كتابه... وهو من المراجع المعتبرة القريبة بهذا العهد.

١٥ ـ بدائع الزهور:

تأليف العلامة المؤرخ محمد بن إياس الحنفي المصري طبع ببولاق

---

(١) اسلامده تاريخ ومؤرخلر ص٣٩٧ ونفس التاريخ...

مصر سنة ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٤ م، وله فهرس هجائي. وقد طبعت جمعية المستشرقين الألمانية منه الجزء الثالث سنة ١٩٢٦ م والرابع سنة ١٩٣١ م في استانبول على نسخ بخط المؤلف كانت في مكتبة فاتح باعتناء پاول كاله ومحمد مصطفى ومورتسن سوبرنهايم إلا أنهم فاتهم أن يتموها على ما هو موجود في متحف الأوقاف الإسلامية باستانبول ويكمل الحوادث المطلوبة بخط المؤلف، وعلهم يتلافون النقص في طبعة أخرى...

ومن أجزائه التي بخط المؤلف في فاتح وفي متحف الأقاف تظهر نسخة كاملة. تصلح للطبع...! وطبعة مصر كانت ناقصة، فجاءت طبعة الجمعية مكملة لها لولا ذلك المغمز...! وكان قد جرى تصحيح ملازم ما طبعته الجمعية بمساعدة هـ. ريتر المستشرق الألماني الشهير.

والحاصل أن المراجع لمختلف العصور كثيرة، ولا تزال الأيام تنشر المدونات وتثيرها. والعراق ضعيف العلاقة، ولم يكن له من الشأن أن تراقب حوادثه باهتمام فيدون عنها... ولعل التتبع المتوالي يوصل إلى ما هو أوسع... والنصوص التي نوردها تعين قيمة هذه الآثار...


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١

الدولة البارانية
(قراقوينلو)

(من المحرم سنة ٨١٤ هـ ـ ١٤١١ م إلى ١٤
جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠ م)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدولة البارانية
(قراقوينلو)

١ ـ فتح العراق:

كانت هذه الحكومة قد مارست الحروب، وقامت بتدبير الملك وشعرت أن من واجبها القيام بالأمر، ولا زالت في جدال، تصافي الجلايرية مرة، وتقارعهم أخرى حتى جاء دور حكمها... فقتلت السلطان أحمد في أواخر ربيع الآخر سنة ٨١٣ هـ ـ ١٤١٠ م، واستولت على بغداد في ٥ المحرم سنة ٨١٤ هـ ـ ١٤١١ م، دخلها شاه محمد بن قرا يوسف، فكان والياً عليها بالنيابة عن والده[1]...

سبق لهذه الحكومة أن تمكنت في بعض الأنحاء العراقية كالموصل إثر وفاة السلطان أويس عام ٧٧٨ هـ ـ ١٣٧٧ م كما أن قرا يوسف امتلك بغداد سنة ٨٠٥ هـ ـ ١٤٠٣ م فأزاحه عنها أمير زاده أبو بكر من آل تيمور في سنته، ولم يتول العراق إلا في هذه الأيام... ومن ثم استمر حكم هذه الدولة في العراق إلى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠ م، فانقرضت...

---

(١) تاريخ العراق ج٢.

٢ ـ أصل هذه الحكومة:

كانت في الأصل قبيلة توصلت إلى الحكم من طريق الرياسة، وتسمى (البارانية) وماضيها القبائلي غامض، والمعرفة به قليلة، وكل ما نعلمه انها من القبائل التركمانية الأغزية جذم كبير من القبائل التركية.

٣ ـ القبائل التركمانية:

من حين قبول الترك الإسلام انتشروا في المملكة الإسلامية زرافات ووحداناً ودخلوا الجندية أفواجاً، وتولوا قيادة الجيوش مدة، واشتهر منهم أمراء كثيرون فكانوا عضداً قوياً، وقاموا بخدمات عظيمة للإسلام، وزاد عددهم في بعض المواطن على الأهلين الأصليين، وبينهم من حصلوا على حكومات كبيرة، ودولات مشهورة عاشت بصورة مدنية أو قبائلية...

وقد عثرت على رسالة في بيان فضائلهم وسجاياهم عنوانها (تفضيل الأتراك على سائر الأجناد) مخطوطة رأيتها في خزانة الأستاذ الكرملي اللغوي الشهير. تعين الكثير من أوضاعهم تعييناً علمياً...

ومن هؤلاء (القبائل التركماية)، أو (التراكمة)، ومواطنهم بين بلخ وبحر الخزر ونهر أموديا والروس وإيران...[1] وفي ديوان لغات الترك قد فرعهم من أغز إلى ٢٢ قبيلة تفرعت منهم البايندرية والأفشار وقنق قال ومن هذه الأخيرة السلاطين في زماننا (يريد السلجوقيين)، وأوضح سمة كل قبيلة، وهي سمات دوابهم وخيولهم، وبين أن أسماء هذه القبائل أسماء أجدادهم الذين ولدوها في قديم الدهر فنسب إليهم، وهناك قبائل تركمان تفرعت من آخرين[2] وقال آخرون إن الغز مخفف

---

(١) لغة جغتاي ص١٠٨.

(٢) ديوان لغات الترك ج١ ص٣ و٥٧.

أغزوان أتراك الأناضول والقفقاس وأذربيجان منهم، وكذا العثمانيون وأن جدهم كوك خان أحد أولاد أغز[1]...

وفي جامع الدول: «التركمان صنف من الترك خرجوا من بلاد تركستان وجاؤوا إلى خراسان قديماً، ثم تفرقوا في البلاد، وكثروا بلحوق من خرج بعدهم، وبالتوالد والتناسل. وهم أصحاب خركاهات (نوع خيام)، ومواشٍ، وكانوا يرتحلون إلى المصيف والمشتى، واندرج فيهم كثير من طائفة الغز، فأطلق عليهم التركمان... وهم قبائل شتى لكل قبيلة عشائر وبطون وأفخاذ لا تحصى ولكل واحدة منها اسم مخصوص، متعارف فيما بينهم...» اهـ.

وهكذا جاء الكلام عليهم مفصلاً في (مجموعة تواريخ التركمان)، وفي أولياچلبي وكذا القلقشندي عدد التركمان وذكر أمراءهم، ومشاهير رجالهم وما يكتب إليهم[2] وفي (مسالك الأبصار) أسهب فيهم القول.

ولا يختلفون في تفريعهم عن القبائل العربية كما في شجرة الترك وغيرها... والحكومة الموضوعة البحث إحدى هذه القبائل، نسي طريق اتصالها بجدها... والظاهر أن (باران) أحد أحفاد أوغوز وصارت تسمى (البارانية) نسبة إليه، جاءت من أنحاء تركستان الغربية، هاجرت إلى أذربيجان وسيواس أيام أرغون خان المغولي... واستخدمتها الجلايرية، وقارعت تيمور إبان هجومه... وكانت في نضال مستمر مع المجاورين حتى صارت صاحبة الأمر والنهي... ولغتها ـ كسائر التركمان ـ آذرية، ولا تختلف عن التركية الشائعة عندنا في العراق.. ولا عن التركية العثمانية إلا أن العثمانية تهذبت أكثر بقبولها الحضارة الإسلامية والمصطلحات العلمية، فدخلتها ألفاظ كثيرة حسنت وضعها

---

(١) ترك يو كلري ص٢١ طبع باستانبول سنة ١٣٣٣ هـ.
(٢) صبح الأعشى ج٧ ص٢٨٠.

ولطفت آدابها، وصارت معيناً فياضاً للشعر وللنثر...

جاء في تاريخ دوكيني أن مؤرخي الروم يدعونها (ماورو پرووا‌تا)[1] وشاع اسمها بـ(قراقوينلو)، وأصل ذلك أنها كانت سمتها (الشياه السود) كانوا في قديم الزمان قد اقتنوا في وقت (شياهاً سوداً) فعرفوا بها كما عرف غيرهم بشياهه البيض (آق قوينلو)، وآخرون بـ(قراكچيلي) لاقتنائهم (المعز السوداء)، ولا يشترط أن يدوم... وإنما هو وصف عرفوا به، واستمر فيهم وصار من نوع الوسم أو النبز فلازم... ومعنى قراقوينلو (سود الغنم) ومنهم من يقول إن أعلامهم كانت فيها شارة شياه سود.

٤ ـ ترجمة اسم القبيلة:

هذا غير معهود ولا قائل به من المؤرخين وفي هذه الأيام رأينا في بعض التواريخ العراقية ترجمة اسم القبيلة غلطاً ولما كانت التسمية (علماً) فلا وجه للتصرف به وإنما ينطق به عيناً ولم يسبق أن ترجم بل استعمله العرب في مختلف الأصقاع بلفظه ولا معنى لترجمة الأعلام بما يفهم من لفظها...

ونرى الترجمة مغلوطة. لأن (الخروف الأسود) لا يعني قراقوينلو، بل (قراقويون) فأهملت لفظة (لو) أو (لي) الدال على النسبة ويقصد منها سود الغنم على اعتبار الجنس فيقال قبيلة (سود الغنم) كما يقال (بيض الغنم) أو (سود المعز).

ولفظ قويون لا يطلق على الخروف وإنما يراد به الجنس (الغنم) أو (الشياه) فكان الخطأ ظاهراً في الترجمة... وفي الدلالة.. وشاعت هذه في الأقطار العربية على علاتها مع العلم بأنه لم يسبق أن ترجمت قبيلة (بيات)، و(أفشار)، و(قجار).

---

(١) التاريخ العام ج٦ ص٩٩.

وجاء في كتاب (المماليك في مصر)[1] اسم القبيلة بلفظ (قره قيون)، و(الوبر الأسود)، كما سميت هناك قبيلة آق قوينلو بـ(الوبر الأبيض) مما لا يؤيده سند وقد نعت أيضاً قرا يوسف بـ(زعيم كردي)... وقيل عن بركة أو بركاي (برخ) وعن اولجايتو (ايليجيتو)، وعن أويرات (العويراتية)... مما لا يقره التاريخ.

٥ ـ فروع هذه القبيلة:

لا تزال المعرفة الموسعة عن الشعوب والقبائل ضعيفة... وليس في النصوص التاريخية ما يبرد غلة... قال في جامع الدول:

«فمن جملة قبائل التركمان... (قرة قوينلي)[2] ولها عشائر عديدة، وأعظمها اعتباراً عندهم عشيرة (بهارلو)، وكان أمير القبيلة ورئيسها منها لا محالة...) اهـ.

وليت هذا المؤرخ عرف بعشائرهم أو بطونهم... ونعلم من النصوص الأخرى أن من عشائرهم (باوت) وينتسب إليها والي بغداد (بير محمد) على ما سيجيء. ولا تزال بقاياهم في العراق موجودة، ولكننا لا نعرف علاقتهم بماضيهم... معرفة كاملة...

٦ ـ تاريخ ظهورها ومؤسس إمارتها:

كانت هذه القبيلة مهملة كعشائر كثيرة، وقد خطت نحو الاستقلال أيام رئيسها (بيرام خواجه) وهذا اتصل بالسلطان أويس الجلايري وانتسب إليه عام ٧٧٥ هـ ـ ١٣٧٣ م كان قد استعان به السلطان

---

(١) طبع في المطبعة الجديدة. وأغلاطه التاريخية لا تحصى، قال عن تيمور إنه ابن وزير جنكيز وأنه قام بعد موت جنكيز... واكتسح دولتي المغول ووحدهما، وبين أن السلطان فرج قبل جميع طلبات تيمور ومنها لزوم قتل قرا يوسف... ص٥١.

(٢) غالب العثمانيين يلفظونها بالياء هكذا (قره قوينلي).

فتمكن... وإثر وفاة السلطان استولى على الموصل وسنجار في عام ٧٧٨ هـ ـ ١٣٧٦ م. ومن ثم بدأ حكمها إلا أنها لا تزال تعد إمارة قبائلية، وتخلل ذلك فواصل عديدة، فقد انتزع الحكم من يدها أيام صولة الأمير تيمورلنك ومناوأته لها...

وفي هذه الحالة كانوا يترقبون الفرص، وينتهزون الوقت الملائم، ولا يزالون كذلك حتى تمكن الأمير قرا يوسف (من ذرية بيرام خواجة) من الاستيلاء على أذربيجان بقتل ميران شاه ثم قضى على السلطان أحمد الجلايري وتسلط على بغداد فخلص له الحكم...

وأول من عرف من أمرائها بيرام خواجه بن تورمش[١]. وفي أيامه ظهرت هذه القبيلة كإمارة فارتفعت منزلتها عند السلطان أويس. ولما توفي السلطان في ٢ جمادى الأولى سنة ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٤ م استولت على الموصل وسنجار وأرجيش وأونيك توفي أميرها هذا سنة ٧٨٢ هـ ـ ١٣٨١ م، وجاء في كنه الأخبار أنه توفي في حدود سنة ٧٨٠ هـ ولم يؤيد هذا نص...

واعتبر المؤرخون هذه المدة بين الاستيلاء، والوفاة (أيام الإمارة)، وما قبلها (رياسة قبائلية) دامت له ٢٦ سنة، وله ابن اسمه تورمش[٢] وخلفه أخوه مراد خواجه لمدة قليلة فتوفي، وآلت الإمارة إلى (قرا محمد)، بن تورمش فزاد على ما بيد أسلافه، وحارب حاكم ماردين القاهر (كذا وصوابه الظاهر) ورأى المجال أوسع، ونال غنائم وافرة، ويقال في سبب حربه هذه أنه طلب من القاهر بنته ليتزوجها فلم يوافق، فساق عليه العساكر، ثم تصالح معه على أن يزوجه ابنة أخيه[٣]...

---

(١) ورد في وقائع تاريخية بلفظ (دورمش) والشائع ما ذكر أعلاه.

(٢) جامع الدول والغياثي وغيرهما.

(٣) كنه الأخبار ج٣ ركن ٣ ص٣٤ ـ ٣٥ و(الظاهر) هو مجد الدين عيسى وهو المعروف من الأرتقية.

وقرا محمد هذا تزوج السلطان أحمد الجلايري ابنته، وهو الذي ساعد السلطان في حروبه لأخيه الشيخ علي حينما أعلن سلطنته ببغداد فكسر الشيخ علياً وقتله، ثم ظهر تيمور فأزاح السلطان أحمد عن تبريز ولما سمع تيمور أن توقتامش طرق بلاده رحل عنها، فانتهز قرا محمد الفرصة وتملك تبريز، وأقام فيها ولده مصر خواجه. وفي سنة ٧٨٩ هـ ـ ١٣٨٧ م عاد تيمور ففر منه قرا محمد، وقتل سنة ٧٩٢ هـ ـ ١٣٩٠ م. وفي الدرر الكامنة مات مقتولاً في صفر سنة ٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩ م نقلاً عن العلاء ابن خطيب الناصرية.

وله من الأولاد قرا يوسف، ويار علي وپير علي.

وكان قرا محمد أيام إمارته قد نازعه عمه نصر خواجه عام ٧٨٧ هـ ـ ١٣٨٥ م وكان رئيس القبيلة فأذعن لسلطان مصر، وشوش على ابن أخيه، واستولى بهذه الوسيلة على ماردين والأنحاء المجاورة للموصل، وقرأ الخطبة باسم سلطان مصر، فقوي نفوذه.

ولما قتل قرا محمد خلفه ابنه قرا يوسف في إمارته. وهذا في الحقيقة مؤسس دولة (البارانية)، كان آنئذ مشتاهم العراق، ومصيفهم أذربيجان وقد سلسل صاحب كنه الأخبار وقائع قرا محمد، وفيها أنه أخذ الموصل في سنة ٧٩٨ هـ ـ ١٣٩٥ م ونصب بها أخاه (يار علي)... ثم إنه في سنة ٧٩٩ هـ هاجم الأمير تيمور الجزيرة والموصل ففر قرا يوسف من وجهه إلى الشام، وفي سنة ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٧ م رجع إلى الموصل فاستعادها.

وأكثر وقائع قرا قوينلو مبسوطة في (مجموعة تواريخ التركمان).

٧ ـ تزوج سياسي:

جاء في الضوء اللامع أن الأرتقي صاحب ماردين وهو أحمد بن

اسكندر نشأ في دولة ابن عمه الظاهر مجد الدين عيسى[١] بن المظفر فخر الدين داود، فاختص به وزوجه ابنته، واستخلفه على ماردين غير مرة، فآل أمره إلى أن رغب عن ماردين لقرا يوسف بن قرا محمد بعشرة آلاف دينار وألف فرس وعشرة آلاف رأس غنم، فزوجه قرا يوسف ابنته، وأعطاه الموصل فتوجه إليها. . . فلم يقم سوى ثلاثة أيام ومات هو وزوجه في سنة ٨١١ هـ - ١٤٠٨ م، ويقال إن قرا يوسف سمه. ترك من الأولاد محمداً وأحمد ومحموداً وعلياً، فأخرجهم قرا يوسف من الموصل. وهو آخر ملوك بني أرتق. وقد أطال المقريزي في عقوده ترجمته[٢]. . .

والحاصل، جرى لهذه الحكومة (قراقوينلو) ما جرى مما ذكر في المجلد السابق حتى تم لها الاستقلال، واستولت على العراق. .[٣].

حوادث سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١م
ولاية
الأمير شاه محمد

من ٥ المحرم سنة ٨١٤ (١٤١١ م) إلى ١٨ شعبان سنة ٨٣٦ (١٤٣٣ م).

(١) توفي الظاهر سنة ٨٠٩ هـ فخلفه الصالح أحمد بن اسكندر، وكان ابتداء هذه الحكومة على ما جاء في ابن الأثير وغيره أيام تتش أخي ملكشاه السلجوقي بعد سنة ٤٩٠ هـ وقد عد المؤرخون وفاة الظاهر تاريخ انقراضها، والصحيح أن آخر هؤلاء الملك الصالح أحمد، مات سنة ٨١١ هـ فانقرضت الحكومة الأرتقية: (أخبار الدول، والدرر الكامنة، والضوء اللامع).

(٢) الضوء اللامع ج١ ص٢٣١.

(٣) منتخب التواريخ، والغياثي.

واقعة بغداد:

فصلت هذه الحادثة تواريخ عديدة، وقد مر ذكر بعض النصوص. وهذا ما قاله الجنابي في تاريخه: «لما قتل السلطان أحمد استقر مكانه في بغداد صبي من آل أويس واسمه شاه محمود من أبناء شاه ولد بن شهزاده علي بن أويس. وكانت تندو بنت حسين زوجة شاه ولد هي المدبرة في المملكة، فحاصرهم شاه محمد بن قرا يوسف سنة، ثم غلب على بغداد، ونزحت عنها تندو بمن معها من دجلة إلى واسط، فسار إلى تستر فملكها، ثم احتالت على محمود شاه فقتل لأنه كان من غيرها، واستقلت بالمملكة مدة وذلك في سنة ٨١٩ هـ ـ ١٤١٦ م» ا هـ.

وجاء في أحسن التواريخ: «أن السلطان أحمد بعد قتله خلفه في بغداد سلطان محمد بن شاه ولد... وكان قد وجد اختلافاً، وزادت الفتن من كل صوب... فلما رأى شاه محمد ذلك انتزع اربل منه، وسار إلى بغداد حتى وصل إلى باب سوق السلطان، وفي اضطرابات بغداد قتل الأمير بخشايش، وكان السلطان أحمد قد نصبه والياً، واختار عبد الرحيم الملاح شحنة، وظهر الاختلال بأظهر معانيه ففر السلطان محمد إلى ششتر (تستر)، ومن ثم استولى شاه محمد عليها» ا هـ.

وهنا هذه التواريخ اضطربت في أسماء من خلف السلطان أحمد، وفي المنهل الصافي: «كان أقيم في سلطنة بغداد ـ بعد قتلة السلطان أحمد ـ شاه ولد.. فقتل بعد ستة أشهر بتدبير زوجته تندو بنت السلطان حسين بن أويس، وقامت بتدبير الملك من بعده، ثم خرجت من بغداد بعد ستة أشهر فراراً إلى ششتر وملك شاه محمد بغداد» ا هـ.

وهذا هو الصواب وعليه أكثر المؤرخين على أن شاه ولد كان يدبر الأمر باسم السلطان أحمد، ثم هلك فنصب ابنه، ومنهم من لا يعتبره ملكاً وكانت الإدارة الحقيقية بيد (دوندي)، ويعين الحالة بصورة جلية ما

جرى من الإشاعات في أن السلطان أحمد لا يزال حياً...! ذلك ما دعا أن تخشى دوندي سوء العاقبة، كان قد نفذ صبرها، فتركت بغداد. ومن ثم بدأ حكم دولة (قراقوينلو) وصار العراق تابعاً لتبريز إلا أن الإمارة كانت مستقلة بيد شاه محمد استقلالاً إدارياً...

أما بغداد فإنها لولا الحالة الزراعية المساعدة، والمياه المتدفقة والاستفادة من العمارة عند سنوح الفرصة، أو عروض الهدوء والطمأنينة لكانت خبراً بعد عين... لما نالها من زعازع واضطرابات وحروب أودت بعمارتها، وشوشت أمرها مراراً عديدة، وأزالت معالمها، وذهبت بنضارتها، وآخرها هذا العدوان بل الضربة القاسية...

تصحيح:

جاء في كلشن خلفا أن الوالي على بغداد من دولة قراقوينلو هو الشاه محمود بن قرا يوسف، وأنه دام حكمه ببغداد ٢٣ سنة، ثم خلفه الشاه محمد، وهذا ليس بصواب، ومخالف لما اتفق عليه المؤرخون في مختلف العصور، وقد راجعت بعض النسخ المخطوطة فلم تختلف، وفي النسخة المطبوعة من لب التواريخ يوجد هذا الغلط فوجب التنبيه والتصحيح[١].

حرب ـ صلح:

في هذه السنة ساق الأمير قرا يوسف جيوشه على قرا عثمان، وحاصر بلدة أرغني فطلب الأمير قرا عثمان الصلح فأجيب إليه وعاد الأمير قرا يوسف[٢] وكان غرضه أن يؤمن أطرافه ليقوم بأعمال عسكرية

(١) كلشن خلفا ص٢ ورقة ٥١ طبعة إبراهيم متفرقة، ومخطوطتي، ومخطوطة الأستاذ السيد عبد الحسين آل الكليدار في كربلاء.

(٢) لب التواريخ.

جديدة. وهذه الطريقة في الحروب اقتبسها من تيمورلنك وكانت حالة عملية أدت إلى تجارب عنيفة...

قال في أنباء الغمر: «دامت الحرب بين قرا يوسف وقرا أيلك[1] أكثر من شهر فقتل بينهما خلق كثير فخرب قرا يوسف بلاداً كثيرة لغريمه، وهرب غريمه إلى بعض الأماكن، فأوصل الجند الخبر إلى قرا يوسف بأن شاه رخ ابن تمر قصد تبريز فترك حالته ورجع مسرعاً فعاد قرا أيلك فنهبها، وتوجه لتخريب بعض بلاد غريمه ووقع القتال في شعبان فأرسل قرا يوسف يطلب الصلح من قرا أيلك فلم يوافقه على ذلك ونهب سنجار وأخذ قفل الموصل وأوقع بالأكراد فافتدوا منه بمائة ألف ألف رأس غنم» ا هـ.

وبغداد في نجوة من هذه الغوائل، والحروب...

وفيات

ذكرنا وفيات هذه السنة في المجلد السابق وليس لدينا ما يستدرك إلا وفاة الإخميمي وهو علي بن محمد بن الإخميمي البغدادي الأصل، كان قد ولي الوزارة بمصر، وشد الدواوين وكان يدعى الشرف[2].

حوادث سنة ٨١٥ هـ ـ ١٤١٢ م.

الشيخ إبراهيم الشرواني ـ قرا يوسف: (الحكومة الدربندية)

الشيخ إبراهيم الشرواني أمير الحكومة الدربندية وقد مر الكلام عليه أذعن لتيمور بالطاعة...

وكان الأمير قرا يوسف أضمر له الغيظ والعداء بسبب ما قام به

---

(١) هو قرا عثمان أمير قبيلة آق قوينلو.

(٢) الضوء اللامع ج٦ ص٣٢.

ابنه كيمرز[1] (كيومرث) ابن الشيخ إبراهيم، وعلاء الدولة ابن السلطان أحمد من إثارة غائلة عليه استفادة من غيابه... فلما تم له الأمر، وعلم أن هناك اتفاقاً بين الحكومة الشروانية وبين الكرج[2] سار عليه في هذه السنة وحاربه فكسره ومن ثم تمكن من إلقاء القبض عليه وقتل كافة أقربيه، وجاء بالشيخ إبراهيم أسيراً إلى تبريز، وهناك توالت الملتمسات إلى الأمير قرا يوسف، فعفا عنه، وأخذ منه فداء دمه ألفاً ومائتي تومان فعاد إلى شروان فتسلطن بها.

وفي تاريخ الموصل أنه قتله الأمير قرا يوسف واستولى على ساوة وقزوين[3] وفي تاريخ الغياثي توفي سنة ٨١٩ هـ وفي الأنباء أنه توفي سنة ٨٢١ هـ وعلى كل دامت حكومته وعاش بعد الواقعة نحو خمس سنوات فتوفي سنة ٨٢١ هـ - ١٤١٧ م وكان عاقلاً، كاملاً، ملك ٢٥ سنة وبلغ عمره ٦٧ سنة. وخلفه ابنه الأمير خليل فتم له الأمر أربعين سنة[4] وامتدت حكومته إلى عام ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م فتوفي[5]. وخلفه ابنه شروان شاه وفي أيامه ظهر الشيخ حيدر الصوفي (الصفوي) الأردبيلي سنة ٨٩٣ هـ - ١٤٨٨ م وحاصر بلاد شروان فاستنجد شروان شاه بصاحب العراق السلطان يعقوب وكانت نتيجة حربه معه أن قتل الشيخ حيدر وألقى القبض على شاه إسماعيل فهم شروان شاه بقتله فشفعوا فيه. فلما تخلص وذهب لحاله انتهز الفرصة فالتف حوله رجال

---

(١) كذا في الغياثي وجاء في روضة الصفا بلفظ كيومرث وهو الصحيح. وذاك محرف عنه تبعاً لنطق الترك والعجم به (روضة الصفا ج٦ ص١٨٩).

(٢) تاريخ العراق ج٢.

(٣) تاريخ الموصل ج١ ص٢٥٥.

(٤) جاء في منتخب التواريخ ٤٨ سنة في حين أن وفاته وتاريخ سلطنته معلومات فالصحيح ٤٠ سنة.

(٥) منتخب التواريخ ص١٧٩ ولب التواريخ وروضة الصفا ج٦ ص١٨٩ وفيها تفصيل.

أبيه وأسس (الحكومة الصفوية) على ما سيجيء، فقضى على الحكومة الشروانية عام ٩٠٦ هـ ـ ١٥٠٠ م وبعد شهر واحد من استقرار الشاه إسماعيل بها تركها فاستولى الملك (غازي بيك بن شروان شاه) وبقي في الملك نحو ستة أشهر فبغى عليه ولده محمود بن غازي بيك فقتله واستولى على ملك أبيه، فكره الرعية أوضاعه وسوء إدارته، فدعوا أخاه صاحب كيلان شيخ شاه بن غازي. فلما علم السلطان محمود بقدوم شيخ شاه انهزم إلى شاه إسماعيل الصفوي وتمكن شيخ شاه في الحكومة مدة. ثم عاد السلطان محمود ومعه جيش الشاه فحاصر أخاه بقلعة كلستان أكثر من ثلاثة أشهر، فاتفق أن اغتال شيخ شاه أحد مماليكه سنة ٩٢٥ هـ ـ ١٥٢٠ م وفتحت القلعة للسلطان محمود فلم يتم له الأمر، وتسلطن بعده (خليل پادشاه) بن شيخ شاه ودام له الملك نحو عشرين سنة ولم يخلف ولداً فصار بعده ابن أخيه (شاه رخ پادشاه بن فرخ ميرزا بن شيخ شاه وفي أيامه ضعفت الحكومة الدربندية فانقرضت على يد الشاه طهماسب الصفوي. ثم نهض منها بعض الأفراد لاستعادة ملكهم المضاع فلم ينجحوا، وصاروا في خبر كان[١].

وعلى كل كان لحكومة قراقوينلو السيطرة أو السيادة على هذه الحكومة...

حوادث سنة ٨١٦ هـ ـ ١٤١٣ م

قرا يوسف ـ بغداد: (فتوح في طريقه)

في هذه السنة توجه الأمير قرا يوسف إلى العراق، قاصداً بغداد إلا أنه حدث له في طريقه بعض العوارض، فمال من همذان إلى السلطانية وقزوين وطارم وساوه فاستولى عليها[٢]، ولا يزال مشغولاً

(١) أخبار الدول ص٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) منتخب التواريخ ص١٧٩.

بالحروب لا هم له إلا التفكير في الفتح والاستيلاء فلم يسكن جشعه. . . وإنما قويت آماله وزاد فيه حرص التوسع فبلغ الحد. . . ولم يلتفت إلى توطيد النظام. . .

قتلة العجل بن نعير: (أمير العرب)

في ١٤ ربيع الأول قتل الأمير العجل وهو من آل فضل من جراء منازعات بين أمراء سورية كذا في الأنباء، وجاء في المنهل الصافي أنه قتل بيد الأمير طوخ نائب حلب يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول. . . ويقال إن اسمه يوسف بن محمد. ولد بعد الثمانين. . .

وكان العجل شهماً. . . شديد السطوة والجرأة. . . قد استعاد لآل مهنا شوكتهم إلا أنها خضدت بمقتله. . . والتفصيل في أنباء الغمر. وعرف من أمرائهم حسين بن نعير أخوه وكان حياً شاهد ما جرى بينهم[١]. . .

قتلة فضل بن عيسى:

هو فضل بن عيسى بن رملة بن جماز أمير آل علي. وكان ممن نصر برقوق لما خرج من الكرك، فصار وجيهاً عنده، ولم يزل إلى أن قتله نوروز في ذي القعدة وولي الإمرة (٣٥) سنة[٢].

وفيات

١ ـ الأبيوردي الخطيبي:

وهو أبو محمد حسام الدين حسن بن علي بن حسن وكان سرخسي

---

(١) أنباء الغمر وفيه تفصيل، والضوء اللامع ج٥ ص١٤٦ والمنهل الصافي.

(٢) الضوء اللامع ج٦ ص١٧٤ والأنباء.

الأصل ولد سنة ٧٦١ هـ ـ ١٣٦٠ م بأبيورد. انتقل جده إليها، ونشأ بها، وكان هو وأبوه كل منهما يعرف بالخطيب، ولذا قيل له الخطيبي، اشتغل بالعلوم على جماعة من الكبار. . . ولازم السعد التفتازاني، ثم رحل إلى بغداد سنة ٧٨٣ هـ ـ ١٣٨١ م، وقرأ بها على الشهاب أحمد الكردي الفقيه، ولازم فيها الشمس الكرماني، ثم دخلها سنة ٧٩٣ هـ ـ ١٣٩١ م، فأقام بها، وقرأ الحديث على النور عبد الرحمن بن أفضل الدين الأسفرايني، ثم رحل منها في أوائل سنة ٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٣ م، وتجول في أقطار عديدة، وصنف التصانيف الجيدة المفيدة، منها (ربيع الجنان في المعاني والبيان).

توفي ببلدة تعز من اليمن يوم السبت ١٣ جمادى الثانية لسنة ٨١٦هـ ـ ١٤١٣ م[1].

حوادث سنة ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م

برد وضنك:

في هذه السنة اشتد البرد في الموصل، ومنع الناس من الخروج، وكانوا في ضنك من قلة المطر، ثم جاءت الأمطار بغزارة فزال البؤس[2]. . .

شاه رخ ـ قرا يوسف:

كان قد اختلف الحال بين قرا يوسف وبين شاه رخ، ثم تصالحا

---

(١) الضوء اللامع ج٣ ص١١٠.

(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية. لياسين العمري. أوله: الحمد لله الذي دبر وحكم، رتبه على اثنتي عشرة مقالة، كل مقالة في حوادث مائة سنة، وابتدأ من سنة الهجرة. . . والنسخة جديدة رأيتها في مكتبة الملة من كتب علي أميري رقم ٢٣٢٩.

وتحالفا، وتصاهرا ثم انتقض الصلح في هذه السنة وتحاربا[١] . . .

إحراق قبر الشيخ عدي ـ قتل اليزيدية:

«وفيها ـ في سنة ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م ـ أحرق قبر الشيخ عدي بجبل هكار من بلاد الأكراد وهذا الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (بتشديد الكاف)، صحب عدة من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد، وهو من أعمال الموصل، وبنى له به زاوية فمال إليه بتلك النواحي من بها، واعتقدوا صلاحه، وخرجوا في اعتقادهم عن الحد في المبالغة حتى مات عن تسعين سنة في سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة فدفن بزاويته وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره، وهم في عدد كثير، وجعلوه قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، وصار قبره أحد المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة لكثرة أتباعه وشهرته في الأقطار، وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة، فلما تطاولت المدة تزايد غلو أتباعه حتى زعموا أن الشيخ عدي بن مسافر هذا هو الذي يرزقهم، وصرحوا بأن كل رزق لا يأتي من الشيخ عدي لا نرضاه، وأن الشيخ جلس مع الله ـ تعالى عن قولهم ـ وأكل معه خبزاً وبصلاً، وتركوا الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، وقالوا: الشيخ عدي صلى بنا، واستباحوا الفروج المحرمة، وكان للشيخ عدي خادم يقال له (حسن البواب) فزعموا أن الشيخ لما حضرته الوفاة أمر حسن (كذا) هذا أن يلصق ظهره بظهره، فلما فعل ذلك قال له الشيخ «انتقل نسلي إلى صلبك»، فلما مات الشيخ عدي لم يعقب ولداً وصارت ذرية الشيخ

---

(١) أنباء الغمر، والشذرات ج٧ ص١٦٣.

حسن البواب تعتقد العدوية فيها أنها ذرية الشيخ عدي، وتبالغ في إكرامهم حتى أنهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن فيخلو بهن ويقضي الوطر ويرى أبوها وأمها أن ذلك قربة من القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى.

فلما شنع ذلك من فعلهم انتدب لهم رجل من فقهاء العجم يتمذهب بمذهب الشافعي - رح - ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني، ودعا لحربهم فاستجاب له الأمير عز الدين البختي صاحب جزيرة ابن عمر، والأمير توكل الكردي صاحب شرانس[١]، وجمعوا عليهم كثيراً من الأكراد السندية، وأمدهم صاحب حصن كيفا[٢] بعسكر وأتاهم الأمير شمس الدين محمد الجردقيلي، وساروا في جمع كثير إلى جبل هكار فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع الشيخ عدي وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بـ(الصحبتية)، وأسروا منهم خلائق حتى أتوا الشرالق[٣] وهي القرية التي فيها ضريح الشيخ عدي فهدموا القبة المبنية عليه ونبشوا قبره وأخرجوا عظامه فأحرقوها بحضرة من أسروه من (الصحبتية) وقالوا لهم «انظروا كيف حرقنا من ادعيتم فيه، ولم يقدر أن يدفعنا»، ثم عادوا بنهب كثير، فاجتمعت الصحبتية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة، وأقاموا بها على عادتهم، وصاروا عدواً لكل فقيه، يقتلونه حيث قدروا عليه، ولو شاء ربك ما فعلوه». ا هـ.

هذا ما جاء في سير الملوك للمقريزي ونقله الصديق الفاضل

---

(١) وفي نسخة شرانيس.

(٢) قال مصطفى جواد: صاحب حصن كيفا الأيوبي إذ ذاك هو الملك العادل سليمان أبو المفاخر فخر الدين ابن الملك الكامل شهاب الدين غازي. توفي سنة ٨٢٧ هـ.

(٣) وفي نسخة (الشرانق).

مصطفى جواد من المخطوط المرقوم ١٧٢٧ من دار الكتب الأهلية من ظهر الورقة ٢٨٧ إلى وجه الورقة ٢٨٨ وصحح بعض الكلمات من النسخة رقم ١٧٢٨ وبين اختلاف الروايات وعلق عليه التعليقات المذكورة. فله الفضل في إسداء ما قام به من مساعدة.

وفيات

١ ـ الفيروز آبادي:

من أشهر لغويي العرب، نال مكانة لم ينلها إلا صاحب الصحاح، غطت شهرته على غيره، فكان من أكابر أئمة اللغة، ويرتقي نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه، وهو مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي اللغوي الشافعي. قال ابن حجر: لم أزل أسمع أن أبا إسحاق لم يعقب. ولد سنة ٧٢٧ هـ ـ ١٣٢٧ م بكازرون... وهناك بيان تحصيله وتجولاته، ولم يتعرض لدراسته ببغداد، ولا إلى أساتذته هناك، وعدد مصنفاته وبين أن السلطان أويس بالغ في إكرامه... مات ليلة ٢٠ شوال[١].

عدد صاحب معجم المطبوعات مؤلفاته المطبوعة[٢]، ولا يزال قسم من مؤلفاته لم يطبع بعد، وترجمه مؤرخون كثيرون، ومنهم من أفرد له ترجمة خاصة... وكتابه (القاموس المحيط) لم ينل مكانته إلى اليوم كتاب في اللغة، ترجم إلى التركية مشروحاً وموسعاً باسم أوقيانوس، وإلى الفارسية... وعلق عليه أدباء ولغويون عديدون تعليقات مهمة. والجاسوس على القاموس لأحمد فارس وتصحيح القاموس لأحمد باشا تيمور من آخرها، وعندي رسالة مخطوطة في (طب القاموس) تذكر

---

(١) أنباء الغمر.

(٢) معجم المطبوعات: فيروزآبادي.

الألفاظ الطبية فيه، ومن أعظم شروح القاموس (تاج العروس) وهو مطبوع.

ومن المؤسف أن لا يشار في هامش القاموس أثناء الطبع إلى التعليقات والمراجعات معه، أو الرد عليه وكان من السهل الاستفادة منها بتعليقها على نفس الكتاب أثناء طبعه، ولا لوحظ فيه ما استدرك عليه واقتضى إضافته إلى مادته وكان الأولى مراعاة الرغبة في قلب ترتيبته إلى ما هو معهود اليوم بذكر الحرف الأول فالثاني من الكلمة دون اعتبار الآخر أصلاً... وإنما روعي التزام شكله... ولم تقابل نسخه مع النسخ القديمة والمتقنة في مختلف الأقطار لتتضاعف الاستفادة منه فيشار إلى الصحيح.

كان قد انتقل المترجم من كازرون موطن ولادته إلى شيراز وهو ابن ثمان، ثم سار إلى العراق فدخل واسطاً وأخذ عن الشرف عبد الله بن بكتاش قاضي بغداد ومدرس النظامية بها، وولي تداريس وتصادير، وكثرت فضائله[1]...

وقد مر في الجلد السابق بيان مدة مكثه (٧٤٥ ـ ٧٥٥ هـ (وذكر أساتذته في بغداد...[2] ثم دخل زبيد (اليمن) سنة ٧٩٦ هـ ـ ١٣٩٤ م. فأودع إليه قضاء اليمن كله في ذي الحجة سنة ٧٩٧ هـ ـ ١٣٩٥ م، واستمر هناك مدة عشرين سنة. ولم يدخل بلداً إلا أكرمه متوليه وبالغ في تعظيمه مثل شاه منصور بن شاه شجاع من (آل مظفر)، والأشرف صاحب مصر، وأويس سلطان بغداد، وتمرلنك وغيرهم...

وكان مولعاً في اقتناء الكتب حتى نقل عنه أنه قال اشتريت بخمسين ألف مثقال كتباً، وكان لا يسافر إلا وفي صحبته منها أحمال،

---

(١) الضوء اللامع ج١٠ ص٧٩ وفيه تفصيل زائد.

(٢) راجع: تاريخ العراق ج٢.

يخرجها في كل منزل وينظر فيها، لكنه كان كثير التبذير، فإذا أملق باع منها، وإذا يسر اشترى غيرها...

والملحوظ أنه حصل على المعرفة الكاملة، والثقافة العالية في بغداد، وكانت مدة إقامته فيها نحو عشر سنوات وهي كافية لأن يكون كاملاً... والأخذ لا يحتاج إلى مثل هذه المدة، وبعد خروجه من بغداد ظهرت مواهبه، وذاع علمه... نشر ما عرف، وأذاع ما علم، وتوسع في المعرفة...

وترجمته مبسوطة في مدونات عديدة.

حوادث سنة ٨١٨ هـ - ١٤١٥ م

محمد شاه صاحب بغداد:

في ربيع الآخر من هذه السنة توجه محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد إلى سيس فحاصرها[١]. وهنا نرى الشقة بعيدة، والتواريخ لم تفصل هذا الحادث. وسيس من مضافات أدنة وكانت بلاد سيس تعرف بهذا البلد وهي أرمنية الصغرى... وفصل القول عنها في تاريخ جهانكشاي جويني في حواشي الأستاذ القزويني[٢].

إمرة العرب:

في هذه السنة صرف حسين بن نعير عن إمرة العرب، واستقر حديثة ابن سيف في إمرة آل فضل، فوقع بينهما حرب أدى إلى أن يغلب حديثة خصمه، وقتل الأمير حسين في المعركة... وفي شعبان هذه السنة اصلح سلطان مصر بين حديثة وبين غنام بن زامل وحلفهما على الطاعة[٣].

---

(١) أنباء الغمر.

(٢) جهانكشاي جويني ج٣ ص٤٨٦ في الهامش.

(٣) الضوء اللامع ج٣ ص١٥٩ والأنباء.

وهؤلاء أصحاب نفوذ كبير على العشائر الطائية في العراق ولهم سلطة مباشرة على عشائر سورية... وقد ذكرنا أمراء هذه القبيلة وصلتهم بالعراق[1]...

حوادث سنة ٨١٩ هـ ـ ١٤١٦ م

قتلة السلطان محمود:

في هذه السنة قتل السلطان محمود بن شاه ولد بتدبير من دوندي سلطان فوليت الإدارة مستقلة في أنحاء تستر... وكان أقيم معها في السلطنة ودامت مدته نحو خمس سنوات، وقد مرت الإشارة إلى ذلك.

الطاعون:

في هذه السنة انتشر الطاعون في العراق، ولم تسلم منه حتى الموصل، وكان عاماً في بلاد كثيرة كفارس ومصر... وتواتر في الأطراف، وكادت البلدان تخلو من أهليها... فجر على القطر ويلات، كما أن الحروب المتواترة لم يهدأ ثائرها[2]...

وفيات

١ ـ الزين الواسطي:

هو علي بن محمد بن يعيش المعروف بالزين الواسطي، كان قد ولد في شعبان سنة ٧٥٥ هـ ـ ١٣٥٤ م، وسمع على البدر عبد الجبار بن المجد محدث واسط العراق وفقيهها، وعلى العلاء بن التقي الواسطي،

---

(١) تاريخ العراق ج٢.

(٢) عمدة البيان في تصاريف الزمان لياسين العمري، عندي نسخة مخطوطة منه كتبت سنة ١٢١٨ هـ وكنت ظننتها الدر المكنون لأنها كتب على غلافها الدر المكنون.

وأبي العباس أحمد بن معمر البكري القرشي... ثم طوف في البلاد، ووصفه الطاووسي بالعالم الزاهد. توفي بعد سنة ٨١٩ هـ[١].

حوادث سنة ٨٢٠ هـ ـ ١٤١٧ م

البصرة ـ واسط:

جاء في تاريخ الجنابي أن دوندي سلطان ملكت في هذه السنة البصرة، انتزعتها من مانع أمير العرب بعد حروب... وكان مانع هذا قد انتزعها من الجلايرية في إمارة السلطان أحمد بن أويس، ولكن قوي أمر دوندي، فانضم إليها عموم عسكر السلطان أحمد، ثم ملكت واسطاً، وصار يخطب لها في مملكتها، وتضرب السكة باسمها إلى أن ماتت سنة ٨٢٢ هـ...

وفي المنهل الصافي: «بعد أن فرت تندو (دوندي) من بغداد أقامت بششتر فأقيم معها في السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد مدة، فدبرت عليه تندو فقتلته بعد خمس سنين[٢]، وانفردت بمملكة ششتر، ثم ملكت البصرة بعد حروب، وماتت بعد انفرادها بثلاث سنين. فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد مقامها» والنصوص لا تعين إمارة البصرة من أيام السلطان أحمد إلى اليوم، ولكننا نرى الأعلام متقاربة مع أسماء أمراء المنتفق، وأن مانعاً المذكور هو مانع الأول أمير المنتفق على أقوى احتمال...

وجاء في صبح الأعشى ترتيب المكاتبات لأمراء العرب في الأحساء والبصرة... نقل ذلك عن (التثقيف) ولم يعين أمراء البصرة، ولا أسماء حكام البحرين...[٣] ولكن الشرفاء لم ينفكوا عن العراق من

(١) الضوء اللامع ج٦ ص٢٧.

(٢) هذا يوافق ما جاء في الجنابي من أنه قتل سنة ٨١٩ هـ.

(٣) صبح الأعشى ج٧ ص٣٧٠.

أيام الجلايرية، ولا تزال البصرة بأيديهم حتى انتزعتها دوندي، ثم عادت الإدارة، وكانت بين قوة وضعف...

حوادث سنة ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨ م

قرا يوسف في بغداد:

بلغ قرا يوسف أن ولده محمد شاه عصى عليه ببغداد فتوجه إليه وحصره واستصفى أمواله، وعاد إلى تبريز[١]. وفي أنباء الغمر «أشيع أن قرا يوسف حاصر ولده محمد شاه ببغداد واستصفى أمواله، ثم تبين كذب ذلك وأن قرا يوسف كان قد تهيأ للمسير إلى البلاد الشامية فشغله عنها حركة شاه رخ بن تيمور»[٢]. لم يتردد المؤرخون في نقل الخبر وأن صاحب الأنباء أيد وقوعه في موطن آخر في حوادث سنة ٨٢٣ هـ وغالب ما نرى أحوالاً كهذه تتأتى من جهة الضنك الذي يصيب الأهلين، فلا يعودون يؤدون للحكومة ما تطلب من ضرائب أو ما تريد من أموال فيعتذر الوالي لما يرى من سوء الحالة فيظن أن ذلك عصيان منه...

أقطاب الحروفية ـ نسيمي

قتلة نسيمي البغدادي:

غالب المؤرخين ذكروا أن نسيمي الشاعر صاحب النحلة المعروفة بـ(الحروفية) قد قتل في هذه السنة، وبعضهم بين أنه قتل سنة ٨٣٧ هـ، وكان من دعاة الأبطان ومن صناديد الحروفية، جلب الأنظار إليه، وصار يعد أعظم خلف لفضل الله الحروفي.

---

(١) الشذرات ج٧ ص١٦٢ وجامع الدول.

(٢) أنباء الغمر ج٢.

زاد خطره، وذاع صيته، وكثر دعاته، وصار يخشى من توسع نحلته، وتدعمها النزعة الشعرية، والإذاعة القوية... مما دعا لمحاكمته، وتحقق خروجه عن عقائد المسلمين بما بثه من غلو...

كان قد مر الكلام على أستاذه فضل الله[1] وأما هو فقد اشتهر أكثر، ونال مكانة رفيعة بين القائلين بهذه الطريقة، وحصل على ما لم يحصل عليه سابقه بل كاد يقضي على نحلته لولاه. فقد جاهر بما تخوف منه فضل الله، وديوان شعره انتشر بين رجال هذه الطائفة انتشاراً كبيراً وصار يتغنى به فأثر ببلاغته وأسلوبه الأدبي السحار... وله ديوان تركي لا يقل بلاغة عن الشعر الفارسي، وأما شعره العربي فليس بشيء بالنظر لبلاغته الفارسية والتركية...

قال في الشذرات: «قتل الشيخ نسيم الدين التبريزي نزيل حلب وهو (شيخ الحروفية) سكن حلب، وكثر أتباعه، وشاعت هناك بدعته، فآل أمره إلى أن أمر السلطان بقتله، فضربت عنقه، وسلخ جلده، وصلب» ا هـ[2].

وزاد ابن حجر: «... وقع لبعض أتباعه كائنة في سلطنة الأشرف، وأحرقت كتاباً كان معه، فيه هذا الاعتقاد، وأردت تأديبه، فحلف أنه لا يعرف ما فيه، وأنه وجد مع شخص، فظن أن فيه شيئاً من الرقائق، فأطلق بعد أن تبرأ مما في الكتاب وتشهد، والتزم أحكام الإسلام» ا هـ[3].

---

(١) تاريخ العراق ج٢ وترجمته في المنهل الصافي، وفي رياض العارفين المسمى بتذكرة المحققين، وفي تاريخ إيران لعبد الله الرازي، كتبه باللغة الإيرانية طبع سنة ١٣١٧ هجرية شمسية ص٥١٢.

(٢) الشذرات ج٧ ص١٤٤.

(٣) مجموعة خطية في مكتبة ولي أفندي برقم ٨٨١ منقولة عن الأنباء لابن حجر...

والمترجم بين محب مفرط، وكاره مبغض، ولا يزال الشك حائماً حول نسبته ونشأته وحقيقة اسمه ووطنه كما وقع اللبس في أمر معتقده، والغالب أن العجم يدعون أنه منهم، ويعدونه من أكابر رجال الصوفية ومقدميهم، ويندون بمن يقع فيه، ويحتجون على قتله، ويعتذرون لما صدر عنه من رباعيات وقصائد ولا ينكرونها... وأصله من بغداد، من تلامذة فضل الله الحروفي، وهو من التركمان المنبثين في العراق وأطرافها...

كان من الباطنية، وآثاره تدل على ذلك، ولم يتغير فيه رأينا. والمدح والإطراء مبناهما الدعوة له، والدعاية لفكرته، أو التنويه بقوة أسلوبه في اللغتين التركية والفارسية... يحاول صرف معاني القرآن عما يفهم لغة ليحول النظم إلى مزايا الحروف، كأنه كتاب جفر، أو طلسمات وألغاز... مما لا يحتمله منطوق الآيات، ولا يدعمه دليل التأويل...

وهؤلاء يتحاملون على علماء الشريعة، وينبزونهم بـ(أهل الرسوم)، و(أهل الظاهر)، و(القشرية)... وشنعوا على (ميران شاه بن تيمورلنك) بسبب قتله (فضل الله الحروفي) ونعتوه بـ(ماران شاه)، وبـ(الدجال)[1].

قال في (تذكرة المحققين) الموسومة (برياض العارفين)[2]:

«نسيمي الشيرازي اسمه السيد عماد الدين، من السادة رفيعي الدرجات، ومن محققي العصر، أخذ عن السيد شاه فضل، المتخلص بـ(نعيمي)، تخرج عليه، واستشهد سنة ٨٣٧ هـ. وعلى قول بعضهم إنه قتل في حلب، وآخرون قالوا إن مرقده خارج زرقان من شيراز، شوهد

---

(١) تاريخ إيران: عبد الله الرازي ص٥١٣.

(٢) فارسي تأليف رضا قلي خان الملقب بـ«أمير الشعراء» والمتخلص بـ«هدايه» وترجمته في مجمع الفصحاء طبعة إيران على الحجر سنة ١٣٠٥ هـ.

ديوانه في ثلاثة آلاف بيت» ا هـ[1].

وأورد بعض غزلياته ورباعياته... وفيها الغالية، فلم يبال بها وينتصر له، فكأنه لا يفهم معناها... وهكذا ترجم أستاذه فضل الله، وعده عارفاً محققاً وكشافاً للمعضلات...

نعت نسيمي بـ(البغدادي) في غالب المؤلفات، ومنهم من قال نسيم قرية ببغداد نسب إليها وليس بصواب والمعروف أنه لازم فضل لله الحروفي ببغداد...

والمتصوفة الغلاة يعدونه من أساطينهم، والمسلمون يقولون بغلوه... وسبب قتله مجاهرته بما يخالف النصوص القطعية... والرأي العام كان قد تهيج على أمثال هؤلاء، فلا يكتفي منهم بغير القتل...

اعتمدوا في تقوية نحلتهم على الباطنية وهم منهم ليخرجوا بالإسلام عن مزاياه التبليغية، وفككوا نظمه، واعتبروه حروفاً للقضاء على المقصود من معانيه بهذه البدعة وقد سبق أن تكلمت على ذلك...[2] فطاردهم المسلمون، وحكموا بكفرهم...

وهؤلاء توغلوا، فأذاعوا نحلتهم من طريق التصوف، وتزيوا بأزياء مختلفة للتعمية، وهم من أصحاب (وحدة الوجود)، و(الاتحاد)، و(الحلول)، و(التناسخ)... أو قل عقيدتهم (عبادة أشخاص)، والبكتاشية من أكبر المعتنقين لمقالة الحروفية، وكانوا أيام بكتاش ولي لا يعرفونها، وإنما أدخلها علي الأعلى من تلامذة فضل الله الحروفي.

رأينا في الكتب المعاصرة إطراء زائداً لأرباب هذه النحلة، وفيها النقل عيناً من رياض العارفين لترجمة نسيمي وفضل الله، وفي هذه

---

(١) راجع ص٢٣٥ وص١٥٦ من رياض العارفين، وفي الوفاة نظر.
(٢) تاريخ العراق ج٢.

الحالة لا يسعنا أن نعد اطراء مثل هؤلاء دعوة جديدة، ولا طريقة مبتكرة في التوجيه إلى هذه النحلة، ولكن ذلك قلة معرفة، والتتبع العميق يؤدي بنا حتماً إلى أن رجال هذه الدعوة غلاة، وأنهم لا تزال عقائدهم مبثوثة بين ظهرانينا . . .

ولا يعنينا أن يعتقد المرء ما شاء، ولكن الذي نلاحظه من شؤون هؤلاء أن ندون الصحيح من تاريخ العقيدة، وأن نعلم ما تكتموا به، فلا تهمل الوجهة التاريخية، وأثرها . . .

ونسيمي لا يشق له غبار في الآداب التركية والفارسية، تداولت الألسن ديوانه ومقطوعات شعره، وغالب العجم والترك من أهل نحلته القائلين بالحروفية يحفظون له الكثير والحق هو شاعر فحل. . . ، أعلن ما لم يستطع أن يبوح به غيره، فأبدى شجاعة أدبية لما وهب من شعر. . .

رأينا فضل الله قد خذل، وكادت طريقته تموت لولا أن تداركها نسيمي بنظمه وشعره الرقيق، فجددها وأحياها. . . جعل الفارسية والتركية واسطتي تبليغه فمال إليه المتصوفة. . . وما زال يذيع آراءه حتى عادت خطراً، صار يخشى منها أن تحدث اضطراباً وثورة، أو انقلاباً في العقائد بحيث يصبح الإسلام لا علاقة له بأصله، ولا بتعاليم مشرعه. . . وتلخص نحلة هؤلاء بعبادة الأشخاص بل ترجع إلى ما هو أوسع كالاعتقاد بأن المادة هي الأول والآخر. . . فاستكبر القوم عمله، وصار لا يطاق تبليغ فكرته والشعر أعلق بالذهن، فكان أشد وقعاً. . . ولم يكن الناس في عقلية واحدة من خداع الكثيرين مما جلب النقمة عليه. . .

نقرأ الشعر البليغ، فنطرب له وإن كان خلاف ما نحن عليه من سلوك. . وهذا أمر وقتي، ورغبة آنية، أو لذة في الأسلوب، كما ترتاح للغزل، أو الهزل، أو وصف الخمرة ولا تلبث أن تزول ذكرى ذلك. . .

ولكن هذا صادر من صاحب نحلة، يكرر دوماً ما أراد، ويراعي أساليب متنوعة... بقصد استهواء السامع واستدراجه. والمقياس العلمي يختلف عن طريقة التلقين والتعليم...

وقد ترجمه أعوانه وأرباب نحلته قائلين:

«هو المضحي المجازف في مضمار العشق، والشيخ المقلد، والفدائي العظيم في كعبة الحب، أسوة السادات، السيد نسيمي قدس سره العزيز، كان من السادة الصحيحي النسب، ومن الأولياء الذين لا ريب في ولايتهم، ويلقب بنسيمي لأنه ينتسب إلى ناحية نسيم في الديار البغدادية، وأصل اسمه عماد الدين، وهو من طائفة الملامية[1]، من رؤسائهم، والهادين لطريقتهم، اشتهر بشعره التركي في أول أمره ببلاد الروم، وذهب إلى هناك أيام السلطان مراد خان الغازي، وله ديوان في كل لغة من اللغات الثلاث، وكان صاحب عرفان جم في أسرار الله يغبط عليه، وهو من خلفاء فضل الله الحروفي، ومن أكابر مريديه. والاثنان جعلا سلوكهما سائراً على طريقة الحروف، ويريان الاثنين والثلاثين حرفاً متمثلة في شكل الإنسان وهذا المطلع مما يشير إلى الحروف:

يـوزك مـصـحـفـدر أي روح مـصـور
تـعـالـى شـأنـه الله أكـبـر[2]

وجاء في مناقب الواصلين أن السيد نسيمي لم يكن حروفياً، وإنما كان عالماً بها وواقفاً على أسرارها، ولم يكن في أوائل أمره عارفاً بمقامه، ولا درى أنه وصل إلى توحيد الذات، ولا علم أنه ممن فني في الله...!

---

(١) طريقة تصوف، فيها مؤلفات عديدة...

(٢) أيها الروح المصور وجهك هو المصحف تعالى شأنه، الله أكبر.

وفي آخر عمره وصل إلى عالم الغيب، وأدركته الجذبة، واتصلت به أنوارها فلم يعد يدرك نفسه بل غاب عنها مدة، وتجرع شربة العشق، فلم تسغها حوصلته فأفشى الأسرار الواجبة الكتم، وأظهرها... ذلك ما دعا أن يقول:

هـجـوم ايـتـسـه مـحـبـة بـحـر آسـا
صـيـغـارمـي بـرداغـه أمـواج دريـا[1]

وهذا البيت من أبيات كانت قد دعت إلى قتله... ويصطلح على هذا عند المشايخ بـ(قرب الفرائض)، وهو المقام الذي ينسى المرء فيه نفسه، ويرى بعين معشوقه وتمثل في الخارج بقطرة تصل إلى البحر فتضمحل فيه... ومن نظر إلى ظاهر ذلك رآه كفراً ولكن أرباب السرائر يعدونه إيماناً كاملاً، وأهل الظاهر يسمونه كفراً أو (مقام الكفر) أو القريب منه.

فإذا كانت هذه الجذبة كاذبة ـ والعياذ بالله ـ ولم يكن قد وصل المرء إليها، بل قلد فيها، وقالها بلا تحقيق فهو كافر...

أي مقلد أهل تحقيقه ايرش تقليدي قو
أهل تقليدك بلورسن أولماز إيماني صحيح[2]

وقد نهاه أخوه (شاه خندان)، وكان من المشفقين عليه، ودعاه أن لا يفشي السر فأجابه:

دريـاي مـحـيـط جـوشـه كـلـدي
كـونـيـلـه مـكـان خـروشـه كـلـدي

---

(١) إذا هاج بحر الحب أو العشق على المرء أو فاض فهل تسع أمواجه الكأس...؟!
يريد. إذا امتلأ القلب فاض على اللسان.

(٢) أيها المقلد أمعن في طريق أهل التحقيق، ودع نهج التقليد ألا تعلم أن إيمان أهل التقليد غير صحيح...

ســــــــرازل أولـــــــدي آشـــــكــــــارا
عـــارف نـــحـــه أيــلـــســـون مـــدارا
يـــرگـــوگ آراســـي حـــق اولـــدي مـــطـــلـــق
ســويــلــردف وچـنــك ونــي أنــا الــحــق[1]

ومن ثم أفتى أئمة العرب بقتله لمخالفة كلامه للشرع الشريف... وسلخوا جلده، وكانوا قد نظروا إلى ظاهر كلامه فطبقوا عليه أحكام الشريعة... وكان مطمح نظرهم ظواهره، فلم يلتفتوا إلى السرائر...! ومن أراد الاطلاع على أسرار سلوك هذا الرجل فلينظر إلى ما دونه في مقطوعاته الشعرية، ورباعياته، ولينعم فيها البصر، ليقف على معارفه وعوارفه، وحقيقة سلوكه، وإلا فالمرء إذا كان بعيداً عن حقيقة ذلك فمن الملحوظ أنه يحمل صوابه على الخطأ، ويقع الناس في ثلبه وقدحه، وتوجه عليه اللائمة ويرمى بسوء الظن... وعلى كل حال إن الظاهر دليل الباطن، واللسان ترجمان القلب» ا هـ.

وهذه الترجمة كتبت باللغة التركية نقلتها من مجموعة مخطوطة عندي، مملوءة بأنواع الغلو، له ولأمثاله، وهناك جملة أشعار فارسية. وأوسع ترجمة رأيناها له في (عثمانلي مؤلفلري)، وسماه السيد عمر عماد الدين المعروف بنسيمي، ونقل عن عاشق چلبي أنه تركي من آمد، قال وكان من العشاق، وآثاره الشعرية التركية لها قيمتها الأدبية، فإنه قد كسا اللغة التركية ثوباً قشيباً... وديوانه فيها مطبوع، وله ديوان فارسي (عندي نسخ خطية منه)، والنسخة الخطية الكاملة في المكتبة العامة ببايزيد في استانبول. ومن ديوانه نسخة بخط سلطان أحمد الهروي نفيسة

(١) يقول: اضطرب البحر المحيط، فارتبك الكون والمكان، وظهر السر الأزلي، وكم يداري العارف... صار ما بين السماء والأرض هو الحق، وقال الدف والمعزف والمزمار أنا الحق.

محفوظة في مكتبة أيا صوفيا، وفي هذه أكثر أشعاره الفارسية، ويقال إن نسخة من ديوانه التركي المكتوب بخطه موجودة في (مكتبة جنة زاده) في أرزن الروم.

كان يميل إلى شطحيات المتصوفة، ومن جراء ذلك صلب في حلب سنة ٨٢٠ هـ ومن أشعاره الفارسية يستبان أنه سلك نهج فضل الله الحروفي مما دعا إلى القيل والقال، ولكن شارح المثنوي صاري عبد الله يقول في أثره المسمى (ثمرات الفؤاد) بأنه من أهل العرفان. والمنقول أنه ذهب إلى الأناضول، ووصل إلى بروسة في عهد خداوندكار الغازي (السلطان مراد) وهو من أهل نصيبين، ومن أبياته العشقية:

منصور كيبي هپ جوشه كلير سويلر أنا الحق

هر عاشق صادق كه بوميخانه يه أوغرار[١]

وأورد صاحب عثمانلي مؤلفلري جملة من أشعاره الفارسية أيضاً، وأن (شاه نعمة الله ولي) بحث عن طريقته في كتابه «مناقب الواصلين» وأشار إلى أنه عارف بالحروف وفي كنه الأخبار إيضاحات دقيقة عنه. وهنا نشير أن محيي الدين ابن عربي في فتوحاته تكلم على الحروف وسماها «الحروف العاليات»، وفيها يؤكد عقيدة هؤلاء.. وفي (بهترين أشعار)[٢] جملة من الأبيات والمقطوعات وأشعاره معروفة في مجاميع عديدة...

ولا يهمنا أن نذكر كل ما قيل فيه من مدح وثناء من رجال التصوف أمثاله، ونقول إذا كانت أقوال المرء دليل معرفته، أو ظاهرة من

---

(١) يريد كل من طفح كيله، ونالته الفيوضات ينادي «أنا الحق» كما نطق منصور الحلاج بذلك، فكل عاشق صادق يؤم هذه الحانة...

(٢) مجموعة فارسية تأليف ح. پژمان، طبعت حديثاً في إيران.

ظواهر عقيدته وسلوكه فقد نطق بما أوجب قتله... والاعتذار له، أو انتحال التوجيه أمر غير صحيح. فإذا كانت حرية العقيدة مقررة فما هذا التكتم؟ وما هذا التخفي؟ ليجاهر كل بما عنده، ليتبين الصواب من الخطأ..! لأن المعرفة لا تستدعي القبول والتسليم.. ولا سبب لتخفي أمثال هؤلاء إلا ضعف الدليل، وتحقق ظهور البطلان، والخذلان التام من جهة أن عقيدتهم لا تقوى على مناقشة.

نعلم أن الإسلام جاء بالمجاهرة، ولم يأت برموز وإشارات خفية، ولغته واضحة خاطب العقول، وأورد الأدلة، وصرح على رؤوس الأشهاد بما لديه... ومنذ أمد لم يحاسب أحد على عقيدة، ولا على إلحاد... ونرى العقيدة الحقة سائدة لم تتزعزع، ولم يطرأ عليها خلل، كان ولا يزال القرآن الكريم يبطل كل سر، وهو ظاهر على الكل بنصوع حجته...

نعت هؤلاء غيرهم بالجهال، والمقلدة، وأهل الرسوم، وظنوا أنهم أدركوا الحقيقة.. فلم يتقنوا إلا سب العلماء ونبزهم، والتهويل بما عندهم. فيود السامع أن يعرف ما عندهم، ولكنه لا يلبث أن يرى هذه الأقوال فارغة، يكررها المبتدعة في أكثر الأحيان...

يقول هؤلاء بعبادة الأشخاص، وتلخص مطالبهم العملية:

١ ـ في العشق، بحيث ينسى المرء نفسه، ويرددون ذكر ذلك، ويبدون محاسن المحبوب، ووصف خده وقده، وسائر زينته من حاجب وزلف، ومجالس شرب، وتردد إلى الحانة... فيعدون ذلك الموصل إلى الغرض، فيتمرنون على التمتع بالملاذ، فلا شأن لهم غير ذلك، ولا هم لهم إلا أن تنجلي في المحبوب صفات الجمال، فيعدونه (مظهر التجلي) أو (محل الظهور)... ومن حاز هذه الأوصاف فهو المعبود عندهم... منهمكون بالخمرة، يعتبرونها روح الحياة فهم عبادها أو عشاقها...

والخيال يغلب على هؤلاء، تلعب بلبهم الأهواء، فلا يطربون لغير الملاهي، ولا يرغبون لأمر سوى الأنس والتمتع بالملاذ...

٢ ـ رفع التكاليف: تأميناً لهذه الرغبة، وتطميناً للأهواء لقنوا فكرة رفع التكاليف، يقولون نريد صفاء الباطن، ويرتكبون الموبقات، أو لا يبالون بها، ويرون التكاليف عدوة للباطن بل يعتبرونها عثرة في سبيل الموبقات... وكأن طهارة الباطن لا يتيسر الجمع بينها وبين الظاهر، أو أن الشريعة إذا أمرت بالعمل الصالح تريد الظواهر، ولا يودون أن يلتفتوا إلى آية ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ يقولون بتطهير القلب ولا يبالون بانتهاك الحرمات..! فهم الإباحية حقاً، وقدوتهم خيام وأبو نواس...

٣ ـ التأويل والتحريف: صرف هؤلاء معاني القرآن إلى مزاعم يقصدون بها إبطال أحكامه أو كما يقال رفع التكاليف، فجاؤوا برموز حرفية، أو معادلات جبرية ليستغنوا بها عن العلاقة باللغة، والاتصال بالمعنى، فلم يقولوا الفروض المشروعة ذلك ما دعا صاحب كشف الظنون أن يقول عن نسيمي (قتل بسيف الشرع) وسنعود للبحث عند الكلام على الآخرين منهم في العراق...

حوادث سنة ٨٢٢ هـ ـ ١٤١٩ م

دوندي:

وهذه بنت السلطان حسين الجلايري، كانت بارعة الجمال، ذهبت إلى مصر مع عمها السلطان أحمد فتزوجها الملك الظاهر برقوق، ثم فارقها فتزوجها ابن عمها شاه ولد ابن الشيخ علي بن أويس، فلما مات السلطان أحمد أقيم شاه ولد مكانه، فدبرت مملكته حتى قتل، وأقيمت هي بعده في السلطنة، فحاصرها محمد شاه بن قرا يوسف في بغداد لمدة سنة، فخرجت في الدولة حتى صارت إلى واسط، وملكت تستر،

وأقاموا معها محمود شاه بن شاه ولد، فدبرت عليه أيضاً فقتل، لأنه كان ابن غيرها[1]، واستقلت بالمملكة...

وفي الغياثي أنه خلفه أخوه أويس سنة ٨٢٢ هـ، وفي الجنابي سنة ٨١٩ هـ.

أما دوندي فإنها في سنة ٨١٩ هـ قد استقلت ثم غلبت العرب بالبصرة، وصار في ملكها الحويزة وواسط، ويدعى لها على منابرها وتضرب السكة باسمها إلى أن ماتت في هذه السنة وقام بعدها ابنها أويس بن شاه ولد، وتحارب هذا وأخاه محمداً (حاكم البصرة) مدة ثم سار إلى بغداد بعد شاه محمد بن قرا يوسف فقتل في الحرب بعد سبع سنين من ولايته[2]...

هذا. وعندنا التسمية بها معروفة إلى الآن في بغداد باسم (دندي)...

وفيات

١ ـ ابن الكويك التكريتي:

في هذه السنة توفي شرف الدين أبو طاهر محمد بن عز الدين أبي اليمن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد المعروف بـ(ابن الكويك) الربعي التكريتي، ثم الاسكندري نزيل القاهرة الشافعي، وقد قرأ عليه جماعة هناك، وكان شيخاً ديناً، ساكناً... من بيت رياسة[3].

---

(١) في تاريخ العراق ج٢ أنه ابنها فجاء هنا ما يعلل الحادث ومثله في تاريخ الجنابي.

(٢) الضوء اللامع ج١٢ ص١٦ والدرر الكامنة، والغياثي إلا أن النصوص الأخرى تزيد عما في الغياثي.

(٣) الشذرات ج٧ ص١٦٣.

حوادث سنة ٨٢٣ هـ ـ ١٤٢٠ م

شاه رخ ـ قرا يوسف (وفاته)

في هذه السنة قصد شاه رخ حرب الأمير قرا يوسف، فلما سمع هذا وافى لملاقاته، واستعد الفريقان للنضال، وكان آنئذ الأمير قرا يوسف في أوجان. وفي يوم الخميس ٧ ذي القعدة وجد ميتاً موتاً عادياً، شوهد مطروحاً على الأرض، ففر من كان معه، وانتهب التركمان أمواله وخزائنه حتى لم يبقوا على جسده لباساً... ولم يكن أحد من أولاده حاضراً، ونهبوا خيمته وتركوه في العراء، وبعضهم قطع أذنه لأخذ قرط فيها... وبينا هو على هذه الحالة إذ جاءه الاختاجية[1] فنقلوه إلى أرجيش حيث دفن في مقبرة آبائه وأجداده[2].

وفي جامع الدول:

«يحكى أن شاه رخ لما توجه إلى قرا يوسف أمر القراء فقرأوا سورة الفتح اثني عشر ألف مرة، فتم الفتح بلا جدال ببركة القرآن العظيم...» اهـ.

ومثل هذه الرواية في كلشن خلفا[3].

وهذا غير مستبعد من عقلية القوم، جعلوا القرآن العظيم (تعاويذ) و(طلسمات) أو (مجموعة رقى) وأبطلوا الغاية الأصلية منه وهي الإرشاد والهداية، فأكسبوه شكلاً مادياً. فإذا قال ﴿فيه شفاء للناس﴾ ظنوه طبيباً لأبدانهم...!!

---

(١) لفظه اختاجي جغتائية يراد بها السايص أو العكام كما في لغتة جغتاي ص٦.

(٢) لب التواريخ ص٢١٣ ومثله في منتخب التواريخ ص١٧٩.

(٣) ص٥١ ـ ٢.

ترجمة الأمير قرا يوسف:

مضى بعض ما قام به من الأعمال الحربية والسياسية.. وأهم ما فيها سعيه الحثيث لتوسيع نطاق سلطنته، كان في نضال مع المجاورين ودخل في معارك وبيلة... دامت مدة سلطنته نحو ١٤ سنة اعتباراً من تاريخ استيلائه على تبريز، وتوفي عن عمر يناهز ٦٥ عاماً، وكان شجاعاً موفقاً في حروبه، لم يجمع في خزانته مالاً كبيراً فهو سخي يبذل ما لديه لأنه في أيام تأسيس دولته.. أعلن أولاً سلطنة ابنه پيربوداق، وهذا توفي قبله، وله من الأولاد (الأمير اسكندر)، و(ميرزا جهان شاه)، و(الأمير شاه محمد)، و(الأمير اسپان)، و(الأمير أبو سعيد) ومن هؤلاء شاه محمد تخلصت له حكومة بغداد واستقل بإدارتها إلى أن هزمه أخوه الأمير أسپان[1].

وجاء في الأنباء عن المترجم بما نصه:

«كان في أول أمره من التركمان الرحالة، فتنقلت به الأحوال إلى أن استولى بعد اللنك على عراق العرب والعجم، وملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها، واتسعت مملكته حتى كان يركب في أربعين ألف نفس وكان نشأ مع والده، وتغلب على الموصل، ثم ملكها بعده. وكان ينتمي إلى أحمد بن أويس، وتزوج أحمد أخته، وكان يكاتب صاحب مصر وأبوه ينجد أحمد بن أويس في مهماته، ثم وقع بينهما (وهكذا مضى في ذكر وقائعه مما مر الكلام عليه إلى أن قال:) مات في ذي القعدة سنة ٨٢٣ هـ وقام من بعده ابنه اسكندر بتبريز، واستمر محمد شاه ببغداد.

وكان قرا يوسف شديد الظلم، قاسي القلب، لا يتمسك بدين واشتهر عنه أن في عصمته أربعين امرأة، وقد خربت في أيامه وأيام أولاده مملكة العراقين..» اهـ.

---

(١) لب التواريخ ص٢١٤ ومنتخب التواريخ ص١٨٠.

والأوصاف الأخيرة من الظلم والقسوة، وعدم التمسك بدين ذكرها مؤرخون عديدون. . .

قال في المنهل الصافي:

«. . . عاد إلى تبريز في جمادى الأولى سنة ٨٢٣ هـ فمرض بها ومات في ٤ ذي القعدة. . وأراح الله الناس منه، نسأل الله أن يلحق به من بقي من ذريته، فإنه هو وأولاده الزنادقة الكفرة كانوا سبباً لخراب بغداد وغيرها من العراق وهم شر عصبة، لا زالت الفتن في أيامهم ثائرة، والحروب قائمة إلى يومنا هذا، وطالت مدتهم بتلك البلاد التي كانت كرسي الإسلام، ومنبع العلم ومدفن الأئمة الأعلام، وقد بقي إلى الآن من أولاده جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وغيرها، والناس على وجل لكونه من هذه السلالة الخبيثة، النجسة فالله يأخذه من حيث يأمن. . .» ا هـ.

قرا يوسف ـ زوجته:

وجاء في جامع الدول أنه «كان شجاعاً مقداماً» جرت بينه وبين عسكر الأمير تيمور عدة معارك وحروب، فاستولى على عراق العرب، وأخرج منه صاحبه السلطان أحمد الجلايري. . . ولما هرب من تيمور ثانية قبض عليه وعلى السلطان أحمد في دمشق وحبسا. . . وكان أمير أمرائه پير عمر بيك يحصل شيئاً من سقاية الماء فيصرفه في مؤنة صاحبه قرا يوسف والسلطان، ثم انتسب پير عمر إلى خدمة الأمير شيخي نائب دمشق. . . وفي أثناء ذلك بلغ نائب دمشق أن زوجة قرا يوسف معها قطعة من اللعل لا يملكها أحد من الملوك، فطلبها منها فأنكرتها، فأمر النائب المذكور بعقابها فقالت سراً للأمير پير عمر بيك أن اللعل معي بين خلال شعري، فأوصلها بعد هلاكي إلى زوجي، ثم أمرها زوجها قرا يوسف بدفعها إلى النائب المذكور وتخليص نفسها من العقاب ففعلت

وتخلصت، فولد لقرا يوسف جهان شاه في مدرسة ماردين لأنه هرب من دمشق، ووصل إلى ماردين فأكرمه صاحبه للحقوق السابقة بينهما. ولما عاد تيمور من الروم ولى العراق لحفيده ميرزا أبي بكر بن ميرانشاه وأرسله إلى بغداد وأمده بحفيده الآخر ميرزا رستم بن عمر شيخ، فساروا وقاتلوا قرا يوسف قرب الحلة، وقتلوا أخاه يار علي بن قرا محمد، فانهزم قرا يوسف منهم فهرب إلى مصر قبض عليه وعلى السلطان أحمد.. بأمر الأمير تيمور وحبسهما فولد لقرا يوسف في المحبس ولد سماه پير بوداق، فتبناه الجلايري، وبقيا في الحبس إلى أن وصل خبر وفاة الأمير تيمور إلى صاحب مصر فأطلقهما... (وقد فصل حوادثه بعد ذلك وقال:) فاستولى قرا يوسف على جميع أذربيجان، واجلس ابنه پير بوداق على سرير من ذهب، وجعله سلطاناً وخطب له لأجل أن السلطان أحمد كان قد تبناه، وكان قرا يوسف يقوم بين يديه... ولا يجلس بدون الإذن والإشارة منه، وأمر أن يكتب على الفرامين والمناشير بهذه العبارة (پير بوداق يرلغندين أبي النصر يوسف بهادر نويان سوزميز)... (ثم ذكر وقائعه مع السلطان أحمد وخارج العراق وقال) وتوفي في أوجان يوم الخميس ٧ ذي الحجة سنة ٨٢٣ هـ... وكان عمره (٦٥) سنة ومدة سلطنته ١٤ سنة وأياماً. وكان شجاعاً مقداماً، مظفراً في حروبه، جواداً، لا يجتمع في خزانته أموال قط لفرط جوده وبذله...» اهـ. وفيه يشاهد أن تاريخ الوفاة مختلف فيه... وهنا قصة زوجته مما تلفت الأنظار فقد تفادت له، وأبدت أخلاقاً عالية في سبيل نفعه ولو بتقديم حياتها في مرضاته... كما أن التنديد به من جراء ما وقع من حروب وانتهاك حرمات فذلك شأن كافة الملوك والأمراء آنئذ... ولعل السبب في توجيه النقد عليه من جراء أنه وأمثاله من التركمان قد ازعجوا مواطنهم، والأقطار المجاورة بما أحدثوه من زعازع وحروب وكل واحد منهم يأمل أن يكون هلاكو أو تيمور...! فكان ضررهم أكبر من

أولئك، فلم تقف أمورهم على حرب فيذهب البؤس بعدها.. تتكرر كل حين والناس في اضطراب وارتباك... كل يوم فزع وتشوش...! وإلا فالمؤرخون الآخرون يرون أوضاعه اعتيادية كأمراء زمانه...

قال في أحسن التواريخ: «كان موصوفاً بالعدل والإنصاف، وبالكرم والرأفة ويمكارم الأخلاق ويمتاز بنعوت كثيرة، وخصال عديدة، وكان في كافة أوامره ونواهيه يراعي خوف الله... والناس في هذه الحالة على دين ملوكهم، سلكوا نهجه... ودأبه الوقيعة بالظالمين، ورعاية المظلومين، وسعيه مصروف لتكثير الزراعة، واستمالة الزراع، وله خيرات ومبرات، وانعامات على الجيش، ديدنه تحسين حالة الموقوفات وقاعدته من عدل ملك ومن ظلم هلك. وله حروب كبيرة...» ا هـ.

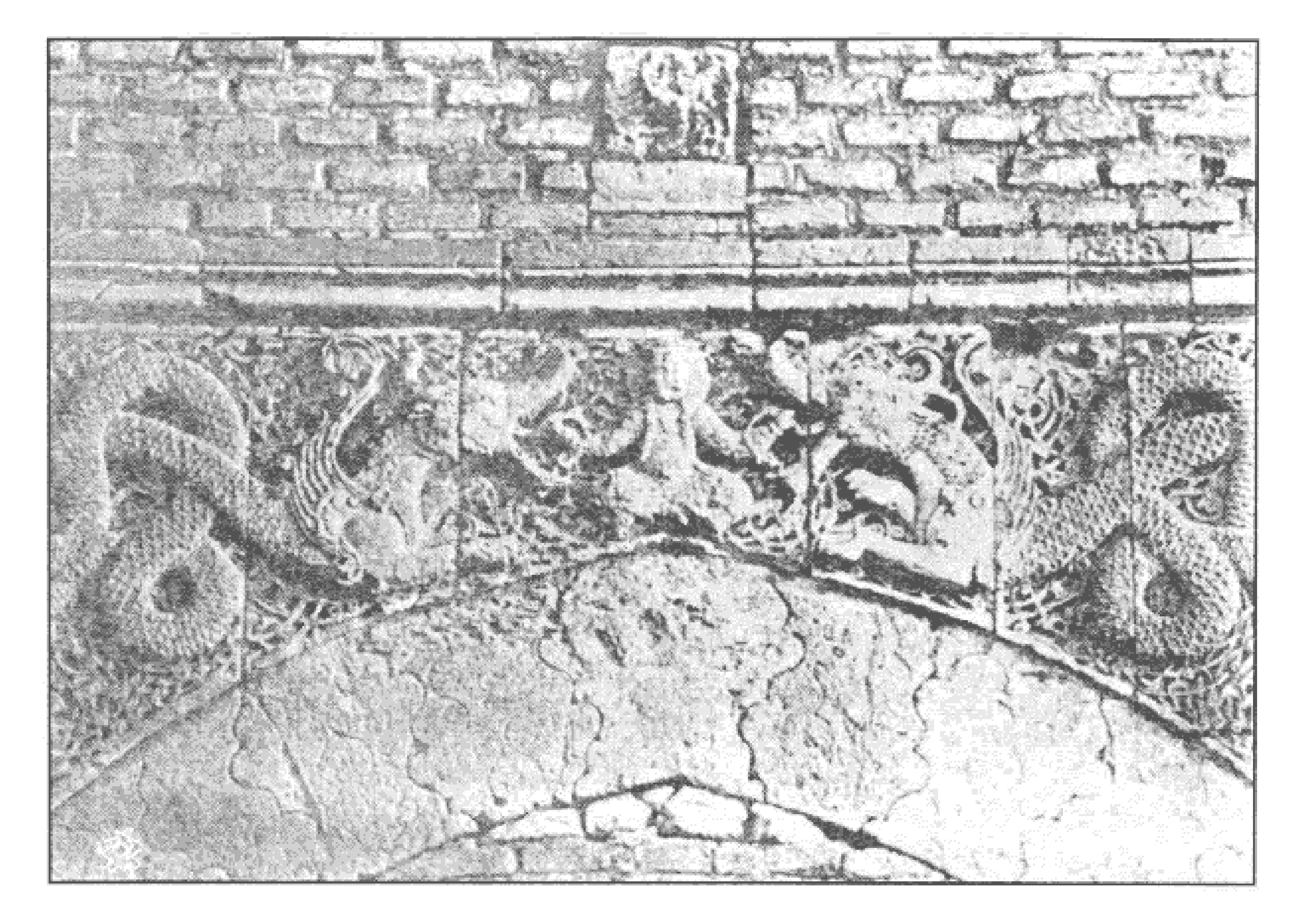
وقال العيني: «كان من جملة التراكمة الرحالة في بلاد المشرق، فترقت به الأحوال إلى أن ملك تبريز وبلادها، وبغداد وماردين وغير ذلك...» ا هـ[1].

وله ترجمة في الضوء اللامع[2] ولا نرى ضرورة لاستنطاق مؤرخين عديدين... وهذا يكفي للتعرف، والمتضرر يتكلم بما مر من النقد والذم، والمشاهد ينطق بما ذكر من المدح... والكل صادق فيما بين، والرجل قد ضر ونفع، وقتل وأحيا... أو جمع بين النقيضين... وما جرى ما جرى إلا لأن القوات متوازنة بين الأمراء المعاصرين ولم يطفح كيل أحدهم ليتمكن ويعيش الأقوام براحة... وبوفاته تفرق أولاده، وانحلت المملكة، وكاد يقضي عليها لولا أن تداركها خلفه الأمير اسكندر... والتفاوت في نعته بالظلم والقسوة، والعدل والرأفة كبير. والكل متفق على أنه شجاع جواد... ويعد من الأعاظم لولا أن المجال ضيق، والحكومات

---

(١) عقد الجمان.

(٢) الضوء اللامع ج٦ ص٢١٦.



النقوش على باب الطلسم ـ عن دار الآثار العراقية

المجاورة لم تذعن له وأبدت عين ما أبداه وقابلت شدته بمثلها . . .

ملحوظة:

كاتب ديوانه (أبو يزيد). وهذا كان قد تدرب به يعقوب شاه بن أوسطا علي الأرزنجاني وكان ابن أخ زوجته . . . انتقل يعقوب شاه مع عمته إلى الديار المصرية وكان يعرف ألسنة عديدة، وتقدم بمصر[١] . . .

حوادث سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م

سلطنة الأمير اسكندر:

كانت وفاة قرا يوسف قد ولدت ارتباكاً وانحلالاً، فدهش القوم لموته، وتفرقوا أيادي سبأ . . . ومن ثم توجه شاه رخ إلى تبريز للاستيلاء عليها بلا مانع ولا صاد. أما أسبان فقد ذهب إلى بغداد، وكذا جهان شاه. ومضى أبو سعيد إلى جصان. أما الأمير اسكندر فقد كان من الشجعان المشهورين، لم يبلغ مرتبته أحد من رجال طائفته، فلم يستكن، اجتمع إليه إثر وفاة والده أكثر أصحابه، وولوه عليهم بكركوك وحينئذ ذهب إلى شاه رخ، وقاتله يوم الاثنين ٢٧ رجب هذه السنة. (وفي الغياثي كان ذلك سنة ٨٢٥ هـ) في موضع يقال له (يخشي) من حدود اشكرد (وفي الغياثي بأوج كليسا)، دامت الحرب بينهما يومين كاملين وقتل من الطرفين خلق كثير. وفي اليوم الثالث انهزم الأمير اسكندر إلى جهة الفرات، ومن هناك حول عزمه إلى أنحاء ماردين حذراً من هجوم عثمان بيك، فسار هذا لقتاله، وصار معه كوكجه موسى مع قوم (دكر)[٢] في حين أن أخته كانت تحت الأمير اسكندر. ولما التقى الجمعان قرب

---

(١) الضوء اللامع ج١٠ ص٢٨٠.

(٢) بضم الدال. وفي الشرفنامة «هم من الأكراد في خراسان، وإن الشاه طهماسب فوض الإمارة عليهم إلى شخص يدعى شمس الدين». راجع ص٤٢٤.

ماردين شاهد كوكجه كثرة جيوش الأمير اسكندر، فانحرف من عثمان بيك وعاد إلى ناحية الأمير اسكندر ومعه أصحابه من قوم دكر، فاستمر القتال نحو ٢٥ يوماً فعظم جمع اسكندر وضعف جيش عثمان، وجرح في المعركة، وكاد يؤسر لولا أن أنقذه ولده علي بيك (والد حسن بيك الطويل)، فثبت حتى انتصر..

أما شاه فإنه بعد الفتح عاد إلى خراسان، وعند ذلك رجع الأمير اسكندر إلى دار ملكه تبريز، فجلس على سرير حكمها، واستولى على أذربيجان.. ومن ثم ابتدت حوادث أيامه، وطالت الحروب بينه وبين شاه رخ وسائر المجاورين، وغالبها مما لا يخص العراق، فلا نتعرض لها إلا قليلاً.

هذا وقد مكث جهان شاه وأسپان في بغداد إلا أن جهان شاه لم يطل مقامه فيها وإنما غادرها بعد مدة، فمضى إلى تبريز[1]...

أحوال العراق:

من تاريخ الاستيلاء على بغداد إلى هذه الأيام كانت الأمور ساكنة هادئة، ولم يكدر الصفو إلا ما جرى بيانه من استصفاء أموال الوالي محمد شاه... وفي خلال هذه المدة كان العراق مستقلاً بإدارته، وليس له علاقة مباشرة في المعمعات التي قام بها السلطان قرا يوسف وأولاده إلى أن توفي... ومن ثم ثارت الفتن، وكثر الشغب على محمد شاه... وكانت سلطة بغداد آنئذ لا تتجاوز بغداد والمواطن القريبة منها في غالب أحوالها...

(١) جامع الدول ج٢، ومنتخب التواريخ ص١٨٠ والغياثي ص٢٦٧ و٢٧٣.

السلطان أويس يهاجم بغداد:

في مستهل سنة ٨٢٤ هـ هاجم السلطان أويس بن شاه ولد الجلايري بغداد عازماً على اكتساحها، وكان قد ولي الإمارة في تستر (شوشتر) سنة ٨٢٢ هـ إثر وفاة أمه دوندي ولما سمع بوفاة الأمير قرا يوسف، طمع ببغداد، وسار إليها، فوصل إلى باب البلد، فضرب أصحابه الباب بالدبابيس. وشاه محمد بقي محاصراً لم يأذن بالحرب. وكان ذلك في أواسط المحرم من هذه السنة...

وفي هذه الأثناء توجه الأمير اسكندر إلى أنحاء العراق هرباً من الجغتاي جيش (شاه رخ) فوصل إلى أطراف كركوك واتفق ذلك مجيء السلطان أويس، فلما علم بذلك خاف من الأمير اسكندر فرجع إلى ششتر[1].

وهناك نصوص أخرى جاءت مؤيدة إلا أنه جاء في أحسن التواريخ أن الأمير جهان شاه سارع لنصرة أخيه شاه محمد، فوقعت حرب عظيمة بينه وبين أويس فألقى القبض عليه وقتله... وهذا ناشيء من تداخل الوقائع... والقتل هنا ليس بصواب... ففي المنهل الصافي: «بعد وفاة تندو سنة ٨٢٢ هـ أقيم ابنها أويس بن شاه ولد فقتله أصبهان في المعركة بعد سبع سنين من ولايته، فأقيم بعده أخوه السلطان محمد بن شاه ولد[2] وبقي بتستر (شوشتر) ست سنين، ومات فملك بعده السلطان حسين...» اهـ[3].

ومثله جاء في الشذرات وفي الضوء اللامع، فلا مجال لقبول حادث قتله في التاريخ المذكور.

---

(١) الغياثي ص٢٠٨.

(٢) هو السلطان محمد، كان حاكم البصرة، وله نقود ذكرها أحمد توحيد في (مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي) في ص٤٦٨ وهو من الجلايرية ولكنه عده من قراقوينلو وليس بصواب.

(٣) المنهل الصافي.

حوادث الحلة

بين خفاجة وربيعة:

في هذا التاريخ وقعت الحرب بين قبائل ربيعة، فاستنجدوا بقبيلة خفاجة، وكان أميرها إذ ذاك عذرة (عذرا)... فوصل إلى الحلة، طمع فيها لما رأى فيها من أموال وخلوها من حاكم ذي شوكة ومنعة... فحاصرها واستولى عليها يوم السبت ١٧ المحرم سنة ٨٢٤ هـ فانتهبها وقتل منها جماعة وتساقط أهل البلد خوفاً منه، وخرجوا إلى الجانب الآخر...

جرى ذلك كله والشاه محمد ببغداد لا يبدي حراكاً[١]...

ربيعة:

هذه القبيلة قديمة في العراق. قال ابن خلدون: «أما ربيعة فجازوا بلاد فارس وكرمان، فهم ينتجعون هنالك ما بين كرمان وخراسان. وبقيت بالعراق منهم طائفة ينزلون البطائح والسيب إلى الكوفة، ومنهم بنو صياح[٢] (مياح) ومعهم لفائف من الأوس والخسرج، فأمير ربيعة اسمه الشيخ ولي، وعلى الأوس والخسرج طاهر بن خضر...» ا هـ[٣].

ولا تزال ربيعة تسكن العراق، ومنها مياح، والسراي (السراج)، وبنو عمير، وتساكنها قبائل عدنانية أخرى مثل كنانة وكعب. وإمارتها في (تغلب) ولا تزال محتفظة بنخوتها (تغالبة)، وأمير ربيعة اليوم محمد بن

---

(١) الغياثي ص٢٢٨.

(٢) كذا وصوابه مياح بالميم، وهو غلط ناسخ.

(٣) تاريخ ابن خلدون ج٦ ص١٢.

حبيب الأمير، ومواطنهم في لواء الكوت وفي صدر الغراف...

قبيلة خفاجة:

من قبائل العراق القديمة، مواطنها في أنحاء المنتفق، في قضاء الشطرة وتفرق منها جماعات كبيرة، وصغيرة في جهات أخرى كالحلة وكربلاء وبغداد وديالى. قال ابن خلدون: «وكان من بني عقيل خفاجة بن عمر بن عقيل. انتقلوا إلى العراق، فأقاموا به، وملكوا ضواحيه، وكانت لهم مقامات وذكر، وهم أصحاب صولة وكثرة، والآن هم ما بين دجلة والفرات...» ا هـ[1].

وجاء في السمعاني: «خفاجة اسم امرأة. هكذا ذكره لي أبو أربد الخفاجي في برية السماوة، ولد لها أولاد وكثروا، وهم يسكنون بنواحي الكوفة، وكان أبو أربد يقول: يركب منا على الخيل أكثر من ثلاثين ألف فارس سوى الركبان والمشاة، لقيت منهم جماعة كثيرة، وصحبتهم. والمشهور بالانتساب إليهم الشاعر المفلق أبو سعيد الخفاجي، وكان يسكن حلب، وشعره مما يدخل الأذن بغير إذن» ا هـ.

ويعدون الآن في عداد الأجود من قبائل المنتفق، واليوم قبيلتهم قوية... لكنها لم تكن لها الرياسة كما عينها المؤرخون. قال ابن بطوطة: «سافرت ـ من النجف ـ إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة، وبأس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم...» ا هـ[2].

والحالة القبائلية عندنا متبدلة جداً، فلا تقف عند وضع ورئيسهم اليوم صقبان آل علي، وفي الحلة قسم كبير منهم لا يزالون أصحاب سلطة ومكانة كبيرة... ورئيسهم إبراهيم آل سماوي.

---

(١) العبر ج٦ ص١٢.

(٢) تحفة النظار: ابن بطوطة ج١ ص١٠٨.

أبو علي في الحلة:

ثم دخل الحلة شخص من الأنبار يقال له (أبو علي)، كان جرائحياً، وله بسطة في بغداد، وكان فارساً جلداً، وله أخ اسمه ناصر الدين على ما جاء في رسالة من عند السلطان أويس إلى عذرة أمير خفاجة مقرراً له مالاً على حفاظ بلد الحلة، فوجده قد فعل ما فعل، وأقام أبو علي مع نائب الأمير عذرة لاستيفاء المال المقرر فشرعوا في بيع ما يخلف من الثمرة العتيقة، فلما استوفى نائب عذرة المال توجه إلى أميره، وحكم أبو علي الحلة، وكان حسن السيرة، واستمر مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، وحاكم بغداد إذ ذاك الشاه محمد.

وفيات

عبد الملك البغدادي:

هو عبد الملك بن سعيد بن الحسن نظام الدين الدربندي الكردي البغدادي الشافعي، ولد في شعبان سنة ٧٤٩ هـ سمع ببغداد على أصحاب الحجار، صحب النور عبد الرحمن الأسفراييني البغدادي، وتخرج به، وتسلك ولازم الخلوة كثيراً، ودخل دمشق، وتردد لمكة مراراً، وجاور فيها غير مرة، وتوجه منها إلى اليمن في أول سنة ٨١٦ هـ وعاد منها إلى مكة في منتصف التي تليها، وأقام بها حتى مات غير أنه توجه لزيارة المدينة في بعض السنين وعاد منها، وباشر في مكة وقف رباط السدرة بعفة وصيانة ووقف كتبه بها، وحدث. سمع منه الطلبة.

وكان عالماً صالحاً... له إلمام بالفقه وطريق الصوفية، ويذاكر بأشياء حسنة من أخبار المغل وولاة العراق المتأخرين. مات في جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ بمكة ودفن بالمعلاة[1].

---

(١) الضوء اللامع ج٥ ص٨٤.

وأصحاب الحجار منهم الحسن بن سالار راجع المجلد الثاني.

حوادث سنة ٨٢٥ هـ - ١٤٢٢ م.

القضاء على أمراء بغداد وأعيانها:

كان السلطان أويس[1] الجلايري حين توجه إلى بغداد قد أرسله الأمراء والأكابر في بغداد، فعلم الشاه محمد بالجميع، وقبض على جماعة منهم فقتلهم يوم الأحد ١١ جمادى الأولى سنة ٨٢٥ هـ وبينهم وزيره الخواجة مسعود، فكانت المصيبة كبيرة، ومؤلمة جداً...

الأمير درسون في الحلة:

وهذا الأمير توجه من تلقاء نفسه إلى الحلة دون أن يأمره الشاه محمد، وكان أمير الديوان، فسار ومعه أربعمائة فارس، فخرج أبو علي، ودخل هو في ذي القعدة سنة ٨٢٥ هـ[2].

حوادث سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٢٣ م

السلطان أويس - هجومه على العراق:

في السنة السابقة توجه ميرزا إبراهيم بن شاه رخ من شيراز إلى تستر، ولما سمع به السلطان أويس، وعلم أنه لا طاقة له به تركها، فاحتلها الميرزا، ومن ثم مضى أويس إلى واسط والجزائر، ومن هناك جاء إلى الحلة، فوصل إليها يوم الاثنين ٤ رجل سنة ٨٢٦ هـ وكان بها

---

(١) جاء غلطاً السلطان حسين كما يتوضح من الوقائع التالية.

(٢) الغياثي ص٢٦٨ وفيه تعداد أسماء المقتولين.

الأمير درسون، ودخل عسكر السلطان وقد قطع الجسر ولم يتغير على البلد شيء.

أما درسون فقد توجه إلى تبريز ذاهباً إلى الأمير اسكندر، ولم يعرج إلى بغداد، لما رأى من لينة الشاه محمد وركة حاله... ثم إن السلطان أويس طمع في بغداد، فتوجه من الحلة إليها، وحاصرها من الجانب الغربي، فلم يقدر عليها، ورجع إلى الحلة... حكم بها مدة سنة، وتوفي يوم الأربعاء ٩ شعبان ٨٢٧ هـ... وكان وزيره تاج الدين بن حديد من أهل الحلة، وتوفي هذا يوم الجمعة ٤ ربيع الآخر سنة ٨٢٨ هـ[١].

الفاضل الأسدي:

هو الشيخ أبو عبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلي الأسدي. كان عالماً فاضلاً متكلماً. له كتب منها:

١ ـ شرح نهج المسترشدين في أصول الدين.

٢ ـ كنز العرفان في فقه القرآن.

٣ ـ التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع.

٤ ـ شرح الباب الحادي عشر.

٥ ـ شرح مبادىء الأصول.

٦ ـ الأسئلة المقدادية.

---

(١) الغياثي ص٢١١ ورد فيه السلطان أويس، ثم كرر السلطان محمداً، وجاء في أحسن التواريخ أنه السلطان محمود مع أنه توفي سنة ٨١٩ هـ، والصواب السلطان أويس لما مر من النصوص... إلا أن في تاريخ الوفاة نظر، ولم نجد من المعاصرين العراقيين من قطع في تاريخ الوفاة وفي الأنباء والضوء اللامع ما يخالف ذلك.

٧ ـ الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد. وطبع باسم (منهج السداد) سهواً.

والأخيران ذكرهما صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة[١]. وهو من تلاميذ الشهيد وفخر المحققين. وترجمته مبسوطة في روضات الجنات[٢]. توفي يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٢٦ هـ، أرخ وفاته تلميذه الشيخ حسن بن راشد الحلي. ذكره في الذريعة وممن أخذ عنه الشيخ أحمد بن فهد الحلي.

ملحوظة:

الشهيد هو محمد بن مكي العاملي الجزيني من الشيعة الاثني عشرية، عالم مشهور بالشهيد الأول، وله اللمعة في الفقه معروفة، طبعت على الحجر في إيران. وكان قد جاء ذكره في الأنباء، وفي الشذرات بنعت (العراقي النصيري) ظننت أنه غير الشهيد، وهو لم يكن نصيرياً ولا عراقياً، فاقتضى تصحيح ما جاء هناك، ويعد من الواردين إلى العراق والآخذين عن علمائه[٣].

---

(١) ج٢ ص٩٢ و٢٣١.

(٢) ص٥٦٦.

(٣) راجع تاريخ العراق ج٢.

وكنت صححت ما جاء فيه فعلق الأستاذ مصطفى جواد أن علماء الشيعة هم الذين أفتوا بقتله. ذكر ذلك في كتاب مفصل أرسله إليّ، وبهذا أكد ما قيل سابقاً. وهنا النصوص تكون موضوع البحث وتناقش علمياً، وجاءت ترجمته في روضات الجنات موسعة. ومحل ذلك (التاريخ العلمي).

حوادث سنة ٨٢٧ هـ ـ ١٤٢٤ م

السلطان حسين بن علاء الدولة في الحلة:

هو ابن علاء الدولة ابن السلطان أحمد الجلايري، ولد في سجن عادل جواز وتربى هناك وكانت أمه من الجغتاي. عاش عند الأمير عثمان البايندري، فطلبه السلطان محمد[1] قبل وفاته بأربعة أشهر. فلما توفي حكم السلطان حسين بالحلة في أول نهار الجمعة ١٠ شعبان سنة ٨٢٧ هـ، وهو آخر سلاطين الجلايرية، وكان سيىء السيرة، فاسقاً...[2] ولكن هذا التاريخ مضطرب لما سيأتي من وقائع...

ومن هذا ـ إن صح الخبر ـ إن السلطان أويس توفي قبل هذا التاريخ فخلفه أخوه السلطان محمد وبوفاة هذا ولي السلطان حسين...

حوادث سنة ٨٢٨ هـ ـ ١٤٢٥ م

الأمير أسپان ـ بغداد:

من حين توفي قرا يوسف توجه الأمير أسپان إلى شاه محمد في بغداد وهذه المدينة من ذلك الوقت تمزقت أشلاؤها، وتوزعت سلطتها، وتفرقت بيد الكثيرين، فأقام الأمير أسپان في الجانب الغربي بعمارة السلطان أحمد فرأى أحوال شاه محمد لم تجر على سداد وروية، فاغتنم الفرصة، وتوجه إلى الدجيل وكانت هذه المقاطعة لميرزا علي بن شاه محمد، فشكاه عند والده فعوضه بغيرها وقال له لا أنازع أخي.

ثم توجه الأمير أسپان إلى حربي، وكانت لزينل ابن ميرزا علي فأخذها وجعلها مقراً له، وجبى أموال الدجيل إلى تكريت فلم يعارضه

---

(١) السلطان محمد هو حاكم البصرة، وهذا ولي بعد وفاة السلطان أويس.

(٢) الغياثي ص٢١١.

أحد، وقد وقف عند هذا الحد، إلا أنه دخل الحمام يوماً بحربي ففاجأه ميرزا علي وكبسه في وسط الحمام، فهرب أسپان، وصعد إلى سطح الحمام، وجمع عسكره وساق على الميرزا ففر منه، وعبر (الشريعة الجديدة)، وتوجه إلى بغداد.

أما أسپان فقد عبر دجلة، ومضى إلى أنحاء الخالص، وتجاوز ديالى، فاستولى على طريق خراسان، ومهروذ، وتصرف بأموالها... وشاه محمد في هذه الحالة أيضاً ساكت عنه، قال: البلدة تكفينا، ولتكن الولاية (الأعمال والمضافات) لأخي، ولكن الميرزا علياً يتحفز للوثوب على الأمير أسپان، فخرج يوماً إلى حدود بعقوبة، وكان أسپان قد سار إلى جصان وترك (الزاهد) ببعقوبة فعبر شط ديالى، وكبس الزاهد فهرب إلى جصان، وقتل ميرزا علي جماعة، ونهب مقداراً وافراً من الخيل والأمتعة، وهتكت نفوس كثيرة من الجانبين، فرجع ولم يخرج بعدها...

واستمرت هذه الحوادث إلى سنة ٨٢٩ هـ.

ملحوظة:

ورد أسپان بلفظ (أصبهان) كما في الأنباء والشذرات، وفي جامع الدول بين أن أصل اسمه (أسبهان) فخفف إلى (أسپان) وسماه بعضهم أصفهان وآخرون (أسبند)...

الطاعون:

في هذه السنة وقع طاعون عام، وعظيم في الموصل وديار بكر والجزيرة[1]...

---

(١) أنباء الغمر.

وفيات

١ ـ ابن الفصيح:

هو أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد الفصيح الكوفي الأصل ثم البغدادي، ثم الدمشقي، شهاب الدين نزيل القاهرة. كان جده من أهل العلم والطلب للحديث، وحدث أبوه بالسنن الكبرى للنسائي، وتفرد بها عن ابن المرابط بالسماع، وكان حنفي المذهب[١]...

٢ ـ فضل الله البغدادي:

هو فضل الله بن نصر الله بن أحمد التستري الأصل البغدادي الحنبلي، أخو قاضي الحنابلة محب الدين، كان قد خرج من بلاده مع أبيه وأخوته، وطاف هو البلاد، ودخل اليمن، ثم الهند، ثم الحبشة، وأقام بها دهراً طويلاً ثم رجع إلى مكة، فالقاهرة[٢].

٣ ـ ابن عنبة: (مؤرخ)

السيد جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن المهنا بن عنبة الأصغر الحسني وهو النسابة المعروف، توفي ٧ صفر ٨٢٨ هـ في بلدة كرمان[٣] ومن مؤلفاته:

١ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. طبعت مراراً في الهند. ومنها نسخ خطية عديدة. وهي من الآثار التاريخية، وعليها عولنا في وقائع كثيرة لم نجد في غيرها إيضاحاً أزيد منها وقد مر النقل عنها.

٢ ـ أنساب آل أبي طالب. فارسي للمؤلف. طبع على الحجر...

---

(١) الضوء اللامع ج٦ ص١٧٣ والأنباء.

(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٣) ونسب المؤلف مذكور في ص١١١من عمدة الطالب الطبعة الأولى لكنو في الهند.

والعمدة من الكتب المعتبرة، وهي من المراجع المهمة في عصره لما احتوته من التفصيلات القيمة عن حوادث العراق وفي كشف الظنون تفصيل زائد عنها... والنسخة المطبوعة غير مأمونة الخطأ... ويجب أن تستحق كل عناية، واهتمام في تصحيحها والتحري عن نسخها القديمة... فتطبع...

حوادث سنة ٨٣٠ هـ ـ ١٤٢٧ م

أحوال العراق:

إن شاه محمد لن يتجاوز حكمه بغداد، وقد استولى الأمير أسپان على كافة الأنحاء والأطراف المجاورة، كان مهدداً بالوقيعة، وغافلاً عما يجري... وقد روجعت تواريخ عديدة عن هذه الأيام، فلم نظفر بطائل... وقد عين صاحب (منتخب التواريخ) في هذه السنة انتزاع بغداد من شاه محمد واستيلاء الأمير أسپان عليها... وهذا ليس بصواب، فإنه ابتلع رقم ستة فانقلب الحادث إلى هذه السنة، وكل التواريخ تخالفه، وفي أصله وهو (لب التواريخ) جاء أن الحادث كان في سنة ٨٣٦ هـ[1]، فهذا غلط ناسخ قطعاً، وإن حكم شاه محمد كان ٢٣ عاماً فلا يأتلف والتاريخ المذكور.

السلطان أويس ـ بغداد:

في هذه السنة سار أويس إلى بغداد لمحاربة محمد شاه بن قرا يوسف فقتل في الحرب، ولم يبق منهم من ولي الإمارة غير السلطان محمد بن شاه ولد صاحب البصرة... وبعض المؤرخين جعل هذه الواقعة متداخلة في واقعة سنة ٨٢٤ هـ، والصواب أن هذه على حالها، وهي غير ذلك... وفي الأنباء عين أنه في الواقعة الأولى لم يمت،

---

(١) لب التواريخ ص٢١٤.

وإنما قتل في هذه المرة وفي تاريخ الجنابي: «فلما قرب ـ السلطان محمد (حاكم البصرة) ـ من الموت عهد بالمملكة إلى حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أويس...»[1] ا هـ، وقد أكد في الضوء اللامع أن السلطان أويس قتل في هذه السنة في حرب بينه وبين محمد شاه نقلاً من الأنباء، فخلفه السلطان محمد الجلايري. وهذا خلفه السلطان حسين بن علاء الدولة كما تقدم.

والاضطراب في هذه النصوص ظاهر، وكذا ما جاء في حوادث سنة ٨٢٧ هـ... وصاحب الأنباء من المعاصرين، وصاحب الضوء اللامع أخذ عنه وعن أهل العصر... وأيد قولهما ما نقله صاحب المنهل الصافي. في ترتيب أمرائهم...

حوادث سنة ٨٣١ هـ ـ ١٤٢٧ م

آل فضل: (الأمير عذرا)

في هذه السنة قتل عذرا بن علي بن نعير بن حيار أمير العرب، واستقر بعده أخوه مدلج. كذا في الأنباء. وعين صاحب الضوء أنه قتل في المحرم[2]...

حوادث سنة ٨٣٢ هـ ـ ١٤٢٨ م

حروب ومعارك:

كان القتال بين شاه رخ والأمير اسكندر، وكان جهان شاه في جانب أخيه الاسكندر فنشبت المعارك ظاهر سلماس يوم السبت ١٧ ذي الحجة لهذه السنة، وأبدى الأمير اسكندر في هذه الوقائع من الشجاعة

---

(١) تاريخ الجنابي، والشذرات، والضوء اللامع ج٢ ص٣٢٤ والأنباء.

(٢) أنباء الغمر، والضوء اللامع ج٥ ص١٤٦.

ما يفوق التصور، إلا أنه لم ينجح فهرب في آخر أمره إلى جهات الروم... وكان قرا عثمان في جانب شاه رخ... والعراق بنجوة من هذه الحروب، ولكنه بانتظار ما تولده الليالي...[1] وهذه الحروب كانت بين الرؤساء، والبلاد تدخل في حوزة الغالب الرابح لقضيته...

حوادث سنة ٨٣٣ هـ ـ ١٤٢٩ م

زلزال:

في هذه السنة حدث زلزال في واسط[2].

حروب واضطرابات:

كانت الحروب في هذه السنة مشتعلة بين الأمير اسكندر، وشاه رخ، وكذا بين البارانية والبايندرية، فلا انقطاع ولا هوادة... وتفصيل ذلك لا يهم العراق[3].

أمير العرب:

في هذه السنة قتل مدلج بن علي بن محمد (نعير) بن حيار بن مهنا أمير العرب وليها بعد أخيه عذرا، وقتل في شوال سنة ٨٣٣ هـ عن بضع وعشرين سنة، ودفن بشمالي جبرين... ذكره ابن خطيب الناصرية مطولاً ولخصه صاحب الأنباء، فقال: أمير آل فضل، كان قد ولي أمر العرب بعد أخيه ودخل في الطاعة، ثم وقع بينه وبين ابن عمه قرقماس قاتل أخيه عذرا فقتل هذا أيضاً[4].

---

(١) جامع الدول وأنباء الغمر ج٢.

(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٣) أنباء الغمر ج٢.

(٤) الضوء اللامع ج١٠ ص١٥٠.

وفيات

١ ـ القاضي تقي الدين يحيى البغدادي:

ابن العلامة شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني البغدادي[1] ولد في رجب سنة ٧٦٢ هـ ـ ١٣٦٢ م وسمع من أبيه وغيره، نشأ ببغداد وشارك في عدة علوم، وقدم القاهرة هو وأخوه في حدود الثمانمائة وكانا قد فرا من تيمور حين طرق بغداد، وحدثا بشرح أبيهما على صحيح البخاري المسمى بـ(الكواكب الدراري)[2] فابتهج الناس، وكتبت منه نسخ عديدة، وعرف تقي الدين هذا بالفضيلة وتقرب غاية التقرب من السلطان شيخ في حال إمارته وسلطنته، وكان عالماً فاضلاً، شرح البخاري وسماه (مجمع البحرين وجواهر الحبرين[3] وشرح صحيح مسلم، واختصر الروض الأنف، وله مصنف في الطب وغير ذلك. توفي بالقاهرة في الطاعون يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة[4].

وفي الضوء اللامع تفصيل حياته، وأهم ما فيها ذكر شيوخه علماء ذلك العصر في بغداد، ولا نرى الآن تراجم للكثيرين منهم... وهم:

١ ـ الجلال أسعد بن محمد بن محمود الحنفي، أحد تلامذة والده.

٢ ـ الشمس محمد بن سعيد المالكي.

٣ ـ الشمس الرازي الكاتب.

٤ ـ اليزدي.

---

(١) ترجمة والده في تاريخ العراق ج٢.

(٢) (٣) كشف الظنون.

(٤) الشذرات ج٧ والمنهل الصافي، والضوء اللامع ج١٠ ص٢٥٩.

٥ ـ العز الأبو سحاقي.

٦ ـ العلاء البنبيهي.

٧ ـ العلاء الهروي الحنفي.

٨ ـ الشمس محمد المحولي.

٩ ـ الضياء الطبيب.

١٠ ـ الفخر الشبانكاري.

١١ ـ مولانا زاده (في مصر).

١٢ ـ الجمال ابن الدباغ.

١٣ ـ الجمال ابن الدواليبي.

١٤ ـ النور صالح الأيدجي.

١٥ ـ المجد اللغوي (الفيروزآبادي).

١٦ ـ السيف الأبهري.

١٧ ـ النور علي بن يوسف بن الحسن الزرندي.

وهذه تعين العلماء المعروفين من أساتذة الإجازة العلماء وقال صاحب الضوء: رأيت له كراسة أفرد فيها أسماء شيوخه... استفدت منها أشياء. (وحاجتنا إليها أكبر)، ولكن جل انتفاعه إنما كان بوالده، فإنه لازمه سفراً وحضراً، وجاب نحو خمسين مدينة... وعدد تصانيفه ذكر منها شرح البرهان العبري، والطوالع للبيضاوي، وشرح الشمس للأصبهاني، والإيضاح لابن الحاجب، والحاوي في الفقه، وشرح العزيز ومفتاح السكاكي، وشرح العضد، وشرح المواقف وسماه (الكواشف)، والجواهر وسماه بـ(الزواهر)، وتحفة المودود لابن القيم سماه (المقصود من تحفة المودود)، والأوائل لابن حجر، ومفاخرة القلم والدينار لابن

ماكولا، وقرأ عليه الشهاب أحمد بن شيخه الجمال ابن الدواليبي الحنبلي... وقال عندي من نظمه في الجواهر. هذا وترجم أسرته... وفي عقود المقريزي تفصيل ترجمته...

٢ ـ محمد بن طاهر الموصلي:

هو محمد بن طاهر[1] قاضي القضاة الشمس بن يونس الشافعي. برع في الفقه والتفسير وغيرهما، وعمل تفسيراً في مجلدين، وولي قضاء الموصل كآبائه من قبله سنين، وتموّل وفخم، وحمدت سيرته إلى أن ثار أصبهان بن قرا يوسف وعاث بتلك البلاد، فلما أخذ الموصل عذبه حتى هلك في العقوبة سنة ٨٣٣ هـ، وخربت الموصل بعده، ونزح عنها أهلها، وصارت منزلاً للغربان. ذكره المقريزي في عقوده[2].

وهذه الحادثة لا نجد لها تعرضاً إلا في الأنباء على ما سيجيء في حوادث سنة ٨٣٦ هـ مما يدل على أن أكثر الحوادث قد أغفلت... وفقدت الوثائق المشعرة...

حوادث سنة ٨٣٤ هـ ـ ١٤٣٠ م

عودة وتغلب:

كان في سنة ٨٣٢ هـ قد انكسر الأمير اسكندر وهرب وفي أوائل السنة المنصرمة رجع شاه رخ إلى خراسان وولى على أذربيجان الميرزا أبا سعيد بن قرا يوسف. فعاد الأمير اسكندر واستعاد أذربيجان وقتل أخاه أبا سعيد.

وميرزا أبو سعيد هذا كان قد ولاه شاه رخ في أوائل سنة ٨٣٣ هـ

---

(١) بياض كلمة.

(٢) الضوء اللامع ج٧ ص٢٧٤.

أذربيجان إذ كان قد التجأ إليه هارباً من أخيه اسكندر وكانت مدة ولايته نحو سنة واحدة[1].

خراب وغلاء ووباء:

ومن نتائج هذه الحروب والفتن ولوازمها القطعية الخراب الذي عم البلاد من بغداد إلى تبريز، والغلاء الذي استولى على الممالك الشرقية، فقد بيع رطل اللحم بنصف دينار، وأكل الناس الكلاب والميتات، وفشا الوباء في العراق والجزيرة وديار بكر، وهمذان، وشهرزور وماردين وبلاداً كثيرة... وفي بعض التواريخ كان ذلك في سنة ٨٣٥... ويضاف إلى ذلك بلاء آخر وهو الجراد، فإنه أكل الغلات والزروع[2]...

وفيات

١ ـ القاضي تاج الدين أحمد النعماني:

هو أحمد بن محمد بن عمر... من ذرية الإمام أبي حنيفة النعمان القاضي ببغداد توفي بدمشق، اعتمده ابن عربشاه في كتابه (عجائب المقدور) لتدوين أخبار بغداد وإن صاحب الدرر الكامنة حقق بعض المطالب عنه وقال: صاحبنا، رأيته في دمشق...[3] ولد في ١١ جمادى الآخرة سنة ٧٥١ هـ بالكوفة، وسمع الحديث، وبرع في الفنون، ودرس وأفتى، وأخذ عنه الأعيان، وكتب رسالة تشتمل على ١٤ علماً، ونظم أرجوزة في علوم الحديث، وشرحها، واختصر شرح البخاري للكرماني،

---

(١) جامع الدول ج٢.

(٢) عمدة البيان في تصاريف الزمان لياسين العمري، وأنباء الغمر ج٢، ومجموعة تواريخ التركمان، والآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٣) الدرر الكامنة ج٢ ص٢٠١، وتواريخ العراق ج١ ص٥٠٢.

وولي قضاء بغداد، فحمدت سيرته، وامتحن على يد قرا يوسف لكونه يريد إظهار أمر الشرع فقبض عليه وجدع أنفه، وأخرجه من بغداد، ففارقها وقدم القاهرة بعد سنة ٨٢٠ هـ، فأكرمه المؤيد، وأجرى عليه راتباً يكفيه، ثم رسم له بالتوجه إلى دمشق فما تيسر له إلا بعد استقرار الظاهر ططر، فأقام بها حتى مات في أول المحرم سنة ٨٣٤ هـ[١].

مر الكلام على (جامع النعماني)[٢]، وترجمة ابنه حميد الدين محمد في وفيات سنة ٨٦٧ هـ.

حوادث سنة ٨٣٥ هـ ـ ١٤٣١ م

الأمير أسپان ـ الحلة: (الجلايرية)

استمر حكم الجلايرية في الحلة من رجب سنة ٨٢٦ هـ، وأن السلطان حسين ابن علاء الدولة تملكها من ١٠ شعبان سنة ٨٢٧ هـ، ودامت حكومته إلى هذه السنة فاستولى عليها الأمير أسپان بعد محاصرة كانت لمرتين، فضبطها في ٢٦ المحرم سنة ٨٣٥ هـ، وبهذا انقرضت دولة الجلايرية بتمامها، ولم يبق لها ذكر إلا في بطون التواريخ. كان السلطان حسين سيىء السيرة، فكاتب أمراؤه أسپان فجاء وحاصر لأول مرة، فلم يقدر، ورحل عن البلد، ثم سار عليه للمرة الثانية، وحاصره سبعة أشهر، فأسره في المحرم، وكان قد سلم إليه بالأمان، وذلك أن الأمير أسپان بعد أن قبض عليه، أوعز إلى الموكلين به أن يحسنوا له الهرب، ويفروا معه جميعاً، فلما هربوا أرسل أسپان وراءهم، فقبضوا عليه وقتلوه خنقاً في ٣ ربيع الأول أو ٣ صفر سنة ٨٣٥ هـ على اختلاف في ذلك، وكان وزيره عبد الكريم ابن نجم الدين من أهل شط النيل

(١) الضوء اللامع ج٢. ص ٨٢.

(٢) تاريخ العراق ج٢.

فتوفي ليلة الثلاثاء ١٨ شوال سنة ٨٣٠، وولي الوزارة بعده شهاب الدين في ١٦ ربيع الآخر سنة ٨٣٢ هـ، وشنقه السلطان في باب التمغا، فولي الوزارة بعده أخوه نظام الدين[١]. وقد مرت الإشارة إلى الحوادث المذكورة. . .

انقراض دولة الجلايرية[٢]

كان يعد انقراض الجلايرية من حين خرجت من بغداد، وتكلمنا بوقته على بقاياها وفي الوقائع المارة ما يوضح أكثر نظراً لعلاقتها بالعراق، ومنها نقطع بأن هذه الحكومة جادلت، وجالدت مدة طويلة لانتزاع الملك المغصوب واستعادته، فأصابها الخذلان، ونالتها خيبة فيما قامت به. . . ومن الحوادث المارة يتلخص لنا أن سلاطينها:

١ ـ شاه ولد، حكم بعد السلطان أحمد نحو ستة أشهر.

٢ ـ دوندي. نحو ستة أشهر في بغداد بعد قتلة زوجها.

٣ ـ شاه محمود بالاشتراك مع دوندي من سنة ٨١٤ إلى سنة ٨١٩هـ.

٤ ـ دوندي بالاستقلال إلى سنة ٨٢٢ هـ.

---

(١) تاريخ الغياثي ص٢١٢ والمنهل الصافي، ومجموعة تواريخ التركمان، وأحسن التواريخ، والضوء اللامع.

(٢) عقب المؤلف في ملحق الجزء الرابع بما يلي:
قلت. . . إن النصوص فيهم مضطربة ولا شك أن لتنبيه الأستاذ جعفر الحسني المكانة اللائقة كما أشار في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج١٩ ص٧٩) ولا تزال الوثائق تدعو للالتفات في اختلاف نصوصها، ومن أهم ما يصح الرجوع إليه (كتاب أحسن التواريخ) الفارسي، وعندي منه نسخة مخطوطة ونفيسة جداً. تعرف بهم كثيراً. وربما عدتُ إلى البحث للعلاقة بإمارة (المنتفق) عند بيان حوادثهم.

٥ ـ سلطان أويس إلى سنة ٨٢٧ هـ أو ٨٢٩ هـ أو بعد ذلك (النصوص مضطربة).

٦ ـ السلطان محمد من التاريخ المذكور على اختلاف في ذلك إلى ١٠ شعبان سنة ٨٢٧ هـ أو سنة ٨٢٩ هـ.

٧ ـ السلطان حسين بن علاء الدولة إلى ٣ صفر أو ٣ ربيع الأول سنة ٨٣٥ هـ.

والأخير انقرضت دولة الجلايرية على يده، فانطوى ذكرها، ولم تعد تعرف قبيلتها، والظاهر ماعوا في البصرة وخوزستان، أو انضموا إلى مواطن القوة فاندمجوا في القبائل التركمانية المنبثة... والملحوظ أن السلطان أويس والسلطان محمد لم تتوضح أيامهما بصورة يقينية... ومن المعلوم أن السلطان محمداً حكم البصرة وضربت النقود باسمه فيها...

وقد مر في تاريخ الجلايرية بيان قبيلتهم ومكانتها بين قبائل المغول... [1] وكانوا في قديم الزمان كثيرين، ولكل شعبة منهم أمير وقائد يتولى أمورهم، ويدير أحوالهم. ومن عهد جنكيز إلى هذا الوقت ولي منهم في إيران وتوران أمراء عديدون، ثم تولوا الحكم... والتواريخ التي بين أيدينا لا تتعرض إلى فروعهم عند ذكر الحوادث أو بيان الوقائع الخاصة... دون تاريخ السلاطين منهم فحسب.. وقد ذكر صاحب جامع التواريخ مكانتهم القديمة قبل جنكيز، والأمراء منهم في أيامه وأيام أخلافه وعدد أسماءهم... وبين أن لهم عشر شعب وهي:

١ ـ جات.

٢ ـ توقراؤن.

---

(١) تاريخ العراق ج٢.

٣ ـ قنكشفات.

٤ ـ كومسات.

٥ ـ اويات.

٦ ـ ينقان.

٧ ـ نوركيا.

٨ ـ قولاتكيقت.

٩ ـ نوزني.

١٠ ـ شنقكون[١].

وهؤلاء نحتفظ بأسمائهم لعل هناك من يعلم عن هذه القبائل ويعين مكانها بين القبائل المنتشرة في إيران، أو الأناضول... إذ لم يعد لها ذكر عندنا...

حوادث سنة ٨٣٦ هـ ـ ١٤٣٢ م

الاستيلاء على بغداد:

كان الأمير أسپان قد اكتسح كافة أنحاء بغداد، ثم توجه إلى الحلة فضبطها ومنها انحدر إلى واسط موهماً أنه متوجه إلى الجزائر... فمال خفية من واسط إلى النعمانية ومنها إلى سلمان الفارسي، ثم كمن في دخلة السهروردي، وعمل السلالم، وجاء في نصف الليل إلى سور بغداد يوم الخميس ١٨ شعبان سنة ٨٣٦ هـ فوضع هو ومن معه السلالم على سور باب الحلبة[٢] «باب الطلسم» وأخذوا البلد، وجاؤوا إلى بيت شاه

---

(١) جامع التواريخ نسخة استانبول.

(٢) ذهبت آثارها وامحت في ليلة احتلال بغداد على يد الإنجليز، ولم تعرف تعرف... إلا أن تصاويرها باقية.

محمد فوجدوه مغلقاً، فضربوا الباب بالدبابيس وكسروه فهرب شاه محمد ونزل في سفينة ومضى إلى الجانب الغربي، وتوجه راجلاً إلى مشهد الإمام موسى الكاظم وصحبه ولده شاه بوداق ومحمود الحمال، وكان السيد الجوسقي في المشهد فأعطاه حماراً ركبوه إلى الدجيل، ومن هناك توجه إلى الحديثة فتلقاه حاكمها حارث بالإعزاز والتكريم، وقدم إليه الخيول الكثيرة، واجتمع إليه جماعة، فذهبوا إلى الموصل، وأن الأمير أسبان تحرى عنه كثيراً في بغداد، فلم يظفر به...

أما جماعة أسبان فقد كسروا الباب ودخلوا فلم يجدوا أحداً ففتشوا جميع البيوت والغرف فما عثروا عليه، وأسبان هذا لم ينهب البلد وإنما اكتفى بالاستيلاء على أموال الشاه محمد، وأخذ ما تمكن على أخذه من ملازميه ومباشريه كلًا على قدره، وتوطن بغداد[1]...

وقال في الأنباء: «اخرب أصبهان (أسبان) بن قرا يوسف بغداد، وتشتت أهلها منها، وقبل ذلك كان قد أخرب الموصل» ا هـ[2].



وفيات

١ - ابن الحلال البغدادي:

في جمادى الآخرة من هذه السنة توفي العلامة عبد الرحمن بن محمد الزين بن العلامة سعد الدين القزويني، الجزري (نسبة إلى جزيرة ابن عمر) البغدادي الشافعي، ابن أخت نظام الدين الشافعي عالم بغداد، ويعرف بـ(الحلال) لحل أبيه المشكلات التي اقترحها العضد عليه، ولد سنة ٧٧٣ هـ وأخذ عن أبيه وغيره ببغداد وغيرها، وتفقه بخاله قاضي

---

(١) الغياثي ص٢٨٠.

(٢) أنباء الغمر. راجع ترجمة محمد بن طاهر الموصلي ص٧٩.

بغداد النظام محمود السديداني ودرس بالجزيرة، وبرع في الفقه والقراءات والتفسير، وحج. قدم حلب وهو في سن الكهولة، وظهرت فضائله، ودخل القاهرة سنة ٨٣٤ هـ... وكان إماماً، علامة، مفنناً، مفتياً... وكان يعده بعضهم من أئمة الدنيا في المعقولات وحل المشكلات... وكان يرجح على العلاء البخاري... وذكره المقريزي. صنف في القراءات، وشرح الطوالع، ومات بجزيرة ابن عمر ونعته معاصروه بالعلم الجم والسيرة الجميلة[١]...

٢ ـ وفاة طبيب نصراني:

توفي طبيب نصراني اسمه عبد المسيح، (طبيب الشاه محمد) مات من لسعة زنبور، وقد استغرب الغياثي وفاته من هذه اللسعة، ولم يتمكن من إسعاف نفسه... وكانت وفاته في المحرم سنة ٨٣٦ هـ ولم يعرفنا بمكانة علمه ودرجة فهمه في القضايا الطبية... إلا أنه أيام شاه محمد كان له النفوذ الكبير في الإدارة والتدخلات في سياسة المملكة[٢]...

٣ ـ إبراهيم الشيرازي:

وهو ابن محمد بن مبارز الخنجي الشيرازي الشافعي المحدث... أخذ عن علماء بلده، وفي بغداد من الشمس الكرماني، وغياث الدين العاقولي، ولقي ببغداد الجمال العاقولي، وعبد الرحمن الأسفرايني. رفيقاً للزين الخافي... مات بشيراز يوم الجمعة ١٦ جمادى الأولى سنة ٨٣٦ وقيل ٨٣٥ هـ وهو من الواردين إلى بغداد والآخذين عن علمائها[٣]...

---

(١) الضوء اللامع ج٤ ص١٥٤.

(٢) تاريخ الغياثي والمنهل الصافي.

(٣) الضوء اللامع ج١ ص١٥٧.

حوادث سنة ٨٣٧ هـ ـ ١٤٣٣ م

الأمير اسكندر ـ ميرزا شاه رخ: (قتلة اسكندر)

في هذه السنة أغار الأمير اسكندر على شروان، وأكثر القتل والنهب والتخريب فيها، فاستغاث صاحبها بميرزا شاه رخ فتوجه إليه في ربيع الآخر سنة ٨٣٨ هـ. ولما وصل إلى الري لحق به ميرزا جهان شاه بن قرا يوسف ومعه ابن أخيه ميرزا علي بن شاه محمد بن قرا يوسف والأمير بايزيد ايغلو (أوغلو) من كبار أمراء قراقوينلو فأكرمهم شاه رخ وبالغ في احترامهم، وكان لحوقهم في منتصف ذي الحجة سنة ٨٣٨ هـ، فتوجه شاه رخ إلى أذربيجان، فلم يقابله الأمير اسكندر إذ كان قد عرف عجزه ففر إلى أرزنجان، فأخذ قرا عثمان البايندري طريقه في حدود أرزن الروم فقاتله اسكندر وظفر به فقتله وكان ذلك في سنة ٨٣٩ هـ فسخر شاه رخ أذربيجان فولاها لميرزا جهان شاه وفوض إليه حكومة تلك الديار إلى حدود الروم والشام. ولما عاد شاه رخ إلى خراسان في أوائل سنة ٨٤٠ هـ عاد اسكندر من الروم وقاتل أخاه جهان شاه بقرب صوفيان تبريز فانكسر اسكندر فهرب إلى قلعة النجق وتحصن بها، وحاصره أخوه وفي أثناء ذلك قتله ولده شاه قباد ليلة الأحد ٢٥ شوال سنة ٨٤١ هـ. وسببه أن ابنه هذا قد عشق إحدى حظيات والده اسمها (ليلي) فحركته على ذلك فارتكب فعلته هذه من أجلها، ثم ظفر به عمه جهان شاه فقتله قصاصاً، وكانت مدة ملك الأمير اسكندر بما فيها من أيام التزلزل والاضطراب ١٦ سنة[1].

شاه محمد ـ قتلته:

لما أن سار شاه محمد من حديثة وذهب إلى الموصل، حكم بها،

---

(١) جامع الدول ج٢ والأنباء ج٢، ومجموعة تواريخ التركمان.

وضبط إربل أيضاً فجعل حارثاً حاكم الموصل، كما أنه فوض إربل إلى ابنه ميرزا علي، ونصب علياً الأتابك على كركوك وداقوق (دقوقا)، واختار محموداً الجمال للإمارة، ومنحه كمر سيف مذهب... وقبض في هذه البلاد على أعوان الأمير أسپان...

ثم إن أسپان مرض ببغداد فخرج إلى مصيف قرا حسن ليلة السبت ٢٥ شوال سنة ٨٣٦ هـ (كذا)، وأخذ كركوك ودقوقا[١]، وقتل علياً الأتابك. وبعدها توجه من هناك إلى الإيوان (فوق البندنيجين بيومين) وأقام هناك مدة ثلاثة أشهر حتى شفي، وكان قد أناب عنه في بغداد سعاد تيار فعقد جماعة معه هناك أنه متى توفي أسپان سلطنوه ببغداد فسمع أسپان بذلك فأرسل مزيداً حاكماً ببغداد، وعزل سعاد تيار، فلما شفي من مرضه توجه إلى بغداد ومكث فيها مدة...

وحينئذ عزم شاه محمد على أخذ بغداد، سار إليها بقصد افتتاحها ووصل إلى كركوك ودقوقا، فاستولى عليهما، وولى بدقوقا حسن أتاج إيلي وتوجه إلى بعقوبة وطريق خراسان، فأمر بنهبها، ونهب ألوية (أنحاء بغداد)، وخرب ما مر عليه فوقع في جيشه الغلاء، فرحل عنها، ونزل على درتنك (حلوان)، ليأكل غلتها فحاصرها... ولو كان سار إلى الأمير أسپان حينما أصابه المرض، وذهب تواً إلى بغداد لكان له الأمل في أخذها... ولكن سبق السيف العذل...!

فلما علم أسپان بما جرى مشى عليه، فلم يظفر به، ورجع إلى بغداد. أما شاه محمد فإنه توجه إلى شيخان. وذلك أنه في هذه الحالة رعى درتنك، وترك جيشه هناك، وصعد يحاصرها من ناحية الجبل فخرج أسپان بعسكره من بغداد يريد ملاقاته، فأرسل وراءه علي شاه،

---

(١) تعرف اليوم بـ(طاووق).

فلم يستطع اللحاق به ورحل شاه محمد من درتنك إلى جغاي، وكاوان قاصداً شيكان (شيخان) فأرسل أهل البلد قراولة[1] نحو أربعين فالتقى هؤلاء بالشاه محمد وأصحابه، وكانوا بغير لبوس، فتصادموا، فقتل شاه محمد وأصحابه بأجمعهم يوم السبت ١٨ ذي الحجة سنة ٨٣٧ هـ، فلم يعلم هؤلاء أن هذا الشاه محمد وأصحابه، فلما تحققوا ذلك ندموا على قتله، ودفنوا جثته بـ(شيخان)، وبعثوا برأسه إلى شاه رخ[2]...

وفي جامع الدول: «سار شاه محمد هذا هارباً من الأمير أسپان إلى الموصل فسخرها واستولى على إربل، ثم توجه إلى صوب بغداد، وأغار على بعقوبة من أعمالها ثم سار إلى درتنك، وقصد شيخان، فظفر به الأمير حاجي الهمذاني في حدود شيخان وقتله...» ا هـ.

ومثله في منتخب التواريخ. وفي لب التواريخ ورد سنجان بدل شيخان وكذا جاء شيكان والصواب شيخان بلد لا يزال معروفاً في أنحاء خانقين وجاء في الضوء اللامع أنه مات مقتولاً في ذي الحجة سنة ٨٣٧ هـ على حصن يقال له (شنكان) من بلاد شاه رخ، وكان شر ملوك زمانه فسقاً وإبطالاً للشرائع، واستقر بعده أمير زاده على ابن أخي قرا يوسف، وطول المقريزي ترجمته في عقوده[3]...

ترجمته (أيام ولايته في بغداد):

في ما مضى من الحوادث بيان لأيام ولايته على بغداد، فقد

---

(١) مفردها قراوول، وقراغول وهم مستحفظو الطرق على ما جاء في مختصر الدول لابن العبري ص٤٣٣ وشيوع بعض القبائل باسم القراغول ناشيء من محافظتهم على الطرق فلزمهم هذا الاسم والترك إلى أيامهم الأخيرة يسمون حراس الجيش ليلاً بهذا الاسم...

(٢) الغياثي ص٢٨١.

(٣) الضوء اللامع ج٨ ص٢٩٢.

استولى عليها في محرم سنة ٨١٤ هـ واستمر حاكماً ببغداد، وانقضت أيامه بهدوء وسكينة، والناس على أحسن حال لمدة نحو عشر سنوات... وفي تاريخ الغياثي «ثم إنه تخبط دماغه وفسد رأيه، ويقال إنه أكثر من النساء، وركن اليهن، وصار لا يبالي بأمر المملكة وإدارتها، لحد أنه أجاز العسكر وسيبه عنه، وقال ليس لي حاجة به، الشط والسور هما عسكري، ولم يهتم بجباية الخراج بل تركه وأهمله مدة سبع سنوات، فطمع في مملكته القوم من كل صوب. وآخر من قام عليه أخوه أسپان، فاستولى على جميع الأنحاء وهو لاهٍ، وكذا أولاده في بغداد انهمكوا بالشرب وسائر الأهواء، ثم أخرجه من بغداد وتمكن فيها، فقتل بالوجه المشروح، ولا يؤثر عنه عمل نافع للبلاد فذهب غير مأسوف عليه... ودفن بشيخان.

وغالب أيامه قضاها ببغداد وهي ٢٢ سنة ونصف سنة. وكان له من الأولاد شاه علي، وشاه رخ، وشاه بوداق، وشاه ولي، وشاه ملك، وقرمان وقمر الدين. ولم يحكم منهم أحد...

أما شاه علي فإنه كان في المعسكر، فلما سمع بذلك، ولم تكن له طاقة المقاومة فقد جمع إخوته، ونساءه، ونساء أبيه، ورجع إلى إربل، وفيها ميرزا علي، فقبض عليه، وأخذ أخته خديجة سلطان. ثم بعد مدة انهزم شاه علي وجاء إلى الكرخيني فأخذها ومكث فيها، فخرج أسپان من بغداد، وسار عليه فانهزم وتوجه إلى تبريز إلى جهان شاه فقبض عليه وكحله[1]...

وقال في المنهل الصافي: «ملك بغداد وما والاها بعد قتل شاه ولد... واستمر شاه محمد هذا في مملكة بغداد سنين حتى خربت بغداد

---

(١) الغياثي ص٢٧٣.

وممالك العراق في أيامه، فإنه كان فاسقاً زنديقاً لا يتدين بدين وأبطل بتلك الممالك شعائر الإسلام وقتل العلماء وكان سماطه في رمضان يمد في ضحوة النهار كما يمد في الإفطار على رؤوس الأشهاد والويل لمن كان لا يأكل منه.

وكان في ابتداء أمره ربي في مدينة أربد وصحب نصاراها فلقن منهم عقائد السوء والزندقة والميل إلى دين النصرانية ونشأ على ذلك خفية ووالده قرا يوسف لا يعرف بحاله فلما أقامه والده قرا يوسف في ملك بغداد... أظهر العدل في الرعية والتدين والعفة عن القاذورات المحرمة عدة سنين إلى أن مات والده... فاستفحل أمره بها وتغير عن ذلك كله وأظهر اعتقاده السيىء وتزندق وكفر وقتل العلماء وأبطل صلاة الجمعة والجماعة وصرح باعتقاده بدين النصارى وتعظيم المسيح على سائر خلق الله وكان يسأل العلماء أولاً أيما أفضل الحي أو الميت فيقولون الرجل الحي أفضل فيقول ها عيسى حي ومحمد ميت ثم يأمر به في الحال ولا يسمع له بعد ذلك جواباً. وكان الغالب على دولته والحاكم فيها نصراني يعرف بعبد المسيح ولما فشا منه ذلك انفلّ عنه عسكره وبقي في بغداد طائفة قليلة فكثر عند ذلك قطاع الطريق في أعمال بغداد وما والاها حتى فسدت السابلة ورحلت الناس عن بغداد فوجاً فوجاً وانقطع ركب الحاج من بغداد سنين ونفرت القلوب إلى أن غلبه أخوه أصبهان بن قرا يوسف وأخرجه من بغداد وملكها من بعده، وكان أصبهان أكفر من أخيه شاه محمد وأظلم. ولما خرج شاه محمد هذا من بغداد تشتت في البلاد إلى أن قتل شر قتلة في حصن يقال له شيكان (شيخان) من بلاد شاه رخ بن تيمورلنك في ذي الحجة سنة ٨٣٧ وذهبت روحه إلى سقر... وأقيم بدله أمير زاده (علي) ابن أخي قرا يوسف في البلاد التي قتل بها وأراح الله الناس منه، فإنه كان شر الملوك فأولاد قرا يوسف بأجمعهم هم أوحش خلق الله في أيامهم خربت ممالك العراق

وأطراف العجم ودار السلام وهدمت تلك المساجد والمعاهد الجليلة فالله تعالى يلحق بهم من بقي من إخوتهم وأقاربهم فإنهم عار على بني آدم لما اجتمع فيهم من المساوىء والقبائح ولا أعلم في أولاد قرا يوسف صالحاً. فأما شاه محمد صاحب الترجمة فكان نصرانياً. وأما أصبهان فكان زنديقاً محلول العقيدة. وأما إسكندر فكان لا دين له ولا عقل وكان سفاكاً للدماء مدمناً على الخمر والفسق. وأما باقيهم فأنجس وأتعس وقد أخذهم الله تعالى وقطع آثارهم ولم يبق منهم غير جهان شاه بن قرا يوسف والناس يترقبون منه كل شر. ا هـ.

قال العيني:

«في سنة ٨٣٧ هـ توفي الأمير شاه محمد... متولي بغداد مات مقتولاً في ذي الحجة منها على حصن يقال له شنكان (شيخان) من بلاد شاه رخ، وكان شر ملوك زمانه، وأفسد الناس، مبطلاً للشرائع متعلماً من النصارى، وأقيم بدله أمير زاده علي بن أخي قرا يوسف...» اهـ[١].

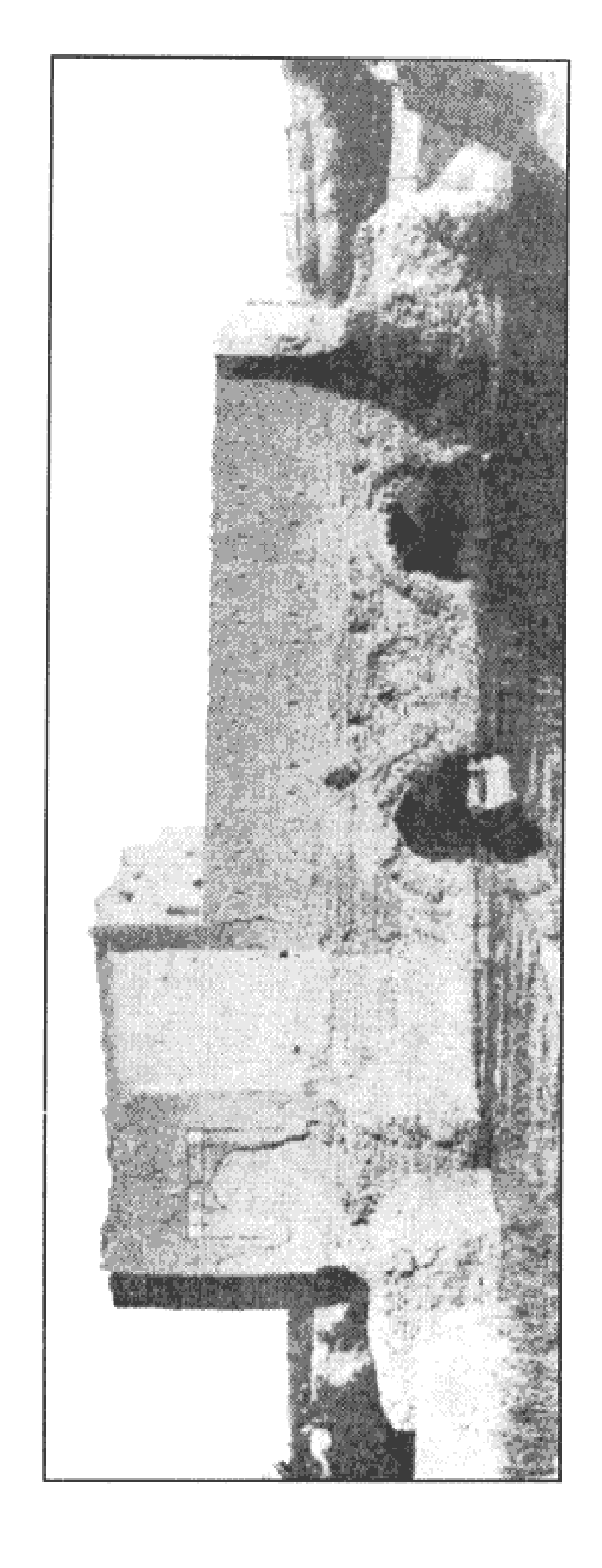
وهذه النصوص يدل تحاملها على كره الناس له في مختلف الأقطار، والعراق كان لا يستطيع الحركة، ولكن شنع عليه الخارج، وأظهر مساويه... فنقل المؤرخون عن نفس العراقيين وإن لم يصرحوا بأسماء من نقلوا عنه، وفي الحوادث المماثلة هكذا فعلوا...

حوادث سنة ٨٣٨ هـ ـ ١٤٣٤ م

البصرة ـ إبراهيم بن شاه رخ:

في شعبان هذه السنة أرسل إبراهيم بن شاه رخ عساكر إلى البصرة

(١) عقد الجمان.



الباب الوسطاني (باب الظفرية) - عن دار الآثار العراقية

فملكوها... فوقع الاختلاف بينهم وبين أهليها، فاقتتلوا في ليلة عيد الفطر، فانهزم عسكر إبراهيم وقتل منه جماعة، فخافوا، فلم يلبث أن ورد خبر موته. وكان قد مات في رمضان... وفي ابن حجر توفي في رمضان سنة ٨٣٩ هـ، فسرّ أهل البصرة سروراً عظيماً، ووجد عليه أبوه وأهل شيراز، وكان شاباً جميلاً من عظماء الملوك له فضيلة تامة، وخط بديع، يضرب المثل بحسنه بل قيل إنه يوازي خط ياقوت، ملك البصرة، وكان في شيراز وأعمالها، فظهرت نجابته وتبين عدله فأضاف إليها ما والاها، وحسنت سيرته في رعيته... قال في الضوء اللامع: سمعت من يذكره بالجميل، ويعد من الخطاطين المشهورين في إيران. والمنهل الصافي لا يختلف عن النصوص المارة.

وفيات

١ ـ السكاكيني:

هو محمد بن عبد الله بن عبد القادر، الشيخ نجم الدين الواسطي السكاكيني. يقال إنه قرأ على العاقولي، ومهر في القراءات، والنظم والفقه... وله شرح المنهاج للبيضاوي ونظم بقية القراءات تكملة للشاطبية، وخمّس البردة، وبانت سعاد. مات في مكة في ٢٦ ربيع الآخر[١].

وفي الضوء اللامع هو محمد بن عبد القادر السنجاري... وذكر من شيوخه في بغداد فريد الدين عبد الخالق ابن الصدر محمد بن محمد بن زنكي الأسفرايني الشعيبي وقاضي قضاة العراق على الإطلاق الشهاب أحمد بن يونس بن إسماعيل بن عبد الملك التونسي المالكي، وتبحر في القراءات، فقرأ الشاطبية على أبي العباس أحمد التروجي

---

(١) الأنباء ج٢.

مدرس البرجانية (كذا والصحيح المرجانية) ببغداد ولما أغار أصحاب تيمور على العراق أخذت كتبه جميعها مع مقروءاته ومسموعاته وإجازاته، ولم يبق له شيء من الكتب. حج سنة ٨٠٩ هـ وجاور بمكة، ثم عاد إلى العراق وتصدى بها لإقراء القرآن، ثم دخل دمشق قاصداً زيارة بيت المقدس سنة ٨١٥ هـ.. وصار يتردد إلى مكة... ومات بها في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٨٣٨ هـ[1]...

٢ ـ الخواجه عبد القادر المراغي:

هو ابن المولى جمال الدين غيبي المراغي، نال من المكانة والفضل ما لم ينله غيره، وكان من ندماء السلطان حسين ابن السلطان أويس، ثم السلطان أحمد الجلايري، وهو من فحول الموسيقى ومشاهير أساتذتها، وقد بلغ الغاية في القراءة وفي الشعر والخط، كان في أوائل حاله ببغداد. أخذ الموسيقى عن والده، ويعد من فحول رجالها، وصاحب السلطان أحمد، وكان يخاطبه السلطان بـ(صديقي العزيز)، ولما أن كتب للحكومة الجلايرية الزوال، مال إلى ميران شاه، فانتظم في عداد ندمائه ثم اعترى الأمير المذكور خلل في دماغه... فأصدر تيمور أمراً بالقضاء على الندماء المذكورين، فانتهز المترجم فرصة للهرب، واكتسى كسوة القلندرية... ثم توصل بصورة... فقرأ للأمير تيمورلنك القرآن بصوت عال فانجذب إليه... ومن ثم بسم له الدهر مرة أخرى، فنال المنزلة اللائقة عنده، وحصل على عفوه وتقريبه... وبعد وفاة الأمير تيمور صار من ندماء شاه رخ وبقي في خدمته إلى سنة ٨٣٨ هـ فحدث في هذه السنة الطاعون فأصيب به ومات...

وله مؤلفات عديدة:

---

(١) الضوء اللامع ج٨ ص٦٨.

١ ـ شرح الأدوار. شرح به كتاب الأدوار لصفي الدين الأرموي. والشرح بالفارسية.

٢ ـ زبدة الأدوار. اختصر به كتاب الأدوار وشرحه وجعله كتاباً مستقلاً وهو فارسي أيضاً.

٣ ـ جامع الألحان. فارسي قدمه إلى شاه رخ.

٤ ـ الموسيقى. كتبه قبل أن يقدمه إلى شاه رخ. رأيت مسودته.

وسنتعرض لوصف هذه المؤلفات في التاريخ العلمي والأدبي... والمترجم يعد من أكابر الموسيقارين وقفت الموسيقى عند هذا النابغة وصار من جاء بعده عالة عليه... وله الأثر الكبير في نقل الموسيقى العربية إلى اللغة الفارسية وعين مكانة الموسيقى المغولية والتركية من الموسيقى العربية...[١] وفي الضوء اللامع ذكر أنه أستاذ في الموسيقى، كان من ندماء شاه رخ...

وجاء في الغياثي أن الأمير تيمور، أصبح بغداد يوم السبت ٢١ شوال سنة ٧٩٥ هـ... وانهزم السلطان أحمد... ثم بعد ذلك طلب من الأهلين (مال الأمان) وهو الضريبة الحربية التي فرضها على الأهلين، وأخذ كل من كان من أرباب الفضل والصنائع الدقيقة مثل الخواجه عبد القادر وغيره، وأرسلهم إلى سمرقند[٢]...

هذا. وقد أفردت له ترجمة موسعة في (تاريخ الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان)، ووصفت مؤلفاته...

---

(١) حبيب السير ج٣ ص٢١٢ ونفس آثاره.
(٢) تاريخ الغياثي ص٢٣٢.

حوادث سنة ٨٣٩ هـ ـ ١٤٣٥ م

إربل والموصل:

من حين علم الأمير أسپان بقتلة شاه محمد وذهاب ابنه علي شاه إلى إربل سار إليها، فلما سمع حاكمها ميرزا علي نهب البلد وخربه، وأصعد بعض الناس بأموالهم إلى القلعة، وتحصن بها...

ومن ثم وصل الأمير أسپان ورأى البلد قد تخرب (هو القسم الأسفل)، فاشتغل بحصار القلعة... وجرت بينه وبين ميرزا علي وأهل القلعة حروب كثيرة، فلم ينل مأرباً، فاتخذ بعد خمسة أشهر أو ستة من حصاره طريقه إلقاء السم في الآبار دون أن يشعر أحد. فأضروا بالأهلين كثيراً إلا أنه لم يتيسر لهم إلقاء السم في بئر ميرزا علي، وكان يظن أن الموت قد وقع بسبب طول الحصار، فأعطاه الأمير أسپان الأمان، وحلف له أنه لا يقتله، فنزل إليه هو وأولاده، وتزوج بنته بلقيس باشا، وجعل في إربل أميراً، ورحل منها إلى الموصل، وكان قد أمر أن يدس السم إلى تشمال زينل حاكم الموصل ليقضي عليه فتم له الأمر، واستولى على الموصل، ونصب فيها عيسى بك حاكماً، ثم عاد إلى بغداد وميرزا علي معه...[1] وهو ابن أخي قرا يوسف كما جاء في العيني...

الوزير والمشعوذ ـ جزيرة عبادة:

بينما كان الأمير أسپان محاصراً بلدة إربل أنفذ وزيره الخواجه پير أحمد إلى جزيرة عبادة لاستيفاء أموالها، فلما وصل إليها جاءه رجل زعم أنه من نسل سلاطين استراباد يدعى نظام الدين أسد الله الحسيني، وكان يتظاهر بأمور تخالف الشرع، منكراً الواجبات الدينية، فأحضره الخواجة پير أحمد إلى الأمير أسپان فطلب منه أن يعلمه الأكسير حتى

---

(١) الغياثي ص٢٨٣.

يبصر، فقال له هذا يحتاج إلى أعشاب وأدوية لا يتيسر الحصول عليها في هذه الأنحاء، وإنما توجد في ماردين، فأرسل معه الخواجة پير أحمد، وكان اعتمد أسپان قوله، فذهبا معاً ولم يرجعا...

قال الغياثي: ثم وردت الأخبار بأنهما استهويا سلطان مصر أيضاً، فبذل أموالاً كثيرة، فلم ينجحا في مسعاهما، فاستفتى السلطان العلماء في شأنهما، فأفتوا بقتلهما فقتلا[1]...

وهذه الحادثة تعين عقلية أولئك الأمراء، ودرجة تأثير الشعوذة عليهم، فكان الصوت للتنجيم شائعاً، وله التأثير الكبير على الأمراء في الذهاب والإياب، والسفر والإقامة... فمن الأولى أن يغش الأهلون في جزيرة عبادة بهذا وأمثاله من المشعشعين لتمكن الخرافات فيهم.. ولم ينج من ذلك حتى أمير بغداد ووزيرها...

الأمير اسكندر ـ جوكي:

جاء في الضوء اللامع أن الأمير جوكي بن شاه رخ قد قتل في وقائع جرت بينه وبين الأمير اسكندر ممتلك تبريز آخرها هذه... فمات في شعبان سنة ٨٣٩ هـ وقد مر ذكر أخيه إبراهيم في السنة الماضية، وعين صاحب الضوء أن وفاة الإخوة الثلاثة كانت في هذه السنة...

ويلاحظ هنا أن وقائع بغداد لا تزال غامضة، ولم يتعرض لها المؤرخون في الخارج إلا بصورة مبتورة، وكانت كثيرة على ما يظهر... فلم نتمكن أن نعلم أمراء الموصل، ولا أمراء بغداد والبصرة بالترتيب ولا ما قاموا به من أعمال...

---

(١) الغياثي ص٢٨٢.

حوادث سنة ٨٤٠ هـ ـ ١٤٣٦ م

مد وأمراض في البصرة:

في هذه السنة حدث في البصرة موت كثير من عدة أمراض، ومات خلق عظيم، وكان يموت كل يوم ثلثمائة نفس... وسبب ذلك زيادة (المد) حتى علا على وجه الأرض، وأحاط بالبصرة يومين وليلة، ثم نقص فظهرت من جراء ذلك الأمراض[1]...

وفيات

ابن نصر الله البغدادي:

هو عبد الرحمن بن نصر الله بن أحمد البغدادي الحنبلي نزيل القاهرة، وأخو المحب أحمد... ويعرف بابن نصر الله. ولد في جمادى الآخرة سنة ٧٧١ هـ ببغداد، ونشأ بها، فأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما، وانتقل إلى القاهرة. فرقي حتى ناب في القضاء عن ابن المغلي، ثم عن أخيه بل ولي قضاء صفد استقلالاً... مات يوم الجمعة ٩ شعبان سنة ٨٤٠ هـ[2].

حوادث سنة ٨٤١ هـ ـ ١٤٣٧ م

وباء عام في بغداد وغيرها:

وقع وباء عام في بغداد وجميع البلاد المجاورة لها، أخلاها من الناس، فخرج الأمير أسبان بعساكره من بغداد، وذهب إلى بندقريش[3]

---

(١) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٢) الضوء اللامع ج٤ ص١٥٧.

(٣) تعرف اليوم بأراضي الرستمية، وهي واقعة في زاوية اتصال النهرين المذكورين، وقد توزعت في هذه الأيام إلى قطع عديدة.

وهو ملتقى نهر ديالى بنهر دجلة، ثم رحل، ونزل موطناً آخر، وبقي على هذه الحالة يتجول إلى أن انقطع الوباء، ثم رجع إلى بندقريش، وترك مزيد چوره نائباً عنه ببغداد، ولم يمت من عسكره أحد. وكاد يقضي الوباء على أهل بغداد، والأنحاء المجاورة... ففي الحديثة لم يبق غير سبعة أشخاص فارتاع من ذلك حاكمها واسمه حارث فتوجه في سفينة إلى أسپان في الفرات... فمات بالسفينة، وقطع رأسه وجيء به إلى أسپان فاغتاظ من ذلك، وأنكر هذه الفعلة...

ثم إن أسپان رحل بعد انتهاء الوباء من بندقريش، وتوجه إلى الحلة، فمرض فيها... وكان قد تحالف ميرزا علي ابن أخي قرا يوسف، وزاهد، وقطلو بك العراقي على أنهم إذا دخلوا على الأمير أسپان ليعودوه قتلوه، وقتلوا الأمير شيخي معه وسلطنوا ميرزا علي... فأوصل الأمير شيخي الخبر إلى الأمير أسپان فقبض عليهم في تلك الليلة وأحضرهم... فأمر أسپان بقتل ميرزا علي وأولاده جميعاً حتى الأطفال الذين في المهد، وكانت بلقيس باشا بنت ميرزا علي عند أسپان، فلما قتلوا بحضرتها بكت بغير اختيار، وصاحت فأمر بخنقها فخنقت...

ثم تعافى الأمير أسپان بعد ذلك، وتوجه إلى بغداد، وحكم بها مدة...

والملحوظ أنه لم يقع اتفاق وإنما أراد الأمير شيخي أن يستبد بالحكم بعد وفاة الأمير أسپان فقام بترتيبه هذا، ولكن لم يفلح نظراً لتحسن صحة الأمير أسپان وشفائه من مرضه...!

وجاء في السلوك لدول الملوك: «كان في هذه السنة حاكم بغداد أصبهان ابن قرا يوسف وقد خربت بغداد، ولم يبق بها جمعة ولا جماعة، ولا أذان، ولا سوق، وجف معظم نخلها، وانقطع أكثر أنهارها بحيث لا يطلق عليها اسم مدينة بعد أن كانت سوق العالم...» ا هـ.

الأمير اسكندر

1 ـ وفاته:

إن الأمير اسكندر كان قد اغتاله ابنه قباد، قتل ليلة الأحد ٢٥ شوال سنة ٨٤١ هـ كذا في منتخب التواريخ، وفي جامع الدول ذكر سبب قتله في حوادث سنة ٨٣٧ هـ، وجاء في الغياثي أنه قتل في ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ فخلفه الأمير جهان شاه، وصفا له الأمر في أذربيجان... ومثله في الضوء اللامع...

2 ـ ترجمته:

كان قد ولي بعد والده قرا يوسف، وعرف بالشجاعة، ولم يكن في طائفته من يدانيه في الإقدام إلا أن دولته كانت مضطربة، مفرقة الأوصال، جاءها بهذه الحالة...

كان عند وفاة والده في الكرخيني[1] عصى أوامر والده قبل وفاته، وأن أسپان وجهان شاه توجها إلى شاه محمد ببغداد، وأبو سعيد مضى إلى جصان في سنة ٨٢٤ هـ فوصلت الحكومة إلى اسكندر يوم السبت ٢٨ رجب سنة ٨٢٤ هـ، واشتبك بالمعركة مع شاه رخ في موضع يقال له بخشلي (بخشي) في حدود الشكر، وكانت الحرب طاحنة، واستمرت ثلاثة أيام وكان هولها عظيماً. وفي اليوم الثالث فر الأمير اسكندر من وجه عدوه، وجاء إلى حدود الفرات... وإن شاه رخ بعد هذه الحروب الطاحنة عاد إلى خراسان، فرجع الأمير اسكندر إلى تبريز وجلس على سرير الحكم هناك، واستولى على أذربيجان.

وفي سنة ٨٢٧ هـ قتل عز الدين شير ملك الكردي في أردبيل. وفي سنة ٨٢٨ هـ قضى على ملك أخلاط الأمير شمس الدين. وفي سنة ٨٣٠ هـ سار إلى شيروان، وأضر بشماخي كثيراً، وخرب تخريبات

---

(١) هي كركوك. راجع معجم البلدان.

عظيمة... وفي سنة ٨٣٢ هـ أخرج رجال شاه رخ من السلطانية واستخلصها، وفي السنة نفسها وافى إليه شاه رخ للمرة الثانية فتقدم إلى أذربيجان ليقطع دابر الأمير اسكندر، عازماً عزماً أكيداً على إنهاء غوائله... وفي ذي الحجة من هذه السنة تحاربا في ظاهر سلماس فدام القتال يومين متتابعين، فلم يطق الأمير اسكندر صبراً، لما رأى من وقع، فانسحب فاراً إلى الروم، كما أن شاه رخ عاد ثانية إلى خراسان... وفي سنة ٨٣٤ هـ عاد اسكندر الكرة إلى أذربيجان فاستولى عليها، وقتل أخاه الأمير أبا سعيد المنصوب من جهة شاه رخ على أذربيجان، وفي سنة ٨٣٧ هـ هاجم الأمير اسكندر شيروان للمرة الأخرى، وأغار عليها فقتل فيها تقتيلاً عاماً. وفي سنة ٨٣٨ هـ سار شاه رخ عليه مرة أخرى، وتقدم نحو أذربيجان فوصل الري، وحينئذ جاء إليه الأمير جهان شاه أخو الأمير اسكندر، وعرض له الطاعة وذلك في منتصف ذي الحجة من السنة المذكورة، فأعزه وقربه، وكذا وافى إليه سائر التركمان أمثال الأمير علي ابن الأمير شاه محمد بن قرا يوسف، والأمير بايزيد وكانوا من متميزي رجال التركمان، مالوا إليه والتحقوا به... وحينئذ نهض شاه رخ متوجهاً نحو أذربيجان ولما لم تكن للأمير اسكندر قوة تستطيع الحرب، وتقابل عدوها ترك أذربيجان وفي أثناء هزيمته صادف قرا عثمان البايندري في طريقه فحاربه وقتله في حدود الروم سنة ٨٣٩ هـ.

وما جاء في القرماني من أنه قتل سنة ٨٠٩ فغير صحيح، وقال: إنه انهزم فوقع في خندق بأرض أرزن الروم فمات ودفن هناك، ثم أخرجه الأمير اسكندر من قبره بعد ثلاثة أيام وحز رأسه، وأرسله إلى القاهرة فنصب رأسه على باب زويلة وفرح أهل مصر بذلك لأن الناس كانوا في خوف من جهته لكثرة حروبه وشدة فتكه[1]...

وفي الغياثي: «لما انهزم الاسكندر إلى أرزن الروم أرسل خلفه

(١) أخبار الدول للقرماني ص٢٣٦.

شاه رخ أميره بابا حاجي ولم يبق بينهما إلا مرحلة حتى اجتاز الأمير اسكندر بلاد قرا عثمان فمال عليه ميلة مستميت فكسر، وقتل من عسكره جماعة كثيرة، وهرب قرا عثمان فتبعه فجاز القنطرة يريد الدخول إلى المدينة، فلحقه الأمير اسكندر، وطعنه فرماه في الخندق بفرسه فقضى نحبه... ومر اسكندر بجماعته هارباً، ولم يلتفت إلى أسلاب القتلى حتى نزل بموضع يقال له (كوكجه بلاق) فلما مر بابا حاجي بالقتلى من جماعة قرا عثمان ارتاع لما رأى من هذا المنظر، وهاله الأمر، فلم يتجاوز، ونهب أسلاب القتلى ورجع إلى تبريز...» ا هـ.

أما شاه رخ فقد وصل إلى أذربيجان، وفوض الحكم فيها إلى الأمير جهان شاه، فامتد حكمه من حدود الروم إلى حدود الشام... منحه إدارتها، ثم عاد سنة ٨٤٠ هـ إلى موطنه خراسان، ولما علم الأمير اسكندر بعودته رجع من بلاد الروم، وتأهب لحرب جهان شاه في (صوفيان) من تبريز، فقهر في هذه المرة أيضاً، وانهزم إلى قلعة النجاق (النجا، النجه)... وتحصن بها وهناك قتله ابنه (شاه قباد) في ٢٥ شوال سنة ٨٤١ هـ وذلك أنه في مدة الحصار اتفق أن ابنه تعشق امرأة يقال لها (كنيز) كانت حظية والده، فعلم بذلك جهان شاه فأغراهما بقتل الأمير اسكندر فطاوعتهما أنفسهما، فارتكبا قتله، وسلمت حينئذ القلعة، واقتص جهان شاه من الابن القاتل ومن تلك المرأة في سنة ٨٤١ هـ. وعلى ما جاء في لب التواريخ إنها كانت تدعى (ليلى).

وفي الضوء اللامع أنه «خربت البلاد في أيامه إلى أن مات ذبحاً على يد ابنه (قوباط) في ذي القعدة عندما كان محاصراً في قلعة النجباء (النجاق)... وكان شجاعاً مقداماً أهوج فاسقاً لا يتدين بدين، ذكره المقريزي مطولاً في عقوده...» ا هـ[1] ومثله في المنهل الصافي.

---

(١) (قوباط) يريد قباد قلعة النجباء هي (النجاق)، وفي المنهل (قلعة النجا)... الضوء اللامع ج٢ ص٢٨٠ وج٦ ص٢٢٥ وجاء بلفظ (قوماط) أيضاً.

وكانت مدة حكمه ١٦ سنة قضاها بالحروب، فلم يتم له أمر، ولا رأى راحة... وأما العراق فهو بمعزل عنهم تقريباً، وكفاه ضرراً ما أصابه من حكامه...

ومن أولاه: الوند، وقاسم بك، وأسد، ورستم، وترخان ملك، ومحمد، وشاه علي وله بنات أيضاً، وقد ذهب الأولاد إلى الأمير أسپان في بغداد. وذكر صاحب آثار الشيعة الإمامية من بناته آرايش بيكم، وأوروق سلطان[١].

وبعد وفاة الأمير اسكندر تمكن الأمير جهان شاه في الإمارة، وبقي مستقلاً... في إدارته[٢]...

وفيات

١ ـ ابن فهد الحلي:

هو الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن فهد الحلي الأسدي. وله شهرة كبيرة، ومكانة بين علماء الشيعة سواء في الأصول أو في الفروع، أو في التصوف. أخذ عن الشيخ مقداد السيوري (مرت ترجمته)، وعن الشيخ فخر الدين أحمد بن المتوج البحراني[٣]، وعلي ابن الخازن الحايري[٤]، والسيد بهاء الدين أبي القاسم علي بن عبد الحميد النيلي النسابة النقيب صاحب كتاب الأنوار الإلهية[٥].

وروى عنه الشيخ علي بن هلال الجزائري، والشيخ عبد الشفيع بن فياض الأسدي الحلي، والسيد محمد بن فلاح المشعشع.

---

(١) آثار الشيعة الإمامية ج٣ ص٤٦ ذكرهما للاستدلال بكتابة خواتمهما على شيعية هذه الحكومة.

(٢) منتخب التواريخ، والغياثي، وكلشن خلفا.

(٣) (٤) (٥) روضات الجنات ص١٩ و٥١٨ و٣٩٨.

ومن تصانيفه:

١ ـ المهذب البارع إلى شرح النافع.

٢ ـ كتاب المقتصر.

٣ ـ شرح الإرشاد.

٤ ـ الموجز الحاوي. وهذا شرحه الشيخ مفلح الصيمري[1].

٥ ـ عدة الداعي. مطبوع ومعروف.

٦ ـ استخراج الحوادث المستقبلة من كلام أمير المؤمنين.

وترجمته في روضات الجنات. وفي كتابه الأخير أودع جملة من أسرار العلوم الغريبة...

توفي سنة ٨٤١ هـ وهو ابن ٥٨ سنة وقال آخرون ولد سنة ٧٥٧ هـ وقبره في كربلاء، ولا يزال معروفاً...[2]

حوادث سنة ٨٤٢ هـ ـ ١٤٣٨ م

الأمير أسپان ـ آق قوينلو:

بعد أن ذهب الوباء، واستقرت الحالة تراجع الناس، ومضت مدة اكتسب فيها القطر أوضاعه الاعتيادية... ومن ثم عزم الأمير أسپان أن يسير إلى أنحاء (البايندرية) وكان أميرهم آنئذ (سلطان حمزة). وهذا خلف والده قرا عثمان... مضى الأمير أسپان إلى الموصل، وترك زوجته نكارشاه خاتون ببغداد، فوصل إليها، ومنها سار إلى (تل كوكو)، أراد أن يذهب خفية دون أن يعلم أحد فوصل إلى شيخ كندي، فشاع

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

(٢) روضات الجنات ص٢٠ والأنوار، وآثار الشيعة الإمامية ج٤ ص١٩٤.

خبره، وحينئذ رجع إلى الخاتونية، فأخذها ونصب بها الأمير محمداً بن شي لله، ورجع إلى حدود ماردين، فنزل بعسكره هناك، ومنها توجه عيسى بك من أمرائه بعساكره للحصول على غلة لإعاشة الخيول كما أن العسكر قد جاع، والموسم أول الحصاد فتوجهت الجواسيس وأخبرت السلطان حمزة أن المعسكر خلا من الجيوش... ومن ثم هاجم أسپان على حين غرة... ولم يكن معه آنئذ سوى ثلثمائة فارس يقدمهم (سعاد تيار) فتحاربوا إلى وقت الغروب، وقتل في المعركة سعاد تيار بضربة رمح، فلم ير أسپان بداً من الهزيمة فهرب الرجال والنساء، وتركوا الأثقال، فرجع أسپان متنكراً إلى الخاتونية بشرذمة قليلة فاقتفى البايندرية أثره، ففارقها وذهب إلى سنجار والحيال، فرجعوا عنه من الخاتونية... جاء الموصل، وبقي هناك مدة حتى اجتمع الجيش إليه...

أما عيسى بك وعسكره فقد عادوا، ولم يروا أحداً، فانسحبوا إلى ناحية أسپان منهزمين، وجاؤوا الموصل...

ثم توجه أسپان إلى بغداد، ومكث فيها نحو سنة.

وهنا قد بين الغياثي أن هذه الواقعة حدث في ٥ ذي الحجة سنة ٨٤٠ هـ مع أنه ذكرها بعد حادثة الوباء. والحال أن السلطان حمزة صار أميراً بعد وفاة والده فمن المستبعد أن تقع قبل الوباء، فلا احتمال أن تكون في العام الذي عينه الغياثي والظاهر أنها كانت سنة ٨٤٢ هـ...

الانتقام من آق قوينلو:

بعد أن قضى الأمير أسپان نحو سنة خرج من بغداد، وتوجه إلى إربل، ومكث بها مدة ثم عزم أن يثأر من البايندرية، فسار بألف ومعهم ألف جنيب ووصل إلى حدود ماردين. وفي أثناء سيره عثر في طريقه على طائفة من البايندرية يقال لهم (دبانلو)، وكانوا قد نزلوا على آبار هناك، يرعون ماشيتهم، فما أحسوا إلا وقد أحاط بهم جيش الأمير في

منتصف الليل، وقتلوهم عن آخرهم، ونهبوا الأموال والنساء والذراري، ورجعوا إلى أربل...

ثم عاد الأمير أسپان من إربل إلى بغداد.

وهذه الواقعة لم يعين تاريخها بالضبط، وعلى كل كانت قبل واقعة المشعشع... وقد راجعنا تواريخ عديدة فلم نظفر بوقت وقوعها بالضبط...

حوادث سنة ٨٤٤ هـ ـ ١٤٤٠ م

ظهور المشعشع

المشعشع وتاريخ ظهوره:

ذكر مؤرخون كثيرون المشعشع وأخلافه إلا أننا رأينا أكثر من تكلم عليه الغياثي في تاريخه. وهذا نظراً لنقص في النسخة الموجودة وضياع بعض الأوراق منها لم يتيسر الإطلاع على تمام مباحثه فمن الضروري أن نرجع إلى مؤرخين آخرين نستطلع آراءهم ونتحرى النصوص الصحيحة... ومن المصادر المهمة في هذا الباب (رياض العلماء) وكتب أخرى عديدة تعرضت لهم في أوقات مختلفة وعصور متوالية وآخر من كتب عنهم عبد العزيز الجواهري في كتابه (آثار الشيعة الإمامية) وهذا عول على بعض الكتب فوقع في أغلاط كبيرة وسوف نمحص الأقوال فيهم وأعظم وثيقة تاريخية اعتمدناها (مجموعة خطية) قديمة تنقل عن الغياثي وعن غيره وهي مهمة في بابها، تصحح ما جاء في الغياثي وتنقل عنه وتوضح ما نقص وتكمل المباحث من غيره... وهذه أيضاً ناقصة الآخر ويكملها ما نقلته عن الكتب الأخرى بمراجعة أصلها كما سيتوضح... والمهم أن نمضي إلى التعريف به ونعين نهضته وحروبه في الحويزة والجزائر وواسط، واستيلائه على النجف الأشرف.. والحاصل

نبين علاقته بالعراق في مختلف التواريخ... ونفصل الآن ما يتعلق بتاريخ ظهوره ووقائعه القريبة فنقول:

هو السيد محمد ابن السيد فلاح ابن السيد هبة الله ابن السيد حسن ابن السيد علي المرتضىٰ ابن السيد عبد الحميد النسابة ابن السيد أبي علي فخار ابن السيد أحمد ابن السيد أبي القاسم محمد ابن السيد أبي عبيد الله الحسين ابن السيد محمد بن إبراهيم المجاب ابن السيد محمد العابد الصالح ابن الإمام موسى الكاظم(رض) ومسقط رأسه في واسط[1]، تخرج على الشيخ أحمد بن فهد الذي هو من أكابر الصوفية وأعاظم مجتهدي الشيعة الاثني عشرية.

وفي تحفة الأزهار لابن شدقم: أنه وجد في النسخ التي حصل عليها اختلافاً من زيغ الأقلام، ومن عدم الاعتناء بحفظ الأنساب ونقل ما أورده كل واحد، وبين أوجه الاختلاف وكان ذلك في أجداد السيد محمد بن فلاح، ولكنه عين أنه من أولاد موسى الكاظم عليه السلام وأورد فروعه[2]...

وكان للشيخ أحمد هذا كتاب في العلوم الغريبة. ولما حضرته الوفاة أعطى الكتاب إلى خادمته لتطرحه في الفرات وأن السيد محمد المترجم ـ بحيلة ـ تمكن من الحصول عليه. وأنه أجرى بعض المخاريق والنيرنجات على الأعراب الساكنين في حدود خوزستان فتابعوه واعتقدوا صحة ما أظهره. وكان يلقن المتخرجين عليه والمتتلمذين له أن الذكر ينطوي ضمن تعليم اسم (علي) وبالنظر لهذا كانوا ينطقون بالذكر باسم علي، ويتلقفون من السيد محمد أعمالهم وهي (كيفية التشعشع) وحينئذ كان يتحجر بدنهم ويرتكبون أموراً خطيرة في هذه السبيل، كانوا يضربون

---

(١) في جامع الدول أنه ولد ببغداد.

(٢) تحفة الأزهار ج٣ ص١١٢.

بطونهم بالسيوف فتخرج من ظهورهم دون أن يصيبهم أذى وكان يلقي هو شيئاً ثقيلاً في نهر عميق أو ماء فيرسب إلى عمقه، ثم يناديه فيطفو، ويخرج على وجه الماء وما ماثل ذلك من شعوذة ونيرنجات.

هذا ما دعا أن ينتشر أمرهم ويأخذ به الإعراب ويزداد كل يوم، وصاروا ينعتون هذا القائم (بالمهدي). وكان ظهوره عام ٨٢٧ هـ، فوصل به الأمر إلى أن استولى على جميع خوزستان مثل شوشتر ودزفول والحويزة.

وتفصيل أحواله قصها الغياثي في تاريخه، فقال بدأ ذكره وظهر عام ٨٢٠ هـ وادعى المهدوية وفي تلك السنة حدث القران فدل على ظهوره، ومن تأثير هذا القران طلب اسپند (أسپان) ميرزا بن قرا يوسف التركماني فقهاء الشيعة وكان آنئذ والي العراق[1] للمناظرة مع فقهاء بغداد والمباحثة معهم فتغلب فقهاء الشيعة في هذه المباحثة فاختار الميرزا المذكور مذهب الشيعة وضرب السكة باسم الأئمة الاثني عشر. والمترجم (السيد محمد) من أولاد عبد الله[2] بن موسى بن جعفر... وفي مبادىء أحواله اشتغل بطلب العلوم ودخل في خدمة الشيخ أحمد بن فهد الحلي وكان مجتهد الشيعة آنئذ، دخل المدرسة هناك واستفاد منه، وفي تحفة الأزهار أن أستاذه أحسن تربيته، وكان قد مات والده وهو طفل فتزوج الشيخ أحمد بوالدته وأن هذا الشيخ قد زوجه إحدى بناته... وعند بلوغ أستاذه الأجل دفع الشيخ إلى إحدى إمائه كتاباً محتوياً على فوائد عجيبة، وغرائب خفية طريفة، وأمرها بإلقائه في شط الفرات، فعارضها محمد المهدي، فطلبه منها فمنعته عنه لبلوغ مرامها

---

(١) لم يكن أسبان في هذا الحين والي العراق وإنما وليه في سنة ٨٣٦ هـ كما مر، والظاهر أن هذه العبارة مضافة مؤخراً.

(٢) مر أنه من أولاد محمد بن موسى بن جعفر.

منه فمناها بالمحال قاصداً الأزدبان بطائفة خفاجة، فسألها الشيخ عن الكتاب فقالت ألقيته، فقال ما رأيت؟ قالت ما رأيت شيئاً. وكان في علم الشيخ أنها إذا ألقته يضطرب الشط، ويخرج منه دخان عظيم، يعلو إلى أفق السماء، فلزم عليها أن تصدقه، فقالت دفعته لمحمد المهدي، فأرسل خلفه فوجده مزدبناً خفاجة فطلبه منه فأنكر محمد، واحتج بأن الشيخ قد خرف من المرض، وأنه سني المذهب وأني إمامي المذهب... فمنعوا الرسول عنه... ولما جن الليل مضى عنهم هارباً... فشغف بمطالعته... وذهب إلى الحويزة، وهناك أظهر خوارق عديدة ذكرها وكانت الحويزة آنئذ تابعة للعبادي ومضى إلى ذكر وقائع سنة ٨٤٤ هـ[١].

قال الغياثي: «وفي ذلك الأوان كان يجري أحياناً على لسان السيد محمد قوله (سأظهر، أنا المهدي الموعود) وهذه الكلمات نقلت إلى الشيخ فأنكرها على السيد وزجره أن يفوه بها وذلك لأنها مما يخالف مذهب الشيعة الاثني عشرية.

إن هذا السيد كان جامع المعقول والمنقول، وصوفياً صاحب رياضة ومكاشفة وتصرف وكان يخبر عن ظهوره لما يتجلى له من المكاشفة... ومن الرياضات التي يقوم بها أنه اعتكف مرة في جامع الكوفة لمدة سنة كاملة وصار يقتات بشيء قليل من دقيق الشعير، وقد ظهر منه تخليط في ابتداء ظهوره في سنة ٨٤٠ هـ[٢] حتى أمر أستاذه بقتله.

قال في كتاب إيجاز المقال، في علم الرجال: له كتاب رأيته يميل به إلى الحلولية معدن تخليط وزخارف، غلب على عقول بعض الناس

---

(١) تحفة الأزهار ج٣ ص١١٤.

(٢) وهذا يكذب حادث القران المذكور فإن ظهوره كان سنة ٨٤٠ هـ.

في التاريخ المذكور، وقد نقل الغياثي أن ولده المولى علي حكم في زمانه وقتل بسهم في حصاره لقلعة بهبهان سنة ٨٦١ هـ وبقي السيد محمد أبوه بعده يتولى الأمور. ومات يوم الأربعاء ٧ شعبان سنة ٨٦٦ هـ[١] وتولى بعده ولده المحسن. ووطنه الأصلي واسط وقد أقام في الحلة مدة وقد أوضح ذلك في بعض الأبيات من قصيدة له:

إقـامـتـنـا بـأرض الـعـراق بـواسـط
مـديـنـة أهـل الـعـلـم والـبـر

كان يصاحب الأمراء هناك ويراهم يتمرنون على ضرب النشاب فيدعونه ليزاول معهم الرمي فكان يجيبهم أنه سيقوم بالرمي، وسيتراكض الناس خوفاً وهلعاً... وهكذا توطن مع أهليه وعشيرته وأقام مدة وكان يقول لهم سأفتح العالم، وأنا المهدي الموعود، وسأقسم البلاد والقرى بين أصحابي وأتباعي فوصلت كلماته هذه إلى الشيخ أحمد بن فهد الحلي أيضاً فأفتى بقتله وكتب إلى الأمير منصور بن قبان بن إدريس العبادي يحثه على قتله واستحلال دمه... فلما وصل الكتاب ألقى القبض على السيد المذكور وعزم على قتله فدافع عن نفسه قائلاً: «أنا سني، صوفي، وهؤلاء الشيعة أعدائي، يتطلبون قتلي. وأخرج المصحف المجيد وحلف لتوثيق الأمير وتكلم بكلام آخر وعلى هذا اطلق الأمير منصور سبيله وفك قيوده فنجا وانسحب لموضع يقطنه (المعادي) وهم الجماعة الأولى التي التفت حوله وانضمت إليه ويقال لها (عشيرة بني سلامة) فكانت خير فأل له، فاتحة خير وسلامة، ثم جاءته طوائف أخرى من العرب من الرزنان، والسودان[٢] وبني طيىء ممن يقطن ساحل

---

(١) في ابن فهد أنه توفي سنة ٨٧٠ هـ كما جاء في الضوء اللامع وفي تحفة الأزهار أنه توفي في شعبان سنة ٨٥٤ هـ ج٣ ص١١٤.

(٢) قبيلة عدنانية تشترك في النخوه مع بني أسد بـ(عامر) وتقيم الآن في أنحاء العمارة وليست من القبائل الكبيرة.

البثق وحوالي الغاضري من الأنهار المتفرعة عن دجلة فنزلوا هناك وتجمعوا عليه، وعند ذلك ادعى المهدية. وظهرت على يديه بعض الخوارق ثم رحل من هذا المكان إلى محل يقال له شوقه وهو من قرى جصان فلما سمع حاكم ذلك المكان خرج عليهم وقتل فيهم كثيراً وأخذ أسرى. . .

وهذه الواقعة جرت أوائل سنة ٨٤٤ هـ. وبعدها عادوا إلى مواطنهم الأصلية وهي البثق والنازور والغاضري. وبعد مدة ارتحلوا إلى الدوب وهو محل نزول طائفة المعادي بين دجلة والحويزة فاستقروا هناك. أما ابنه السيد علي المعروف (بالمولى علي) فإنه بناء على طلب أصحابه الذين كانوا معه في البثق والنازور والغاضري قد عزم على الرحيل وذهب لخدمة والده مع الطوائف التي كانت معه وفي طريقه قضى على بعض القبائل المعادية فجاء إلى أبيه بمال كثير ورجال عديدين. وفي هذه الأثناء أمر طائفة المعادي المشهورة باسم (نيس) أن تبيع ما لديها من بقر وجاموس وتشتري أسلحة حرب وهؤلاء قد باعوا كل بقرة بسيف وعشرة دراهم، فلما تمت أسلحتهم ساروا إلى ناحية أبي الشول وهي قرية من قرى الحويزة فوصلوا إلى هناك يوم الجمعة ٧ رمضان لسنة ٨٤٤ هـ وفي ذلك اليوم قتل خلق كثير من أهل الحويزة والجزائر وذلك أن حاكم الجزائر الأمير فضل بن عليان التبعي الطائي كان قد حدثت بينه وبين إخوته نفرة فجاء هذا من الجزائر إلى الحويزة ونزل قرية أبي الشول وكان من رجاله من هم من أهل الجزائر ومال إليه جمع كثير وصار في معاونة أهل الحويزة. فالسيد محمد لم ير مصلحة في بقائه هناك فعاد إلى الدوب. . .

وبعد مدة وجد أن قد ظهر في قومه ضيق وقحط فساق جيوشه نحو واسط وما والاها وهناك تحارب وقتل نحو أربعين من المغول وفر وهناك مال السيد محمد إلى العشائر الرحل فأغار عليهم واستولى على

غلاتهم وأموالهم لدفع ما أصاب عشائره من جوع واضطراب، وهذه الحادثة وقعت في ١٣ شوال من السنة المذكورة.

وبعد هذه الواقعة بمدة يسيرة سار السيد محمد بجيشه نحو الجزائر وذلك أنه كانت لا تزال المخالفة بين رؤساء الجزائر قائمة، وأن بعض رؤسائهم وهو المسمى بشحل قد جاء إلى السيد بأصحابه ودخل في خدمته. وهذا نصبه حاكماً في الجزائر...

وفي هذه الأيام صار يهاجم السيد محمد المذكور كل يوم القبائل المعادية له ويقتل فيهم حتى لم يبق في الجزائر غير من كان قد أخلص له أو توافق معه... وقضى على من خالفه...

وعلى حين غرة سير نحو ثلاثة آلاف محارب إلى واسط وأن حاكمها قد كسر لأول مرة ثم عاد الكرة فانتصر وقتل ثمانمائة من المشعشعين وهلك منهم أثناء الهزيمة الكثيرون وهذه ولدت في المشعشع فتوراً وانهكت قواه بسبب امّحاء غالبهم... ومن ثم رحل من الجزائر إلى الحويزة وخرب القرى هناك وقتل كل من صادفه...

وهذه الواقعة جرت في أول رمضان سنة ٨٤٥ هـ وكان الحاكم هناك الشيخ جلال الدين ابن الشيخ محمد الجزري وهو منصوب من السلطان عبد الله بن ميرزا إبراهيم بن شاه رخ. فكتب حالاً بما وقع وبسط تفصيل الوقعة للسلطان عبد الله وحينئذ سير السلطان أحد أمرائه ميرخدا قلي برلاس فجاء إلى الحويزة وكذا وصل في أثره الشيخ أبو الخير فجمع العساكر الكثيرة من شوشتر ودزفول والدورق وهؤلاء أقاموا في الحويزة لمدة شهر واحد وأن السيد محمد أقام في أبي الشول.

وفي هذه الأثناء قتل الشيخ أبو الخير بعض رؤساء تلك الأنحاء بلا جريرة أو جرم فنفرته قلوب الأهلين هناك فتفرقوا منه... أما السيد محمد فإنه لما علم بالخبر أمر بالتأهب وعاجل في الاستيلاء فأمر النساء

أن يلبسن عمائم في رؤوسهن، وجعل البقر وراء رجاله فرتبهم على مراتب فسلوا السيوف وتقدموا متوجهين نحو أصحاب الشيخ أبي الخير. وهذا رأى الكثرة فهالته واضطرب منها هو ومن معه فلم يستطيعوا البقاء ففروا من وجه المشعشع وجيشه... وبعد ذلك اتفق ميرخدا قلي وأصحابه والجم الغفير من أهل الحويزة فخرجوا من البلد وهربوا... وعند ذلك اطلع السيد محمد على الأمر فعقب أثرهم إلى أن ورد ولاية (مشكوك) فقتل كل من ظفر به منهم وعاد إلى الحويزة وزاول حصارها وصار يحاول أخذها...

وفي هذا الحين جاء الخبر بمحاصرة الحويزة إلى الأمير اسبند (أسپان) ابن قرا يوسف حاكم بغداد فجمع جيوشه وتوجه نحو الحويزة فوصل واسطاً وحينئذ وافى إليه أمير طائفة مزرعة، وأمير بني مغيزل وطلبوا منه أن يمِدّهم، وأن ينقذ بلد الحويزة من يد المشعشع...

ذلك ما دعا الأمير أسپان أن يسير مع هؤلاء إلا أنه أمر أن يذهبوا أمامه إلى (الجوير) وقال لهم إني سأصل في أثركم. وفي هذه الأوقات ألف الشيخ أبو الخير مقداراً من الجيش الذي تمكن من جمعه ليتقدم إلى الحويزة فلما سمع بخبر الأمير أسپان عاد إلى شوشتر وجاء جيش الأمير أسپان حوالي الحويزة وهؤلاء تقاتلوا مع مقدمة جيش السيد محمد فكسر عسكر السيد محمد فلما سمع السيد محمد رحل عن أراضي الحويزة وانسحب إلى موقع يقال له (طويلة) ووصل الأمير أسپان إلى الحويزة ودخل جيشه المدينة فنزلها وحصل على أموال كثيرة. ولم يطل أمد بقائه حتى سار على عجل إلى ناحية طويلة وقتل جموعاً كثيرة من المشعشع...

أما السيد محمد فإنه بعث بقاصد إلى الأمير أسپان وقدم إليه هدايا وتحفاً كان قد استولى عليها من الشيخ أبي الخير واعتذر له وكتب كثيراً

وبإلحاح لإقناعه وقبول هداياه... فرضي عنه الأمير أسپان وحمل السفن أرزاً وسيرها نحو ناحية السيد محمد فرحل أكثر الأهلين في الحويزة من طريق (شلوه) إلى جهة البصرة...

ولما رجع الأمير أسپان عاد السيد محمد إلى الحويزة وأغار على من تخلف من جماعة الأمير أسپان في الحويزة ولم يكتف بهذا وإنما استولى المشعشعون على سفن الأمير أسپان التي سيرها من أنحاء البصرة إلى واسط وفيها من الرخوت وأنواع المأكولات وقتلوا من فيها وحينئذ سمع الأمير أسپان بالخبر فجاء من البصرة إلى بغداد وفي هذا الأوان جهز السيد محمد جيشاً على واسط حاصر قلعة (بندوان) لمدة ثلاثة أيام وهذه من محدثات الأمير أسپان فلم يفد الحصار إلا أنه بعد هذا انضمت إلى السيد محمد المذكور قبائل كثيرة من تلك الأنحاء من قبيلة عبادة[١] وبني ليث، وبني حطيط[٢]، وبني سعد، وبني أسد فاتصلوا به فزادت قوته وكثر أعوانه لحد أنه سير جيشه على البصرة فلم ينجح واستولى على الرماحية فتصرف بها وهناك بنى قلعة[٣]...

وهكذا استمرت وقائعه إلى ما بعد عودة الأمير أسپان إلى بغداد مما سيأتي في حينه...

---

(١) هذه القبيلة قديمة لا تزال تسكن المنتفق وقبيلتهم تعتبر اليوم من قبائل الأجود وقد أصابتها صروف شتتت شملها وبعثرت قوتها وتفرقت في أنحاء مختلفة. وصار يضرب بها المثل فيقال (يوم رخصت عبادة وباعت شنان) ومعناها يوم ذلت عبادة وباعت مملوكها شناناً ومنها من يقيم في مقاطعة الناصرية (بجوار ناحية المحاويل التابعة للواء الحلة) وفي كربلا جماعة منهم يقال لهم النصاروة (أهل الناصرية) والكل نخوتهم (عبادة). وفي أنحاء البصرة وشرقيها من أنحاء إيران لا تزال قبيلتهم تعرف بهذا الاسم...

(٢) في أطراف المحمرة يدعون البو حطيط.

(٣) المخطوطة المسماة بالأنوار نسخة خطية موجودة عندي تتكلم عن رجال الشيعة وتفصل القول عن المشعشع وفيها نقول فارسية.

وملخص القول: إن العقائد لا ينكر تأثيرها في تسيير الجماعات والأفراد. ولم يكن ليعرف في غالب الأحوال أن للسخافة ذلك التأثير فتقبل الدعوة (عبادة الأشخاص) وتعتقد بالخرافة وتعدها حقيقة خصوصاً بعد انتشار الإسلام وإعلان أن زمن الأساطير والخرافات قد مضى ولا يقبل غير الحق. ولا يعول إلا على الصدق، ولا يعبد غير الله تعالى. والملحوظ أن هؤلاء كانوا في نجوة، بل بعد عن التعاليم الإسلامية فتمكن أن يؤثر عليهم مثل هذا إلا أنه لا يستبعد ما وقع من قوم بلغ بهم الجهل مبلغاً عظيماً... ذلك ما أدى إلى ظهور (المشعشع) فجرى في أيامه ما جرى وفي تاريخ وفاته سنعين ماهية عقيدته بالنقل عن مؤرخين عديدين...

ملحوظة:

ما جاء في (آثار الشيعة الإمامية)[1] من أن القائم (المشعشع) هو السيد فلاح بن محمد وأنه أولهم، ظهر عام ٨١٤ هـ، وتوفي عام ٨٥٤ هـ، خلفه ابنه السيد محمد الملقب بالمهدي.. فغير صحيح ولم يكن مستنداً إلى نص يعتمد عليه بالرغم من تعداده بعض المراجع والظاهر أنه أخذ لا عن الأصل... وهكذا يقال عمن عول على تاريخ الغياثي وحده نظراً لنقصه الموجود فتم النقص بالوجه المشروح ويكمل هذه الحوادث ويراعي تسلسلها واتصالها (تاريخ جهان آرا) للغفاري فقد راعى حوادثهم بصورة مطردة إلى سنة ٩٧٣ هـ ثم تأتي التواريخ الأخرى مما لا محل لاستيفائه هنا.

وفي الحوادث الأخرى، ما يوضح أمر المشعشعين أكثر...

---

(١) بالفارسية للفاضل عبد العزيز الجواهري وهو المجلد الرابع طبع في إيران عام ١٣٠٧ شمسية هجرية وله مجلد آخر في العربية وهو المجلد الثالث طبع سنة ١٣٤٨ هـ والكتابان يتعرضان لحوادث آل المشعشع بالنقل عن كتب إيرانية.

وتأييداً لما ذكرنا ننقل من كتاب (آثار الشيعة الإمامية) القسم العربي منه النص التالي:

«آل المشعشع دولة عربية ملكت الأهواز والحويزة وأكثر بلاد خوزستان من سنة ٨٠٤ هـ تقريباً إلى سنة ١٠٢٤ هـ، ثم ضعفت سلطنتهم... كانوا أمراء للملوك الصفوية، أول من ملك منها فلاح بن محمد المتوفى سنة ٨٥٤ هـ، وكان بعض أولاده معروفين بالغلو في المذهب، والبراعة في الشعوذة والنيرنجات... (ثم ذكر فلاحاً وقال:) هو أول من ملك الحويزة من الموالي قبل أن تخطط...» ا هـ[1].

وهكذا مضى... ولم يعرف لفلاح ذكر في التاريخ... والمعروف أنهم دامت إمارتهم إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري... ونرى بين النص الفارسي المذكور أولاً، وبين النص العربي هذا اختلافاً أيضاً مما يدل على أنه لم يتوثق من الحوادث وصحتها... فلم يشتهر أمر فلاح، ولا حكم الحويزة سنة ٨٠٤ هـ أو سنة ٨١٤ هـ... ويطول بنا تعداد ما هناك من مخالفات تاريخية. ولكن هذه لا تمنع الاستفادة من هذا الأثر المهم من نواح أخرى.

ومن أهم الكتب في هذا الموضوع (تاريخ پانصد ساله)[2] أي تاريخ خمسمائة سنة في خوزستان، وهو كتاب نفيس، يعتمد على الغياثي وغيره، ويعد من المراجع المهمة... وغالب نصوصه صحيح...

وفيات

١ ـ المحب أحمد بن نصر الله البغدادي:

ترجمه كثيرون، والمتحصل مما دون عنه أنه توفي صبيحة يوم

---

(١) آثار الشيعة الإمامية ج٣ ص٥٨ والنص الفارسي ج٤ ص١٩٦.

(٢) طبع في مطبعة مهر بإيران سنة ١٣١٢ شمسية هجرية. تأليف السيد أحمد الكسروي.

الأربعاء النصف من جمادى الآخرة سنة ٨٤٤ هـ. وهو قاضي القضاة محب الدين أبو الفضائل (أبو يوسف) أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر البغدادي، ثم المصري الحنبلي شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، المعروف بـ(المحب ابن نصر الله)، شيخ المذهب، ومفتي الديار المصرية. . . ولد ببغداد يوم السبت في ١٧ رجب سنة ٧٦٥ هـ ونشأ بها، وقرأ على والده الفقه والأصول والعربية والحديث وغير ذلك، ورحل من بغداد إلى البلاد الشامية سنة ٧٨٨ هـ، وكان قد سمع ببلده على العلامة زين الدين أبي بكر بن قاسم البخاري ونور الدين علي بن أحمد المقري، وشمس الدين الكرماني وقرأ على المجد صاحب القاموس، وعلى جماعة في الشام وغيرها، وولي إعادة المستنصرية ببغداد، وأذن له بالإفتاء والتدريس ببغداد، وتردد إلى بغداد بعد قدومه إلى القاهرة، ثم استوطن القاهرة كان قد أخذ من مشايخها ومنهم زين الدين العراقي، وسراج الدين البلقيني، وابن الملقن وآخرين. . . وأقام بها، فصار فقيه الحنابلة، وعالمهم، ثم ولي قضاء القضاة الحنابلة في ٢٧ صفر سنة ٨٢٨ هـ، وكانت كتابته على الفتوى لا نظير لها، يجيب عما يقصده المستفتي، فهو فقيه، محدث، نحوي، لغوي، انتهت إليه رياسة الحنابلة بلا مدافع في زمانه، وذلك بعد موت علاء الدين بن مغلي. . .

وقد أطنب صاحب الضوء اللامع في ترجمته وقال: «المترجم سبط السراج أبي حفص عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي البزاز إمام جامع الخليفة والمعيد بالمستنصرية، وأحد المصنفين في الحديث والفقه والرقائق[1]. . . وفصل الكلام على أسرته.

نشأ ببغداد على الخير، والاشتغال بالعلوم على اختلاف فنونها، وكانت له ثروة وكلمة، وكان والده شيخ المستنصرية، اشتغل عليه. . .

---

(١) تاريخ العراق ج٢ وهنا ترجمة موسعة أكثر.

قال في الضوء: وأظن شيخ الحنابلة ببغداد في وقته، ومدرس مستنصريتها الشمس محمد ابن القاضي نجم الدين النهرماري المتوفى في حدود سنة ٧٧٠ هـ، والشرف ابن يشبكا أحد أعيان الحنابلة ببغداد والمتوفى في حدود سنة ٧٨٠ هـ ممن أخذ عنهما الفقه وممن قرأ عليه أحد شيوخ أبيه الشمس الكرماني، وأجاز له في سنة ٧٨٢ هـ وهو في عنفوان شبابه وأخذ على المجد الشيرازي صاحب القاموس، وسمع على المحدث أبي الحسن علي بن أحمد بن إسماعيل الفوي قدم أيضاً عليهم ببغداد سنة ٧٧٧ هـ أو قريبها، وعلى النجم أبي بكر عبد الله بن محمد ابن قاسم البخاري، وعلى الشرف حسين بن سالار محمود الغزنوي المشرقي شيخ دار الحديث المستنصرية، وأجيز في بغداد بالإفتاء والتدريس سنة ٧٨٣ هـ وولي بها أعادة المستنصرية وارتحل فسمع بحلب سنة ٧٨٦ هـ وببعلبك، والشام من جماعة وقدم القاهرة سنة ٧٨٧ هـ بعد زيارة بيت المقدس فأخذ بها عن جماعة، ومنها ذهب إلى الإسكندرية، ثم إلى الحج، ثم قطن مصر... ولما استقر بمصر (القاهرة) استدعى والده فقدم عليه سنة ٧٩٠ هـ وامتدح الظاهر برقوق بقصيدة، وعمل له أيضاً رسالة في مدح مدرسته فقرر في تدريس الحديث بها في محرم السنة بعد وفاة مولانا زاده، ثم في تدريس الفقه بها سنة ٧٩٥ هـ ثم صار هو ووالده يتناوبان فيهما، ثم استقل بهما بعد موت والده سنة ٨١٢ هـ. وكذا ولي المحب تدريس الحنابلة بالمؤيدية، وبالمنصورية، وبالشيخونية بعد العلاء بن المغلي... وقد أطنب صاحب الضوء في نعته وإطرائه...

وقال في المنهل الصافي بعد أن قص حياته: «وكانت كتابته على الفتوى لا نظير لها، يجيب عما يقصده المستفتي فهو فقيه، محدث، نحوي، لغوي، انتهت إليه رياسة الحنابلة بلا مدافع في زمانه، مات ولم يخلف مثله» ا هـ.

قالوا في معرض مصنفاته: وله عمل كثير في شرح مسلم، وله

حواشٍ على المحرر حسنة وعلى الفروع وكتابة على الفتوى نهاية...

وله (مختصر تاريخ الحنابلة) والأصل لابن رجب وهو عبد الرحمن المشهور، اختصره لنفسه، وكان فراغه منه يوم السبت مستهل صفر سنة ٨٢٠ هـ بالمدرسة المنصورية من القاهرة، وفي عنوان الكتاب قال: «اختصار قاضي القضاة شيخ الإسلام محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي بخطه إلا مواضع يسيرة بعضها بخط شيخنا قاضي القضاة عز الدين الكتاني وبعضها بخط غيره» ا هـ. والنسخة صالحة للمقابلة رأيتها في مكتبة بايزيد العامة، والكتاب الموجود في المكتبة الظاهرية من طبقات ابن رجب فيه أغلاط كثيرة، وابتلاع كلمات، وتشوش في العبارات... وفي استانبول نسخ عديدة من الطبقات.

ومما قيل في وفاته:

بلاني الزمان ولا ذنب لي
ولكن بلواه للأنبل
وأعظم ما ساءني صرفه
وفاة أبي يوسف الحنبلي
سراج العلوم ولكن خبا
وثوب الجمال ولكن بلي

وله من الأولاد محمد ويوسف وآخرون[1].

٢ ـ ابن دليم:

هو محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد القرشي الزبيري البصري، ويعرف بابن دليم، وباقي نسبه مذكور في ترجمة عم أبيه عبد الكريم بن

(١) الأنباء والمنهل الصافي والشذرات، والضوء اللامع ج٢ ص٢٣٨ وج٧ ص١١٤ وج١٠ ص٢٩٩.

محمد الشهير بالجلال. قدم مكة في ذي القعدة سنة ٨٤٣ هـ، ثم توجه منها إلى طيبة، ثم عاد فمات في قفوله منها قريباً من ساحل جدة في ذي القعدة سنة ٨٤٤ هـ، وحمل إلى مكة ودفن بمعلاتها... أرخه ابن فهد[١].

٣ ـ الزين الموصلي:

هو داود بن سليمان بن عبد الله الزين الموصلي، ثم الدمشقي الحنبلي. ولد تقريباً سنة ٧٦٤ هـ، وسمع بقراءة الشيخ علي بن زكنون علي الجمال بن الشرائحي الشمائل للترمذي.. وكان يذكر أنه سمع علي ابن رجب الحافظ شرحه للأربعين النووية ومجلساً في فصل الربيع من لطائفه، مع حضور مواعيده، وأنه سمع على الشهاب ابن حجي صحيح البخاري وكتباً سماها، وقد حدث، كتب عنه بعض أصحابنا، وكان شيخاً صالحاً فاضلاً مات في سنة ٨٤٤ هـ. أرخه ابن اللبودي[٢].

حوادث سنة ٨٤٥ هـ ـ ١٤٤١ م

المشعشع:

لا تزال وقائعه مستمرة إلى هذه الأيام... وقد مر الكلام عليها لمناسبة اطرادها...

وفيات

١ ـ حاج ملك (من آل الكواز):

هي ابنة محمد بن حسن بن محمد البصري، ويعرف أبوها

---

(١) الضوء اللامع ج١٠ ص٨٨ وأما عبد الكريم المذكور فإنه تاجر توفي سنة ٨٥٥ هـ وترجمته في الضوء اللامع أيضاً ج٤ ص٣١٩.

(٢) الضوء اللامع ج٣ ص٢١٢.

بـ(الكواز). ماتت بمكة تحت هدم في ليلة الجمعة ١٨ شوال سنة ٨٤٥ هـ أرخها ابن فهد(١).

بيت الكواز ـ آل باش أعيان:

والكواز على ما جاء في زاد المسافر للكعبي هو الشيخ محمد، شيخ طريقة، وهو ابن حسن بن محمد البصري كما تقدم. و(آل الكواز) المعروفون اليوم بالنسبة إليه لم يكونوا من أسرته، وإنما كان جدهم الشيخ عبد السلام ابن الشيخ عبد القادر بن ساري بن ضاعن بن أضبع بن عبد السلام قد تتلمذ للشيخ محمد المذكور، فلذلك نسب إليه فقيل عبد السلام الكوازي، ثم قيل لأولاده من بعده الكواوزة... وأولاد الشيخ عبد السلام كثيرون منهم أحمد، ومحمود، وطه، وعلي، وذو الكفل وصالح، ومصلح، والجنيد وغيرهم(٢).

وقال إبراهيم فصيح الحيدري: (بيت الكواز) ـ في البصرة ـ وهو بيت مجد رفيع، وخير وافر، نشأ فيهم عدة رجال أخيار كرام كأمثال الشيخ أحمد، والشيخ درويش وكان من أكابر الناس من ذوي الخير والجاه والمال الوافر والصدقات، وكان جدهم الأعلى الشيخ أنس من الأكابر، وهو من أولاد عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، وبقي منهم بعض الناس، وقد نزل جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري مفتي الحنفية ببغداد في بيت الشيخ أحمد المذكور فاحترمه وأجله وخدمه بما يتحير به الناظر على ما ذكره الفاضل عثمان بن سند في تراجم علماء بغداد. ا هـ(٣) ولرجالهم المشاهير تراجم في مختلف الآثار ومنها (سبائك العسجد) لعثمان بن سند المذكور...

---

(١) الضوء اللامع ج١٢ ص١٩.

(٢) زاد المسافر ص٣١.

(٣) عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد. مخطوطتي ص٢٣٢.

والآن يسمون بـ(آل باش أعيان)، وأول من حاز هذا اللقب منهم الشيخ أنس ابن الشيخ درويش في منتصف القرن الثاني عشر بموجب فرمان سلطاني كذا في هامش زاد المسافر للكعبي.

وقد جاء عنهم في زهر الربيع أنه كان في البصرة وإلى الآن جماعة من أهل السنة يأتون بعجائب الأمور مثل قبض الحيات والأفاعي ودخول النار حال الوجد من غير أن يتضرروا بها، وكان هذا مخصوصاً بهم يفتخرون به... حتى أن تلاميذ الشيخ عبد السلام... عملوا (ذكراً) في بعض الليالي يشتمل على الوجد والرقص والغناء وضرب الدفوف ودخول النار بحضور بعض أمراء السلطان فلما فرغوا... أمر أن يصنع (علم) للسلطان وكتب عليه (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الشيخ عبد السلام ولي الله). وهذا كان مخصوصاً بهم (يريد بذلك أصحاب الطريقة الرفاعية) حتى ظهر في عشر السنين بعد الألف رجل من عوام الشيعة من توابع أعمال الجزيرة... قام بأعمال مثل هذه[1]...

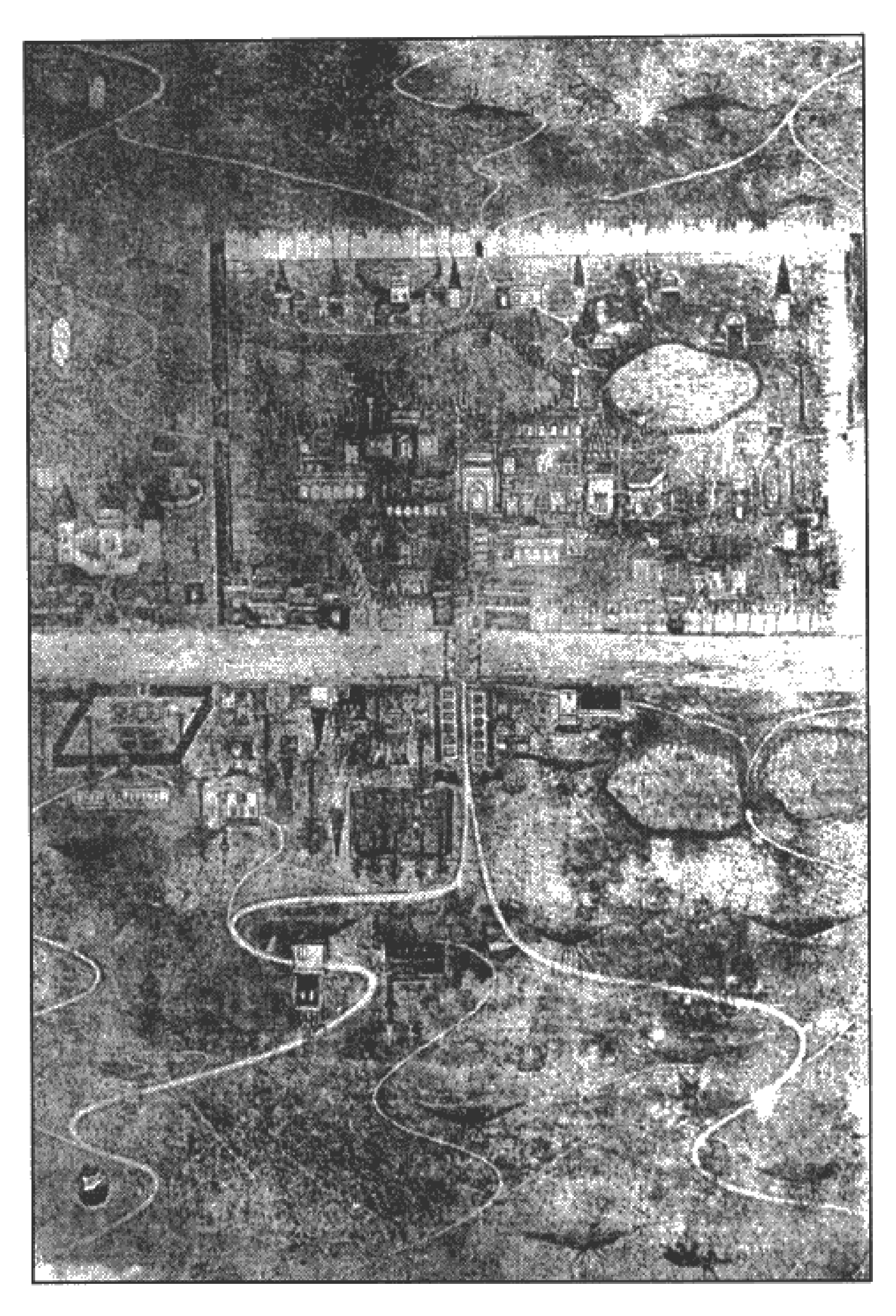
ومن هنا نعلم أن آل عبد السلام هم (آل باش أعيان) احتفظوا بمكانتهم في مختلف العصور وأسرتهم مشهورة جدًا، ولا يزالون من أعيان البصرة، وسنقدم للقارىء وثائق جديدة عند الكلام على (حكومة آل افراسياب) وعلاقتهم بها ووقائعهم معها... وبيان مشاهير علمائهم بعد ذلك وإلى هذه الأيام...

الطريقة الرفاعية

هذه الطريقة معروفة في العراق وغيره من البلاد الإسلامية، وأهلها صوفية زهاد ينتسبون إلى الشيخ أحمد الرفاعي، وهو من الصلحاء الأتقياء، وله الذكر الجميل في العراق وسائر الأنحاء، ولما وصل ابن

---

(١) زهر الربيع ص٢٧٨.



بغداد في عهد السلطان سليمان القانوني ـ عن مطراقي

بطوطة إلى واسط قال: «سنح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط... وخرجت ظهراً... ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء، وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوچك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم الزيارة وإليه انتهت الشياخة بالرواق، ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب، وقدموا السماط وهو خبز الأرز والسمك واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في (الذكر) والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده المذكور. ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحمالاً من الحطب، فأججوها ناراً، ودخلوا في وسطها يرقصون، ومنهم من يتمرغ فيها، ومنهم من يأكلها بفمه حتى أطفأوها جميعاً.

وهذا دأبهم، وهذه الطائفة الأحمدية مخصوصة بهذا، وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعه...» اهـ ومن هناك سار إلى البصرة، وذكر قصة الفقراء المعروفين بالحيدرية في بلاد الهند، وأنهم لا يختلفون عن هؤلاء في دخولهم النار[1]...

وهذه الأعمال لم تكن معروفة أيام الشيخ أحمد الرفاعي، وإنما دخلتهم في أيام المغول جاءتهم بعد دخول هلاكو بغداد، كما شاعت في العلى اللهية ومر ذكرها في المجلد الثاني وعلى ما سيوضح في المشعشعين عند الكلام على عقائدهم...

وأنقل النص التالي للدلالة على أن هذه الطائفة كانت في بادىء أمرها حينما تقوم بأعمال (الذكر) لم تكن تعلم ما يفعله أصحاب هذه

(١) تحفة النظار ج١ ص١٠٩.

الطريقة مؤخراً من الأفعال المارة... قال الذهبي في تاريخه المسمى بالعبر ما لفظه:

«في هذه السنة ـ ٥٧٨ هـ ـ توفي أحمد الرفاعي الزاهد القدوة أبو العباس بن علي بن أحمد، كان أبوه قد نزل البطائح بالعراق بقرية أم عبيدة فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولد له الشيخ أحمد في سنة ٥٠٠ هـ وتفقه قليلاً على مذهب الشافعي، وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة، ولين الكلمة، والذل والانكسار، والإزراء على نفسه، وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الدغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق من دخول النيران، وركوب السباع، واللعب بالحيات، وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان» ا هـ[١].

وكل طريقة لا تخلو من النوعين الصلحاء وغيرهم. ومن ثم عرف أن هذه دخلتهم أيام المغول.

وأصحاب هذه الطريقة تخلصوا من التورط في المآزق الحرجة، والعقائد الزائغة مثل الآراء الفلسفية المستندة إلى الأفلاطونية الحديثة وغيرها من القول بـ(وحدة الوجود)، و(الحلول) و(الاتحاد) وأمثال ذلك مما شاع بين أهل الأبطان... من حروفية وغيرهم... وكادوا يدخلون صفوفهم... ولولا الشعوذات المذكورة أعلاه لكانت طريقة زهد... وقد أكد لي العالم الجليل الشيخ إبراهيم الراوي أن الطريقة الرفاعية لم يدخلها شيء من العقائد المارة... من وحدة وغيرها...

وفي هذه الطريقة مؤلفات عديدة وبينها الغث والسمين، والأعمال المذكورة قد شاركهم فيها آخرون بل لم تكن من أصل الطريقة... وعلى

---

(١) تاريخ العبر المخطوط في مكتبة بايزيد باستانبول.

كل حال إن العقيدة والأعمال الدينية إنما تؤخذ من مشرعها... والرجوع إلى الأصل فيما اختلف فيه ضروري لتصحيح الوجهة ومن اللازم اتباع ما جاء به الإسلام رأساً والأخذ بنصوصه القاطعة التي لا ريب فيها ولا نزاع في قبولها... والآن قل الاهتمام بالطرق وسارت إلى الزوال دون حاجة إلى إلغاء رسمي كما وقع في الجمهورية التركية، وبالتعبير الأصح أن العرب يميلون إلى البساطة فلا يرغبون أن يزيدوا على الرسوم الدينية أموراً جديدة بلا تشريع إلهي ولا كتاب مبين...

وعلى كل حال تأسست هذه الطريقة من أيام الرفاعي في أواسط القرن السادس الهجري ولا تزال إلى اليوم ولها تكايا وزوايا كثيرة في العراق...

حوادث سنة ٨٤٦ هـ ـ ١٤٤٢ م

المشعشع:

لا تزال وقائعه لم تنقطع، وقد مرت فلا حاجة للعودة إليها وتكرارها مرة أخرى..

وفيات

١ ـ قاضي الأقاليم البغدادي:

هو عز الدين أبو البركات عبد العزيز ابن الإمام العلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن العز بن عبد العزيز بن عبد المحمود البغدادي مولداً، ثم المقدسي الحنبلي، الشيخ الإمام العالم المفسر، ولد ببغداد سنة ٧٧٠ هـ واشتغل بها وتفقه على شيوخها، سمع من العماد محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحمود السهروردي شيخ العراق، ثم بعد سنين سمع من ولده أحمد، وكلاهما ممن يروي عن السراج القزويني...

قدم دمشق، وأخذ الفقه عن ابن اللحام، واعتنى بالوعظ وعلم الحديث وأفتى وله مصنفات منها مختصر المغني سماه (الخلاصة)، وشرح الشاطبية، وجمع كتاباً سماه (القمر المنير في أحاديث البشير النذير)، وشرح الخرقي في مجلدين، واختصر الطوفي في الأصول، وعمل عدة الناسك في معرفة المناسك، ومسلك البررة في القراءات العشرة، وجنة السائرين الأبرار، وجنة المتوكلين الأخيار تشتمل على تفسير آيات الصبر والتوكل في مجلد، وشرح الجرجانية وغير ذلك.

ولي قضاء بيت المقدس بعد فتنة اللنك، وطالت مدته، وجرى له فصول، ثم ولي المؤيدية بالقاهرة، ثم قضاء الديار المصرية في جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ ثم ولي قضاء دمشق في دفعات مجموعها ثماني سنوات. وكان يسمى (قاضي الأقاليم) لأنه ولي قضاء بغداد نحو ثلاثة سنوات، وبيت المقدس، ومصر، والشام وكان فقيهاً ديناً، متقشفاً عديم التكلف في ملبسه ومركبه، له معرفة تامة، وكانت جميع ولاياته من غير سعي.

توفي بدمشق ليلة الأحد مستهل ذي القعدة، وفي الضوء اللامع في مستهل ذي الحجة، ودفن عند قبر والده بمقابر (باب كيسان)... وفي الضوء تحامل عليه، ونقد لبعض المؤرخين في إيراد نسبه وتفصيل لترجمته[1]...

حوادث سنة ٨٤٧ هـ - ١٤٤٣ م

هذه السنة وما بعدها قضاها الأمير أسپان في حرب المشعشع أيضاً... وليس لدينا ما نزيده هنا...

---

(١) الشذرات ج٧ والضوء اللامع ج٤ ص٢٢٢.

حوادث سنة ٨٤٨ هـ - ١٤٤٤ م

وفاة الأمير أسپان:

في هذه السنة يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة توفي الأمير أسپان وذلك بعد أن عاد من أنحاء الحويزة، فقد مكث في بغداد ستة أشهر؛ فمرض بالقولنج ومات، ودفن داخل المدينة على جانب دجلة في البستان المسمى (عيش خانه) وقد شعر بالموت قبل وفاته بقليل، وقد وزع جميع ذلك البستان عيناً، وكان قد علق في القبة بصندق[1].

وفي جامع الدول: «الأمير أسپان قيل اسمه أسبهان فخفف، أخذ بغداد والعراق وبقي مستبداً بحكومتها نحو اثنتي عشرة سنة حتى توفي حتف أنفه... واتفق أن يوم وفاته كان قران النحسين في برج السرطان» ا هـ.

ترجمته:

مر أنه ولي بغداد في ١٨ شعبان سنة ٨٣٦ هـ، وأخرج واليها محمد شاه، فذهب إلى الموصل وإربل، وفي نتيجة محاربات شاه محمد له قتل هذا على يد أمير حاجي الهمذاني يوم السبت ١٨ ذي الحجة سنة ٨٣٧ هـ وخلص له الحكم في العراق، واستمر حكمه إلى أن توفي...

وهذا الأمير وإن كان عفيف الذيل، ولم يطع شهواته إلا أنه جار على الأهلين وأرهقهم ظلماً[2]... ولم تعرف له علاقة بسلاطين قراقوينلو، أو جهة ارتباط بهم في الإدارة أو في الجيش، أو في أي سلطة من شأنها أن تتدخل الحكومة الأصلية بحكومة بغداد... وقد تمكن من التسلط على كافة الأنحاء العراقية، ولولا المشعشع لاستولى على الحويزة.

---

(١) منتخب التاريخ، والغياثي ص٢٧٨.

(٢) الغياثي ص٢٧٨.

ولم يكن له من الأولاد سوى (فولاذ) من زوجته بنت منصور بن قبان المذكور سابقاً، وقد اختير للإمارة بعد والده...

حوادث سنة ٨٤٩ هـ - ١٤٤٥ م

اضطراب الحالة - الأمير ألوند:

إن الأمير أسپان حين شعر بالموت جمع الأمراء وهم شيخي بك وحسن أمير آخور (أمير الاصطبل)، ومزيد چورة، والأمير محمد بن شي الله... وقال لهم إن فولاذ صبي صغير، وسوف يطمع جهان شاه فيكم، فالرأي أن تأتوا بألوند وتسلطنوه، ولم يكن ألوند حاضراً حينذاك بل كان قد أرسله أسپان في حال حياته مع عيسى بك وجماعة من الضباط... والأعوان إلى نهب (أكراد الجزيرة) وتسخير بلادهم[١]...

فلما مات أسپان اجتمع الأمراء، وتشاوروا، فقالوا إن ألوند امرؤ صعب، ونخشى منه أن يتحكم فينا، فالرأي أن نسلطن فولاذ والخزائن بحمد الله مملوءة من الأموال، وعساكرنا كثيرة واليراق[٢] والذخائر ما عليهما مزيد، ونحن عصبة، ونرجو من الله الإعانة على العدو...!

سمع ألوند بموت أسپان، وإن الأمراء سلطنوا فولاذاً وتركوه، وليس لهم به رغبة، وحينئذ التف حوله العسكر الذي كان معه، وصاروا نواكره[٣]، فتوجه إلى كركوك، وكانت أولكته[٤]، فمضى منها إلى آلتون كپري (القنطرة الذهبية وتسمى القنطرة)، واربل، والموصل فأخذها عيسى

---

(١) هم اليزيدية... وقد سبق أن عرج بقراهم...

(٢) آلة جارحة مثل الخنجر أو القامة، أو الأسلحة، والمعدات الحربية...

(٣) نوكر تعني الضابط، والخادم أو أياً كان من الأعوان.

(٤) أولكة تعني الإقطاع، أو المنطقة التي تحت حكم المرء ونفوذه ويراد بها المملكة...

بك، وكان قد فارقه وتحصن بقلعة بطيطة، فأرسل بطلبه، فلم يقبل أن يجيء إليه، وماطله مدة، ثم جاء إليه، فلما وصل قابله بالإعزاز والإكرام، وقال له أنت تكون أكبر أمير عندي، وشاوره في التوجه إلى بغداد فلم يشر... وقال له أرى أن تصبر مدة حتى تقوى، ثم تسير فلم يسمع منه، ومضى إلى بغداد.

وحينئذ هرب عيسى بك منه وتوجه إلى جهان شاه بتبريز، فلما وصل ألوند إلى ضيعة من ضياع الخالص يقال لها (القلعة)[1] توجهت نحوه عساكر بغداد، ومقدمهم كچل عبد الله، ويار أحمد بن شي الله، فوصلوا إليه ليلاً، وكان قد صدمهم فانكسروا وفر الأمير عبد الله، ولم يقف إلا عند باب بغداد، وباقي العساكر هناك كانوا في حيرة وارتباك...

أما ألوند فإنه حينما كسر العسكر اطمأن وظن أنه أمن الغوائل، فنصب الصيوان ونام هناك بلا خوف ولا وجل... ولما وصل الأمير كچل عبد الله إلى قرب بغداد، وسمع أن العسكر انكسر رجع إليهم، ولمَّ شعثهم، وألوند نائم غارق في غفوته فدقه ليلاً، فانكسر ألوند وهرب برأسه، وانضم جميع من كان معه إلى عسكر بغداد وتبع يار أحمد بن شي الله أثر ألوند، فارتد إليه وطعنه، فقضى نحبه، وتوجه العسكر إلى بغداد ومضى ألوند إلى كركوك، ومن ثم قبض شيخي بك على العساكر التي كانت مع ألوند، وضمها إلى عسكره ودخل بغداد، ولكنه قتل من هؤلاء إسماعيل الجغتاي، وولده، وأولاد شيخ، وقليلون غيرهم...

بغداد وجهان شاه:

وإثر هذه الواقعة جاءت الأخبار بأن جهان شاه قد سار إلى بغداد،

---

(١) قرية لا تزال معروفة في أنحاء الخالص...

ومن ثم راسل أمراء بغداد ألوند، وجاؤوا له من الحلة، فوصل إلى الجانب الغربي، ونزل بقلعة مير أحمد علي، فأرادوا أن يؤمروه، فلم تطاوعهم أنفسهم، وتفرقت آراؤهم بينهم، وعادوا إلى تأمير فولاذ، فرجع ألوند إلى الحلة، وتوجه جهان شاه إلى بغداد وحاصرها نهار ١٢ شهر رمضان سنة ٨٤٩ هـ، وحضر هو بنفسه في ١٧ منه، ودام الحصار لمدة ستة أشهر كاملة، فلم يتم له الأمر ودخلت سنة ٨٥٠[١].

حوادث سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م

بقية حوادث بغداد ـ جهان شاه:

وفي هذه السنة فتح شيخي بك الخزائن، وقسم الأموال على العساكر حتى صارت الدراهم بسعر الفلوس في بغداد، وبلغ رأس الغنم بألف دينار، وما كان ذلك من قلة الغنم واللحم بل كان للناس غنم ودجاج كثير، ولكن من كثرة الدراهم، وكان ببغداد غلال وخيرات وأجناس لا حد لها ولا حساباً بحيث تقدر بغداد أن تحاصر لمدة عشر سنوات.

وكان ألوند في الحلة، فعمل يرقاً لهربه من جهان شاه إلى الشام، فأرسل جهان شاه إليه يطلبه، ويطيب قلبه، وقال له أنت ولدي، وأقسم أن لا يؤذيك أحد أبداً، فتوجه إليه، وأعطاه الجانب الغربي. وحاصر جهان شاه الجانب الشرقي ومكث مدة لم يعبر إلى الجانب الغربي.

كان الجسر منصوباً والناس يعبرون عليه، فلما أعطي إجازة للعسكر أن يعبر من الجانب الغربي، فأول ما عبر جماعة توجهوا ليلاً فكمنوا تحت عمارة الأمير أحمد، وعند طلوع الفجر فتحوا باب القلعة وهم غافلون، فساقوا على الباب فأخذوه، وساقوا على الجسر وكان

---

(١) تاريخ الغياثي وهو أوسع المراجع المعروفة...

منصوباً تحت القلعة، فأخذوا الجسر، وساروا عليه إلى أن وصلوا إلى كرسي الجسر، وبقي بينهم وبين البلد سفينتان، وكان الشندواني الملاح وأصحابه واقفين في رأس الجسر، فصدوهم بالنشاب حتى لحق العسكر من بغداد يقدمهم رستم طرخان فأرسلوا حيدراً الجسار إلى رأس الجسر من الجنب الغربي فخرق السفينة وأغرقها فبقي عسكر جهان شاه على الجسر واقفين من غربهم الماء ومن شرقهم السيف، فهلكوا جميعاً منهم من قتل، ومنهم من غرق ومنهم من قبض عليه...

وإن الذين قبض عليهم كانوا فرمان بك وعلي زلال وكوريكه، وساروا بهم على والد أمير بايزيد جاكيرلو. فلما أحضروهم عند شيخي بك أمر بقتلهم فقالوا له لا تقتلنا ونكون نحن السبب في ارتحال جهان شاه عن بغداد وإلقاء الصلح بينكم فلم يقبل وقتلهم جميعاً.

فلما مضى على ذلك مدة ستة أشهر غاب جماعة من العسكر وهم رستم طرخان وأمير انشاه وأمير شيء الله ودوه بك وكان السبب في ذلك امرأة تسمى سلجوق خاتون حماة رستم طرخان كاتبت جهان شاه وأعلمته أن فلاناً وفلاناً قد ارتدوا وضربوا موعداً للحرب، سيروا إلى رستم طرخان جماعة وأمير انشاه وأمير شيء الله فكسروا باب اقجه قبو فدخل العسكر وأخذوا بغداد وذلك نهار الخميس ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ.

أما شيخي بك والأمراء فقد جاء الأمير كچل عبد الله ليلة الأحد إلى شيخي بك وعدد له الجماعة الذين خانوا وعلم بصورة الحال فإنه كان قد أخبره بعضهم وقال إن لم يقتلوا في هذه الليلة فرط الأمر ولم يستدرك. وكانوا يشربون. فقال ماذا يصير في هذه الليلة، غداً من بكرة سوف نحضرهم ونقبض عليهم ونقتل من نكره منهم فقال له المصلحة تقضي أن لا تمهلهم فلم يسمع منه فكان لتهاون شيخي بك الذي كان إذا

شم رائحة أو تخايل خيال قتل من أجله أعز عزيز، فأجرى مثل هذه الحركة وتماهل في أمرها...

فلما أصبح وقد قضي الأمر أخبر الأمير شيخي فتوجه بعسكره ومعه الأمراء إلى آقچه قپو فأخذهم النبل والنشاب فرجع إلى الوراء وألقى نفسه إلى جانب الشط والأمراء معه فجلسوا في ورجيه[1] وانحدروا في الشط، فقال بعض لبعض ننحدر إلى واسط. وكان الرأي لو فعلوا. وقال الآخرون بل نخرج إلى جهان شاه فإنه صاحب مروءة، ولم يكن عنده منها وزن خردلة فإنه في حق ولده لم تكن له مروءة وقتله فكيف في حق من عصوا عليه وقتلوا خيار رجاله وأمرائه... فخرجوا من السفينة في مثل هذا الطوفان العظيم، وآووا إلى معدن الظلم والجور ليعصمهم... وسعوا بأرجلهم إلى حتفهم، فتوجهوا نحو الأردو، وليس فيه غير النساء، فجلسوا في خيمة ينتظرون الموت... وفي المدينة يفتشون عليهم... فلما جاؤوا قبضوا عليهم، فأمر جهان شاه بقتلهم...

وإن شيخي بك قرن مع ابن العربية الجلاد، وأسلما إلى نساء الأمير بايزيد فسجنهم على الشوك، وقطعن لحومهم بالسكاكين حتى ماتوا... قتلوهم وباقي الأمراء شر قتلة... وأمر جهان شاه بنهب البلد فنهبوه لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي، قسوا فيها وعذبوا، ومات أناس كثيرون في التعذيب...

وبعد ذلك أمر بالقبض على الإسفاهية وقتلهم... فقتلوا منهم مقدار عشرة آلاف أو أكثر، وقتل بسبب ذلك خلق كثير... وهذه القتلة لم تكن بأقل من قتلة تيمور[2].

---

(١) ورجيه نوع سفينة.

(٢) الغياثي ص٢٩٦.

وجاء في أحسن التواريخ أن أسپان توفي سنة ٨٤٧ هـ، وفيه أن الأمراء اختاروا ابن أصفهان، فعاجل جهان شاه، وسار تواً إلى بغداد بجيش عظيم، ومال إليه رستم طرخان من أمراء أسپان... ووقعت حرب عظيمة في أعلى الجسر، وفي هذه الواقعة قتل أمراء كثيرون، وأن ابن أصفهان سلم مع جماعة الأمراء ولكن جهان شاه لم تكن له رأفة فأمر بقتلهم، وخرب البلد، وكان معموراً، فارتكب معاصي لا تحصى ولم يبق أثراً من آثار العمارة... ونصب ابنه محمدي ميرزا والياً، وجعل أمر الحل والعقد إلى عبد الله الكبير، ومنح الموصل إلى ابن أخيه ألوند رستم، وقفل راجعاً[1]...

وفي الغياثي: ثم ولى بها ولده محمدي ميرزا وكان صغيراً، وأعطي تدبير المملكة بيد الأمير عبد الله فمكثوا مدة سنتين ونصف[2]...

ترجمة فولاذ بن أسپان:

ولي بغداد بعد أبيه، اجتمع الأمراء، وأقاموه، فوقع الهرج والمرج وكان ذلك على خلاف رغبة أسپان، وتواترت الفتن في بلاد العراق، فوصل خبر ذلك إلى ميرزا جهان شاه فطمع فيها، وسار إليها، فحاصر بغداد نحو ستة أشهر، ولم يظفر بها حتى استمال أمراء بغداد بالمواعيد فمال إليه قسم، وفتحوا إليه الأبواب فدخلها وملكها في يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ وحبس الأمير فولاذ، فكان آخر العهد به، وكانت مدة ملكه نحو سنتين.

ولم يستقل بعد ذلك أحد بحكومة العراق وبغداد من آل قراقوينلو

---

(١) أحسن التواريخ.

(٢) الغياثي ص٢٩٧.

(البارانية) لأن جهان شاه يستنيب بها أحد أمرائه، وتارة يستخلف عليها أحد أولاده حتى انقرضت دولتهم[1]...

ومن ثم صارت بغداد تابعة رأساً لحكومة قراقوينلو، وليس لها كيان خاص.

حكومة جهان شاه في العراق

ـ ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ ـ

جهان شاه ـ بغداد:

كان جهان شاه هذا قد جاء بغداد بعد وفاة والده قرا يوسف، وكان واليها آنئذ شاه محمد، فلم يطب له المقام، فتوجه إلى تبريز، وانضم إلى الأمير اسكندر. ثم إن هذا تنكر عليه فجاءه معتذراً فقبل عذره...

ولما تكرر مجيء شاه رخ إلى تبريز، وانهزم اسكندر منها مال إلى شاه رخ في منتصف ذي الحجة سنة ٨٣٨ هـ فأعزه وأكرمه، ومن ثم قوي أمره، وكان قد تجمع التركمان عليه، فحصل على مكانة، ولما قتل الأمير اسكندر تقررت حكومة أذربيجان له، وعاد شاه رخ إلى هراة آمناً من الغوائل، واستمر جهان شاه في حكمه... وصارت تقوى سلطته يوماً فيوماً، وصفا له الجو بقتلة أخيه اسكندر. وفي سنة ٨٤٤ هـ غزا كرجستان... ولما توفي أخوه أسبان خلص له العراق العربي في ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ وكان انضم إليه عيسى بك من أمراء أسبان فجاء به إلى بغداد وحاصرها، فافتتحها، وتم له أمرها... فولى ابنه محمدي ميرزا وكان صغيراً فأودع تدبير المملكة إلى الأمير عبد الله ورجع إلى تبريز.

---

(١) جامع الدول ج٢.

هذا. وفي يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة سنة ٨٥٠ هـ توفي شاه رخ، فصار جهان شاه حاكماً مستقلاً بلا حماية ولا وصاية، وتولدت فيه فكرة الاستيلاء على ما في يد شاه رخ خصوصاً عندما علم باضطراب الحالة استفادة من تبدل الوضع، ومن الاختلاف الواقع بين أمراء الجغتاي من أحفاد تيمور، ونزاعهم على السلطة والسلطنة(١)...

ترجمة شاه رخ:

هو ابن تيمورلنك، وقد مر من الحوادث ما يعين علاقاته بالعراق من أيام والده إلى أن توفي، وفي الضوء اللامع بيان علاقاته بمصر... وقال: كا عدلاً ديناً، خيراً، فقيهاً متواضعاً، محبباً في رعيته، محباً لأهل العلم والصلاح... وكان يعرف الضرب بالعود بحيث كان ينادمه الأستاذ عبد القادر بن الحاج غيبي ويختص به... كل ذلك مع حظ من العبادة... وفي أيامه كتب ذيل جامع التواريخ المذكور في الجلد الأول ص ٢٠ وقدم إليه فلم يعرف مؤلفه وقد ذكر بعضهم أنه لمسعود بن عبد الله، وأنه انتهى منه في رجب سنة ٨٣٧ هـ ولكن ليس لدينا سند نعول عليه في التعريف بمؤلف هذا الكتاب. وأخبار شاه رخ في الجلد الثاني. خلفه ابنه ألوغ بك صاحب الزيج المعروف(٢).

وفيات

عمر بن محمد النجم النعماني:

هو منسوب إلى أبي حنيفة النعمان، بغدادي، ثم دمشقي، كان قد رحل إلى القاهرة سنة ٨٥٠ هـ وبيده حسبة دمشق، ووكالة بيت المال،

---

(١) الغياثي ومنتخب التواريخ ص١٩٨.

(٢) الضوء اللامع ج٣ ص٢٩٨ وتاريخ العراق ج٢.

وعدة وظائف... نزل في زاوية التقي رجب العجمي تحت قلعة الجبل، فلم يلبث أن مات في رابع صفر من هذه السنة، فأسف السلطان عليه ولم يقطع صاحب الضوء في قرباه لحميد الدين محمد ابن تاج الدين القاضي[1]...

حوادث سنة ٨٥١ هـ - ١٤٤٧ م

ولاية محمدي ميرزا:

تبتدىء من حين دخل جهانشاه بغداد، واستولى عليها... وهذا كان لا يستطيع إدارة شؤون المملكة العراقية لصغره، فكان الحاكم في الحقيقة الأمير عبد الله فمكث معه لمدة سنتين ونصف، ولم يكن لمحمدي ميرزا غير الاسم، وكانت الإدارة بيد الأمير المذكور...

وفي أيامه عاش الناس براحة ورفاه، وفي أطيب حال...

ولاية الموصل:

فوض جهان شاه الموصل إلى ألوند بن الأمير اسكندر، ورحل عن بغداد متوجهاً إلى تبريز لما عناه من أمرها بسبب وفاة شاه رخ... وبعد مدة أرسل الأمير جهان شاه إلى ألوند ميرزا يطلبه إلى تبريز، فلم يقبل أن يذهب إليه، وعصى... خرج من الموصل ومر بقلعة فولاذ، وكان بها پير قلي من قراقوينلو، فانتزعها منه، ومكث هناك يقطع الطرق... وبعد مضي ستة أشهر خرج ألوند من قلعة فولاذ ومضى يريد الاتصال بالمشعشع[2]...

(١) الضوء اللامع ج٦ ص١٣٦.
(٢) الغياثي ص٣٠٩ و٣١٠.

حوادث سنة ٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨ م

ولاية الأمير بير بوداق:

وهذا ابن جهان شاه، فقد عزل ولده محمدي ميرزا، وولى ابنه پير بوداق هذا فدخل بغداد نهار السبت ١١ شهر رمضان سنة ٨٥٢ هـ[1]...

حوادث سنة ٨٥٣ هـ ـ ١٤٤٩ م

ألوند ـ المشعشع:

إن ألوند في أوائل هذه السنة وبعد مضي ستة أشهر من بقائه في قلعة فولاذ خرج من هناك سائراً إلى المشعشع بقصد الاتصال به فأرسل پير بوداق إليه عسكراً ليحول دون ذلك فلم يظفر به ويضم ألوند إلى المشعشع ومن ثم صارت تنتظر الفرص للوقيعة بالعراق[2]...

حوادث سنة ٨٥٤ هـ ـ ١٤٥٠ م

پير بوداق ـ تبريز:

كان قد مكث پير بوداق في بغداد ولم يتم السنتين وفي هذه الأيام كان والده جهان شاه قد سار إلى أطراف الكرج وبعد عن تبريز فكانت خالية من حاكم فأرسلت إليه أمه تنذره بالخطر على تبريز وتحذره أن يطمع فيها آق قوينلو وطلبت منه أن يتداركها قبل أن يفرط الأمر. وعلى هذا ذهب إلى تبريز وأقام بها مدة غياب أبيه. وهناك صادر بعض الناس. فلما عاد إليها أبوه اجتمع به وطلب الإذن بالرجوع إلى بغداد فرجع وكان قد بقي فيها أقل من سنة...

---

(١) الغياثي.

(٢) الغياثي ص٣١٠.

حوادث سنة ٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م

تستر ـ العراق:

كانت حالة إيران مضطربة كما مر. وزاد في الطين بلة وفاة السلطان محمد بن بايسنقر في ١٥ ذي الحجة من هذه السنة، كان قد قتله أخوه بابر أثناء الحرب معه ودخلت الممالك التي تحت إدارته في حكم بابر. وحينئذ راسل علي ماماش[1] من تستر كلًا من ألوند وپير بوداق يدعوهما إلى استلام البلدة وكان والياً بها من قبل السلطان محمد. فأرسل پير بوداق سيدي علي إلى تستر فوصل إليها ودخلها قبل وصول ألوند. فلما جاءها ألوند رأى أن الأمر قد فاته فتوجه إلى الجغتاي... وتقررت تستر لسيدي علي ومن ثم مضى علي ماماش إلى پير بوداق في بغداد...

حوادث سنة ٨٥٦ هـ ـ ١٤٥٤ م

اكتساح فارس وعراق العجم:

لما أن جاء علي ماماش إلى بغداد واتصل بالوالي پير بوداق أبدى له أن البلاد خالية وليس فيها أحد فلو توجهت إليها لأخذتها بسهولة. فعندها عزم پير بوداق إلى عراق العجم وفارس. فكان خروجه من بغداد نهار الأحد ٤ ربيع الأول من هذه السنة، وأناب عنه في بغداد أمير سيدي محمود ليقوم مقامه في إدارة شؤون المملكة، فسار پير بوداق بعساكره ومعه علي ماماش فحاصر بلدة قم، فأخذها في غرة جمادى الآخرة، ثم استولى على جربادقان في ٨ رجب، ثم افتتح أصفهان في ٢٠ رجب، فاستقبله أكابرها فجمعهم وأرسلهم إلى بغداد، وبعدها أخذ

---

(١) إن الترك لا يزالون يسمون بهذه التسمية فيقولون ممش بالتخفيف.

كاشان ثم توجه إلى شيراز وكان بها من الجغتاي الأمير سنجر فهرب ودخل پير بوداق شيراز يوم الجمعة ١٤ رمضان هذه السنة.

وفي الوقت نفسه كان الأمير جهان شاه قد اغتنم الفرصة ولم يدع الحالة على انحلالها بل مضى في سبيل الفتح مما لا يسع المقام تفصيله، فكانوا في حركاتهم العسكرية على وفاق ومناصرة...

وفاة مؤرخ (ابن أبي عذيبة):

وهو أحمد بن محمد بن عمر الشهاب المقدسي الشافعي، ويعرف بابن أبي عذيبة ولد سنة ٨١٩ هـ ببيت المقدس، ونشأ به، جاءت ترجمته في الضوء اللامع، ونقل عنه كثيراً خلال المباحث، وكان أخذ في مصر عن المحب بن نصر الله البغدادي وغيره وتاريخه هو (تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان) قال السخاوي:

«ولع بالتاريخ، وجمع من ذلك جملة، لكنه تتبع مساوي الناس، فتفرق لذلك بعده ولم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من الفوائد، وإن كان ليس بالمتقن، مات ليلة الجمعة ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ...» اهـ[1].

والتاريخ لا يقف عند ذكر المحامد، فالمؤرخ لم يكن مداحاً، وإنما دون ما وقع فلا يوجه عليه لوم فيما دونه صحيحاً... وقد تعينت نسخه الموجودة، وهنا أضيف أن كتاب (إنسان العيون في مشاهير سادس القرون) المخطوط الموجود بهذا الاسم في مكتبة المرحوم أحمد باشا تيمور هو جلد من (تاريخ ابن أبي عذيبة) وقد قابلته فتبين أنه عينه، فاقتضى التنبيه إذ لم يبق ريب في صحة ذلك...

---

(١) الضوء اللامع ج١ ص١٦٢.

وعرف ابن أبي عذيبة بأستاذه محمد بن أحمد بن حاجي المذكور في الضوء اللامع (ج ٦ ص ٣٠١).

ولما كان هذا التاريخ من مراجع كتابنا تعرضنا هنا للإشارة إلى ترجمة مؤلفه باختصار(١)...

حوادث سنة ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٤ م

المولى علي المشعشع ـ واسط والنجف والحلة:

كان قد عاد المشعشع إلى أنحاء البصرة إثر رجوع الأمير أسپان إلى بغداد وفي السنة الماضية ذهب الوالي پير بوداق إلى إيران نظراً للاضطراب الحاصل، والفتن القائمة بين أولاد شاه رخ بن تيمور، فخلت بغداد من الجيوش الكافية للمحافظة. مما دعا المولى علياً ابن السيد محمد المشعشع أن يتحرك نحو واسط فحاصرها، وقطع نخيلها، وضاق الأمر بالأهلين لما أصابهم من الجوع فمات أكثرهم.. لحد أن أهل واسط اتفقوا مع أميرهم (الأمير قيدي)(٢) المنصوب حاكماً من قبل پير بوداق على واسط، فذهبوا إلى البصرة، وخربوا المدينة، ثم تركوها...

ومن ثم استولى عليها المولى علي، ونصب بها حاكماً من جهته يقال له (دراج).

وقد ذكر صاحب مجموعة الأنوار، ولب التواريخ أن هذه الواقعة كانت سنة ٨٥٨ هـ وليس بصحيح وذلك أنه جاء في الغياثي أن مير علي كيوان خرج بالحجاج يوم السبت غرة ذي القعدة لسنة ٨٥٧ هـ فخرج عليهم المولى علي المشعشع ونهب أموالهم ودوابهم وجمالهم، وأخذ

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١.

(٢) كذا جاء في المخطوطة، وفي مجالس المؤمنين للقاضي نور الله (أمير أفندي) والظاهر أنه الصحيح.

المحمل والآية المذهبة، وقماش المحمل، ونجا أناس قلائل كانوا قد دخلوا المشهد، وحاصروا السادة في حطيم المشهد، فأرسلوا يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل والسيوف.

وكانت خزانة الحضرة منذ سبعمائة سنة تجمع فيها جميع سيوف الصحابة والسلاطين فكلما مات سلطان أو خليفة بالعراق يحمل سيفه إليها، فأرسلوا إليه مائة وخمسين سيفاً واثني عشر قنديلاً ستة منها ذهباً، وستة فضة، فأرسلوا من بغداد عسكراً لمحاربته يقدمهم دوه بيك، وانضم إليه بسطام حاكم الحلة بأجواد عسكر بغداد.

فلما وصلوا إليه كانوا بالنسبة لعسكره قليلين.. فالتقى الجمعان وهاجمهم فلم ينج منهم سوى دوه بيك، فإنه لما أحاطوا به قبض على الفرس فقام بعض رجاله، وضرب بالسيف أرجل فرسه يريد أن يعرقبه فلم يقطع السيف، وفر الفرس من حر الضرب هارباً، فلما كسر العسكر وقتلهم توجه إلى الحلة، فانكسر أهل الحلة وتوجه بسطام شحنة الحلة وجميع أهل الحلة إلى بغداد، فمن كان قدر على الحصول على مركب ركب والباقون مضوا رجالة وبينهم أطفال ونساء وقد هلك منهم خلق كثير من جراء التزاحم على العبور من شط الحلة، ومنهم من مات في الطريق من التعب والجوع والعطش، فقد خرجوا بغير زاد، ولكن الفصل (الموسم) كان بارداً فلم يضر بالكل... وبتاريخ خامس الشهر دخل السلطان علي الحلة ونقل أموالها وأموال المشهدين إلى البصرة، وأحرق الحلة وخربها، وقتل من بقي فيها من الناس، ومكث فيها ١٨ يوماً، ورحل يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة إلى المشهد الغروي والحايري ففتحوا له الأبواب ودخل فأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف ورونق المشاهد جميعها من الطوس والأعتاب الفضية والستور والزوالي وغير ذلك، ودخل بالفرس إلى داخل الضريح، وأمر بكسر الصندوق وإحراقه فكسر وأحرق، ونقل أهل المشهدين من السادات وغيرهم ببيوتهم.

وهذه الواقعة كانت كما يقول الغياثي بسبب القران الحاصل يوم الأربعاء ٢٧ شوال سنة ٨٥٧ هـ. وبهذا يحاول أن يصرف القدرة الشخصية، والقوة إلى قرانات فيعد دخل المرء معدوماً، وقدرته متلاشية، وإنما الحكم لهذا القران..

وجاء في تحفة الأزهار «إن المولى علياً ولد سنة ٨٤١ هـ، واستولى على جميع الأهواز مع شاطىء الفرات إلى الحلة، وكانت جنوده خمسمائة نفر لا يعمل فيهم السلاح ولا غيره لاستعمالهم بعض الأسماء (يرى الفعل للأسماء لا للقرانات...) وكان غالي المذهب، سار إلى العراق، وأحرق الحجر الدائر على قبة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وجعل القبة مطبخاً للطعام إلى مضي ستة أشهر تامة لقوله: «إنه رب والرب لا يموت»[1]...

وهذه النصوص مع غض النظر عما فيها من نسبة خوارق للمشعشع بسبب القران أو الأسماء... تدل على أن الحادث جرى في سنة ٨٥٧ هـ.

حوادث سنة ٨٥٨ هـ - ١٤٥٥ م

ثلج عظيم:

بتاريخ غرة المحرم وقع ببغداد ثلج عظيم لم يعهد بمثله، فمات أكثر نخل الحلة والعراق وهلك الشجر.

حروب الوالي پير بوداق في إيران:

إن الأمير سنجر بعد أن غلب كما مرّ جمع جيوشاً، وتوجه

---

(١) تحفة الأزهار ج٣ ص١١٥.

لمحاربة پير بوداق، فتأهب هذا لمقابلته، فالتقى الجيشان في أواخر هذه السنة فانتصر الوالي على عدوه سنجر، وتقررت شيراز للأمير پير بوداق، فبقي حاكماً فيها... ولم يدر ما كان يجري ببغداد من وقائع...

حوادث سنة ٨٥٩ هـ ـ ١٤٥٥ م

پير بوداق وبغداد:

في هذه الأيام وصلت أخبار المشعشع إلى پير بوداق بشيراز فأرسل سيدي علي مع جماعة نواكر (ضباط وأعوان) إلى بغداد فدخلها في ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٨ هـ فمكث سيدي علي مدة من الزمان وبعد ذلك أرسل پير بوداق جماعة عساكر من شيراز إلى بغداد ومقدمهم أمير شيخ شي الله وحسين شاه المهردار وعمه سورغان وعلي كرز الدين وشيخ ينكي أوغلي وأمر أن يتوجه سيدي علي ويعمر الحلة والمشهدين فدخل بغداد في ٢ جمادى الأولى سنة ٨٥٩ وعند ذلك توجه سيدي علي إلى الحلة يوم السبت ١٨ شعبان سنة ٨٥٩ وعمر سوقها وعمر بها قلعة. كذا في الغياثي، وإن الحوادث التالية تشعر بأن ما جرى في النجف متأخر عن هذا التاريخ...

وفيات

عبد السلام القيلوي:

في هذه السنة توفي عز الدين عبد السلام بن أحمد القيلوي[1] نزيل القاهرة الحنفي الإمام العلامة. ولد سنة ٧٨٠ هـ تقريباً بالجانب الشرقي من بغداد. وقرأ به القرآن برواية عاصم وعلوماً أخرى ثم سمع على

---

(١) نسبة إلى قرية بأرض بغداد يقال لها قيلويه مثل نفطويه.

الشيخ محمد الجاردي وأخذ عنه فقه الحنابلة. وعن الشيخ عبد الله بن عُزّيز (بالتشديد المصغر وبزاءين) وعن الشيخ محمود المعروف بكريكر (بالتصغير) وغيرهم. وبحث في فقه الشافعية ثم تحنف وأخذ الأصول عن الشيخ أحمد الدواليبي والنحو عن الشيخ أحمد بن المقداد وغيره والطب عن الموفق الهمذاني، والفرائض عن الشيخ عبد القادر الواسطي ثم ارتحل إلى العجم في فتنة تيمور فلازم ضياء الدين الهروي الحنفي وأخذ عنه ثم ارتحل إلى أرزنجان فبلاد الشام وحلب وبيت المقدس ثم رحل إلى القاهرة ودرس في عدة أماكن ولازمه الناس وانتفعوا به وهو رجل خير زاهد مؤثر للانقطاع عن الناس والعفة والتقنع بزراعات يزرعها... توفي في رمضان بالقاهرة وقد تجاوز الثمانين[1].

حوادث سنة ٨٦٠ هـ ـ ١٤٥٦ م

وقائع أخرى للمشعشع:

في هذه السنة توجه المولى علي المشعشع إلى مهروذ وطريق خراسان من ولاية بغداد ونهب وقتل وأسر الذراري والنساء وأحرق الغلات وكان ذلك يوم الأربعاء في ١٠ جمادى الثانية سنة ٨٦٠ ومكث تسعة أيام منها ثلاثة أيام ببعقوبة وثلاثة أيام من بعقوبة إلى سلمان الفارسي وثلاثة أيام بسلمان الفارسي وقتل مشايخ سلمان الفارسي وأسر الباقين.

وفي هذه الوقعة قتل عمر سرغان فإنه كان يعرف السباحة وكان معه شخص يقال له مقصود باشا لا يعرف السباحة فلما أدركتهم الخيالة وقدامهم شط ديالى ومن ورائهم الرماح ألقوا بأنفسهم إلى ديالى فغرق عمر سرغان وخرج فرسه حياً ونجا مقصود باشا وهلك فرسه ورحل بعد

(١) الشذرات ج٧ ص٢٩٥ والضوء اللامع ج٤ ص١٩٨.

ثلاثة أيام ولم يعبر ديالى ولم يخرج إليه أحد من بغداد.

زلزال:

في هذه السنة زلزلت مدينة بغداد ثلاث مرات في ساعة واحدة ثم البصرة وأرض الكوفة[١].

ابن اللوكة:

هو عطاء بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الله بن الكمال محمد بن سعد الدين محمد بن أبي الفرج بن أبي العباس بن زماخنة ـ بمعجمتين الأولى مضمومة ـ الأديب شجاع الدين أبو حسين بن العز الجلال القحطاني البصري الشافعي ويعرف بابن اللوكة[٢] ولد في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبعمائة بالبصرة ونشأ بها فحفظ بعض القرآن، وعني بالأدب، وطالع دواوين أربابه، وأضاف ذلك لما اشتمل عليه أهل بلاده من الفصاحة فنظم الشعر الجيد، وربما أتى منه بالبديع الذي استكثر عليه، ولكن الظن الغالب أنه له، فربما تكلم على بعض غريبه كلام عارف واهتز في المواضع الجيدة لدفع المخالف، ودخل بلاد فارس ششتر وأعمالها، وكذا الحلة وبغداد وتلك الأعمال، وبلاد الهند واليمن والحجاز غير مرة. ثم قطن مكة من سنة سبع وثلاثين مع تردده منها إلى اليمن غير مرة للاسترزاق وزار المدينة النبوية ثلاث مرات، وكتب عنه ابن فهد وغيره من أصحابنا، أجاز لي ومات بكالكوط (كلكتا) في شوال سنة ٨٦٠ هـ ومن نظمه:

---

(١) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٢) اللوكة بضم اللام المشددة ثم بعد الواو كاف القطن الكثير، وشهروا به لما كان لهم من المال العظيم. كذا في الأصل. وفي العراق اللوكة بالفتح القطن الجديد المحلوج الخالي من غيره.

لـمـا تـبـدى وقـد أكـبـرت صـورتـه
بـدر يـحـار الـمـعـنـى فـي مـعـانـيـه
فـقـلـت يـا لائـمـي فـي مـحـبـتـه
فـذلـكـن الـذي لـمـتـنـنـي فـيـه

وعندي من نظمه غير هذا. قاله في الضوء[1].

حوادث سنة ٨٦١ هـ ـ ١٤٥٧ م

المولى علي ـ إمداد بغداد:

وكان قد سمع جهان شاه بما فعله الولى علي من قتل ونهب وسلب وأسر فأرسل جيشاً لإمداد بغداد، فلم يطق المولى علي البقاء، وعاد إلى الحويزة، وكان الجيش قد وصل يوم الأربعاء ١٦ المحرم سنة ٨٦١ هـ فبقي مدة ورحل. كذا في الغياثي وفيه ما يؤيده الوقائع المنقولة من المخطوطة المسماة بالأنوار، ومن مجالس المؤمنين وفيها أن المولى علي المشعشع حينما سمع بورود الجيش قفل راجعاً...

وفاة المولى علي: (محاصرة بهبهان)

وإثر عودة المولى علي إلى الحويزة سار بجيشه إلى (جبل كيلويه) وحاصر مدينة بهبهان.

وفي أحد أيام المحاصرة أصاب المولى علياً سهم طائش من ناحية المدينة فقتله...

وفي المجموعة المخطوطة نقلاً عن الغياثي: من ولد السيد محمد المشعشع المولى علي حكم في زمانه وقتل بسهم في حصاره لقلعة بهبهان سنة ٨٦١ هـ. اهـ.

---

(١) الضوء اللامع ج٥ ص١٤٧.

وقال:

«أما پير بوداق فبينما هو في شيراز إذ سمع بمجيء ألوند إلى قلعة طبق وقد ترك بنيه وأهله في القلعة وتوجه إلى الجبل فسار إليه پير بوداق فهرب منه فساقوا خلفه فتشتت عنه عسكره وبقي مفرداً. وكاد يهلك من العطش فوقف حتى أدركوه في برية فوق كرمان. . .

فأول من وصل إليه پراونه بن علي ماماش فضربه على صورته فغلب الدم عليه ولم يبق له واعية فلحق پير بوداق. فلما رأى أنه لم يبق فيه رجاء شتم ضاربه وحز رأسه وذلك يوم الأربعاء ٢٢ رمضان لسنة ٨٦٠ وأرسله إلى جهان شاه ورجع پير بوداق إلى شيراز فلم يمض على ذلك ثلاثة أيام إلا جاء الخبر بأن المولى علياً المشعشع قد أخذ كردستان وبهبهان وأكثر توابع شيراز فتوجه نحوهُ فوجده محاصراً لقلعة بهبهان وهو مجروح مريض لا يستطيع الركوب. وذلك أنه كان يسبح في بعض الأيام في النهر الذي قرب القلعة تحت شجرة نبق وإذا بشخص نزل من القلعة وهم لا يرونه يسمى محمود بهرام فوقف قريباً منهم وكان السلطان يسبح مع ثلاثة من أمرائه فسلم عليهم فقالوا من أنت فقال إني هارب من القلعة وأريد الانضمام إلى معسكر السلطان ووقف حتى خرجوا من الماء. فرأى الثلاثة يخدمون الواحد فتحقق أنه السلطان فمد القوس ورماه بسهم فخرق حالبه ونفذ إلى وركه وفر هارباً، صاعداً إلى القلعة فحمل وليس به حراك ووضع في الخيمة وهو في حال رديئة.

وفي تلك الأثناء طيرت الأخبار إلى پير بوداق بأن المولى علياً مجروح وهو محاصر قلعة بهبهان فتوجه إليه.

فلما تراءىٰ عسكر پير بوداق ورأوا غبار العساكر أخبروا المولى علياً بذلك فقال قابلوهم فركبوا عليهم وساروا على پير بوداق فكسروه أول مرة فوصل پير قلي إليه وأمده بعسكره فكروا على المشعشعين

وأجلوهم إلى الحويزة. ووصل شخص إلى خيمة المولى علي فرآه نائماً فحز رأسه ولم يعلم من هو وكان وزيره (ابن دلامة) مقبوضاً عليه فعرف الرأس وفتشوا على الجثة فحصلوا عليها وسلخوها وحشوها تبناً وأرسلوها إلى بغداد وأرسل الرأس إلى جهان شاه ودخل جلده بغداد في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٨٦١ هـ. وجاء في الضوء اللامع[1] أن علي بن محمد بن فلاح الخارجي الشعشاع (كذا) مات سنة ٨٦٣ هـ.

ترجمته:

قد مرت حوادثه... وكان منفوراً من الجميع بسبب ما قام به من إهانة العتبات الشريفة في النجف وفي كربلاء والقتل والتخريب والنهب... ونحن ننقل بعض ما عرف عنه من النصوص التالية...

ففي المجلس الثامن من مجالس المؤمنين:

«أن المولى علياً في أواخر أيام أبيه استولى على أموره وأخذ منه السلطة وولي زمام الإدارة وصار هو الرئيس صاحب القول الفصل. وهذا ساق الناس إلى عقيدة أن روح الإمام علي قد حلت فيه، وأن الأمير لا يزال حياً... فأغار المولى علي المذكور على عراق العرب وانتهب المشاهد المقدسة وتجاسر على العتبات بوقاحة واستولى عليها. وأن والده قد عجز عن إصلاحه وكتب إلى الأطراف أنه لا يقدر عليه وفي بعض مؤلفاته قد نعت نفسه بين القوم بالمهدي إلا أنه لم يقف عند هذه الدعوى وإنما ادعى الألوهية... وفي أواخر المجلس الخامس ذكر المؤلف أن قد جرت ملاطفة ومحاجة بين السيد إبراهيم المشعشع والسيد قاسم نور بخش في مجلس السلطان حسين بايقرا في هراة وكان من مصاحبيه مير علي شير نوائي فدخل السيد قاسم نور بخش فأراد أن

---

(١) الضوء اللامع ج٦ ص٧.

يزاحم السيد إبراهيم المشعشع في مكانه فأمسك بيده وقال له لتتحاج في تقدمك علي وماذا عسى أن يكون السبب هل ذلك دعوى السيادة فإن كلًا منا مشكوك في سيادته؟ أو إذا كانت دعوى لا مبنى لها فإن والدك أدعى المهدوية ووالدي زعم الألوهية أما إذا كان الأمر غير ذلك ومبناه الفضيلة فهات أسمع...! وغرضه من هذا القول أن والد السيد إبراهيم وهو المولى علي ادعى الألوهية كما أن والد السيد قاسم وهو السيد محمد نور بخش ادعى المهدوية... الخ.

ثم قال:

ولما ذهب المولى علي إلى جبل كيلويه أصابه سهم في بهبهان فأرداه قتيلاً فكانت الرمية مسددة... وحينئذ تخلص الأب من لوم الناس وتقريعهم بسببه...» اهـ.

وفي جامع الدول:

«كان حلولياً، يعتقد أن روح الإمام علي عليه السلام قد حل فيه... فأغار على المشاهد المقدسة بالعراق فنهبها نهباً فاحشاً، وأساء الأدب، وارتكب القبائح، وبقي على إلحاده وظلمه إلى أن قتله الأتراك في حوالي جبل كيلويه...» اهـ.

هذا ملخص ترجمته...

عقائد المشعشعين

وهنا لا نرى وجهاً لاعتبار الابن غالياً والأب يتبرأ من الغلو مع ما نقل كما مر من النصوص ومنها ما أورده نفس صاحب مجالس المؤمنين... والمعروف عنه في كتبه الأخرى أنه لم يستثن أحداً منهم. وإني مورد ما جاء في كتابه (تذكرة المؤمنين) عن الغلاة والعلي اللهية خاصة وعن المشعشعين أنفسهم... وهكذا نوالي البحث في حينه عن كل من أمراء المشعشعين...

العلي اللهية والمشعشعون (عقائدهم):

من النقول المارة يظهر أنهم يعتقدون الألوهية في الإمام علي عليه السلام ويقولون بالحلول وقد ظهر ذلك بصراحة على لسان الابن وهو المولى علي المذكور. جاء في تذكرة المؤمنين ما يؤيد ذلك فقد أوضح المؤلف مشاهداته لبعض الغلاة من العلي اللهية بما نصه:

وأما ما شاهدته بأم عيني من الغلاة وما رأيته من العقائد الراسخة فيهم أنني كنت سائراً في طريق بغداد فوصلت إلى منزل يقال له «هارون آباد[1]» فنزلت في وسط غابة مع من نزل من القافلة بقصد تدخين النارجيل وشرب القهوة فأوقدوا النار هناك وأضرمت الأحطاب فجلسنا حول النار وكنت أصلح النار وأضع الوقود عليها... فاحترقت يدي. وكان يرافقنا امرؤ من أهل قندهار فلما رآني بهذه الحالة خاطبني بقوله إنك تخشى النار فقلت له كيف لا أخشاها وفعلها الإحراق فأجابني: إنكم تدعون التشيع في حين أن النار لا تحرق الشيعة وأريد أن أبرهن لكم أنكم لا تحبون علياً حقيقة ولستم صادقين في الإخلاص له فحينئذ تأوه وقال:

بــــارهــــا كــــفــــتــــه أم بــــخــــلــــوة دل
عــــلــــي الله غــــيــــره بــــاطــــل[2]

وعلى أثر قراءته رفع جمرات كثيرة من النار وألقاها على صدره ونحره ومد يده إلى داخل النار، وأخرجها منها مع ذكره (يا علي يا علي) فدام هذا الحال معه إلى أن طفأت النار التي كانت على صدره وفي حجره... ولم يمسه سوء منها ولا أي ضرر... ولم تظهر على

(١) الآن تسمى شاه آباد بالقرب من كرمان شاه تبعد عنها بضع مراحل.

(٢) معناه: نطقت مراراً في خلوة قلبي أن علياً هو الله وغيره باطل.

وجهه علامات الانزعاج والألم... فكأنه يلعب بالماء.

وحينئذ وجه القول علينا وخاطبنا:

- أعلمتم أنكم لستم من الشيعة...!؟

فقلت له أظنك (علي اللهي) فقال نعم! أنا لا أخشى أحداً وأخرج فجأة خنجره الذي كان لديه فخشينا منه على أنفسنا إلا أنه أنزله بقوة عظيمة في بطنه وصدره بحيث انحنى رأس الخنجر ولم يصب جسمه أذى...

وكلمنا بقوله:

- إنكم لا تعتقدون أن (نور علي) حاضر وناظر وتقولون إنه في قالب المثال أو في جسده الأصلي وبمقتضى اعتقادكم هذا ينبغي أن لا يدوم أكثر من ثلاثة أيام ومع هذا الاعتقاد تزعمون أنه يحضر عند العباد لدى احتضارهم أو ولادتهم فأين يذهب؟ وماذا تطالبون من القبر؟ وهو لم يكن فيه؟ فلم تتحملون المشاق والأسفار في سبيل زيارة قبره! ولو سلمنا بهذا فأين يذهب وماذا تطلبون من قبر لم يكن هو فيه...؟

وعندما أنهى كلامه هذا قام جمع من الحضّار فودعنا وسار لوجهه راجلاً مع من سار[1]...!! ا هـ.

وأمثال هذا من النقول كثير وقد أورد المؤلف بيتاً في موطن آخر من كتابه قال:

كرنكويم من خدايت يا أمير المؤمنين
پس چه مكويم درثنايت يا أمير المؤمنين

---

(١) تذكرة المؤمنين ص٧٩.

ومعناه إذا لم أقل أنت الله يا أمير المؤمنين فماذا أقول إذن في الثناء عليك...

ومن هذا كيف نعلم أن عقائد هؤلاء هي عقائد المشعشعين؟ وما الدليل على أنهم منهم؟

فأقول إن المؤلف عاد للموضوع مرة أخرى وتعرض له، فبين أن هذه العقائد لها مكانة معينة وأن المشعشعين صنف من هؤلاء وتفصيل الخبر أنه قال:

«إن الناس في حضرته - حضرة الإمام علي - أربع طوائف أولاها غالية في حبه وتقول بألوهيته، والأخرى تغالي في بغضه وتقول ما لا يليق ذكره.. وثالثة تستخفّ به عناداً، ورابعة اعتقدت بإمامته... وإن الغالين فيه الذين يعتقدون بألوهيته منهم المفوضة... وهؤلاء يقولون إن الله فوض إليه إدارة العالم في كافة شؤونه ولم يتدخل بشيء... ومنهم السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ من نصيرية وهؤلاء أيضاً اعتقدوا بألوهيته وبعد أن استشهد قالوا إنه لم يمت وإنما هو حي... وإن ابن ملجم لم يقتله وإنما الشيطان تمثل بصورته فقتل... ومنهم الغرابية[1] يقولون بأن الله أرسل جبريل إلى علي إلا أنه اشتبه وذهب إلى محمد وكان يشبه علياً كما يشبه الغراب الغراب... وبعضهم يقول إن علياً هو الله... ومنهم الشريفية وهؤلاء يقولون إن الله (حل) بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فهم آلهة. ومنهم المغيرية يقولون إن الله حل بعلي وصار هو الله... وإن قبيلة هزارة[2] وعربان المشعشع على هذا المعتقد (وهنا تعينت عقائد المشعشعين) ومنهم المخمسة وهم يعتقدون أن سلمان

---

(١) منهم عشيرة الزند أصحاب كريم خان الزند ولكنه كان إمامياً راجع تاريخ جودت ج١ ص٣٤١ وفي تبصرة العوام انهم فرقة من الخطابية ص٢٣٧ هامش معارف الملة.

(٢) هؤلاء في الأفغان. وذلك القندهاري منهم.

والمقداد وعمار وأبا ذر وعمرو بن أمية الضمري موكلون بأمور العباد للقيام بمصالح العالم من جانب علي الذي هو الله... اهـ[1].

ومن هذا عرفنا مكانة عقائد المشعشعين بين الغلاة وقد اتفق المسلمون على تكفير الغلاة وإخراجهم من حظيرة الإسلامية وأن المؤلف أيضاً كفرهم وقد مرت النقول على أن المشعشعين من أهل الحلول والاعتقاد بألوهية الأشخاص وعبادتهم... وأما استعمال النار والسلاح فإنه أيضاً قد نقل المؤلف مثله عن العلي اللهية وبصره بأم عينه فلا فرق بينهما في العقيدة بوجه فهم يتخذون هذه وسيلة أو طريقة لنشر عقائدهم... والعلي اللهية في العراق كثيرون ولا نطيل القول هنا بذكر عقائدهم فللبحث عن ذلك موطن غير هذا[2].

الأمير ناصر العبادي ـ واسط: (المشعشع أيضاً)

وبعد وفاة المولى علي وافى الأمير ناصر بن فرج الله العبادي إلى بغداد وأخبر أن عسكر بغداد مع القبائل العربية الكثيرة المجتمعة لنصرته قد تشتت شملهم ودمرهم السيد محمد المشعشع وعقب أثرهم حتى أوصلهم إلى واسط فانتصر المشعشع المذكور عليهم وقتل فيهم تقتيلاً فظيعاً ولم ينج منهم أحد فكانت هذه الوقعة دامية جداً. وقد حدثت في أواخر هذه السنة (٨٦١) هـ.

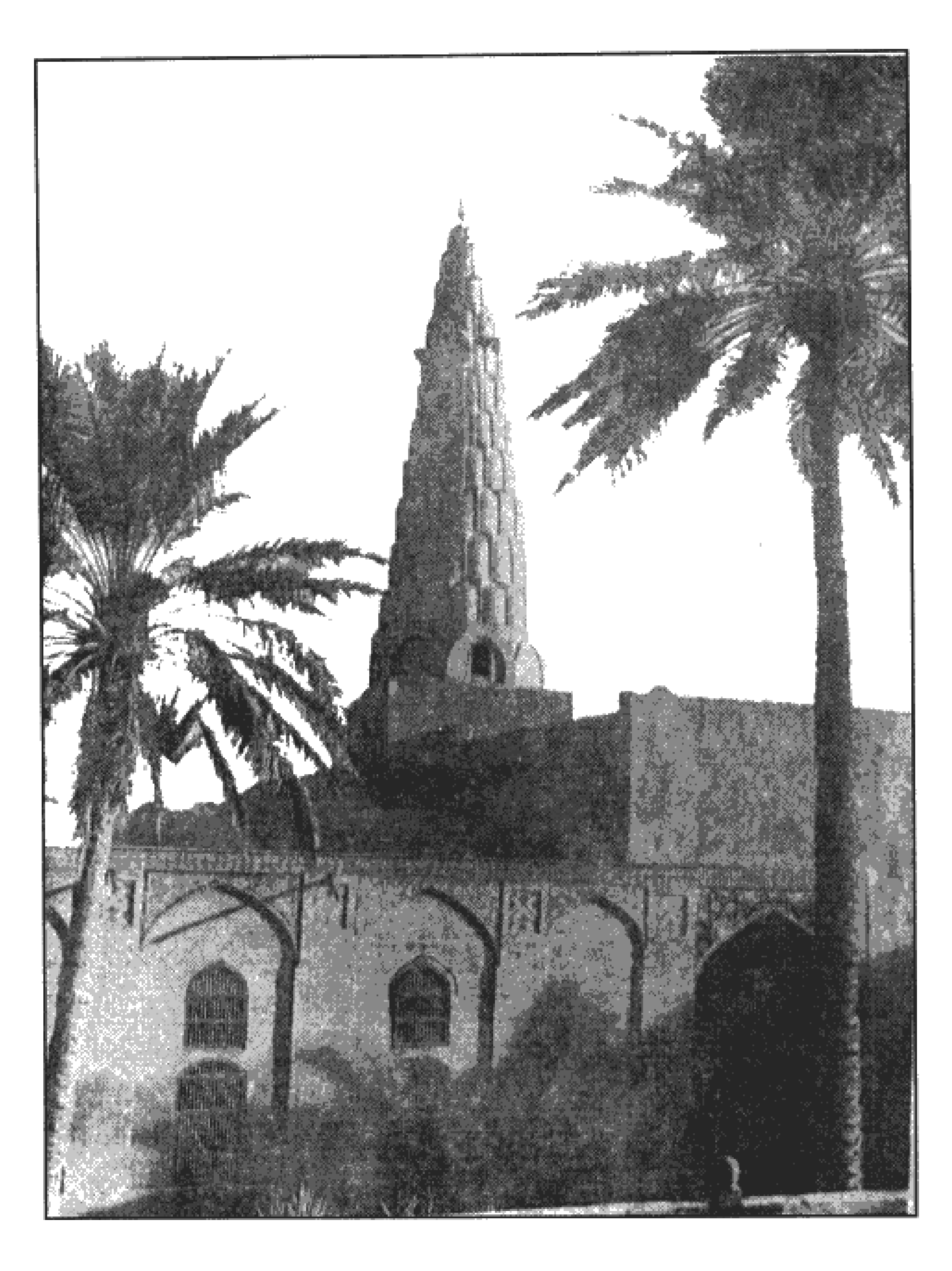
حوادث سنة ٨٦٢ هـ ـ ١٤٥٧ م
وفيات

ابن الدواليبي:

هو علي بن عبد المحسن بن عبد الدائم بن عبد المحسن بن

(١) تذكرة المؤمنين ص٧٧.

(٢) راجع ما كتبناه عن النصيرية في تاريخ العراق ج٢.



ميل ضريح السهروردي ـ عن دار الآثار العراقية

محمد بن أبي المحاسن عبد المحسن بن أبي الحسن بن عبد الغفار العفيف أبو المعالي بن الجمال أبي المحاسن ابن النجم أبي السعادات أو أبي محمد بن محيي الدين أبي المحاسن بن العفيف أبي عبد الله بن أبي محمد البغدادي القطيعي ثم الصالحي الحنبلي ويعرف كسلفه بابن الدواليبي وبعض سلفه بابن الخراط وهما صنعة عبد الغفار جده الأعلى، من بيت جليل. ولد في المحرم سنة ٧٧٩ هـ ببغداد ونشأ بها فقرأ القرآن واشتغل، أخذ عن الكرماني، وعن القاضي شهاب الدين أحمد بن يونس العبدالي البغدادي المالكي أحد من أخذ عن الحجار، وأنه سمع على أبيه المسلسل... وكان المحب بن نصر الله البغدادي قد ذكر ما يدل على اتهامه، وكذا ابن حجر ولكنه له استعداد واستحضار لكثير من التاريخ والأدبيات والمجون. أقام بالقاهرة مدة، ثم سكن دمشق، ثم رجع إلى القاهرة... مات في ١٦ رجب سنة ٨٦٢ هـ. هذا ما ذكره صاحب الضوء اللامع، وجاء في الشذرات أنه كان إماماً عالماً ذا سند عال في الحديث ولم يقطع في تاريخ وفاته وإنما قال توفي سنة ٨٥٨ تقريباً[1].

حوادث سنة ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م

فتن وأراجيف:

حصل في هذه السنة أراجيف وفتن بين بغداد والموصل لاختلاف الملوك، ونهبت قوافل وقرى[2] والوقائع السابقة تعين الحالة، وأن المملكة في اضطراب لا في هذه السنة خاصة، ولعل الشر قد تزايد فيها...

وفي ٢٧ رمضان سنة ٨٦٤ هـ دخل پير قلي بغداد، وكان قد أرسله پير بوداق إليها كما سيجيء... وهذا وصيف پير بوداق (قنه) ومعنى پير قلي (عبد پير) أي عبد پير بوداق.

---

(١) الضوء اللامع ج٥ ص٢٥٥ والشذرات ج٧ ص٢٩٣.

(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

حوادث سنة ٨٦٦ هـ ـ ١٤٦١ م

عودة الأمير پير بوداق:

كان هذا الأمير قد ذهب إلى شيراز، وبقي خارج العراق عشر سنوات، قضاها في الحروب... وذلك اعتباراً من وفاة السلطان محمد بن بايسنقر بن شاه رخ في ١٥ ذي الحجة سنة ٨٥٥ هـ وقتله أخوه ميرزا باير، فتوجه الأمير نحو جهة، ووالده جهان شاه نحو أخرى. فسخروا فارس وبلاد عراق العجم، وكانت تحت سلطة ميرزا محمد بن بايسنقر المذكور... كما أنه حينما توفي باير في ٢٦ ربيع الثاني سنة ٨٦٢ هـ سار جهان شاه إلى هراة فاستولى عليها... وعلى هذا تحرك أبو سعيد[1] من سمرقند ومضى لمقاومة جهان شاه... وهذا لم يسعه إلا تسليم هراة والصلح مع أبي سعيد على إنكار في ١ صفر سنة ٨٦٣ وخرج جهان شاه هارباً وألقى في الطريق أثقاله... وبعد ذلك عصت على جهان شاه مدينة أصفهان فدخلها قهراً ودمرها... ثم منحها إلى ابنه محمدي ميرزا كما أنه جعل شيراز في قبضة ابنه پير بوداق وأعطى كرمان لابنه الآخر يوسف ميرزا. ويزد أودعت إدارتها إلى امرأته...

وهكذا اقتسموا مملكة إيران فمضى الأمر على هذا مدة...!

ثم حدثت منافرة بين الأمير جهان شاه وابنه پير بوداق بسبب ساتلمش (صاتلمش) الشيرجي فأرسل إلى ابنه پير بوداق يطلب منه فلم يلتفت إليه وحينئذ كتب إليه إما بغداد وإما شيراز وإلا أخذهما قهراً... وتوجه جهان عليه فلما علم پير بوداق خرج من شيراز بعسكره وأتباعه مع جماعة من أهل شيراز من صناعها وكتابها وأرباب الحرف والصنايع منها... ومضى إلى كريوة ماهين وتنك براق وصنع سوراً وتأهب

---

(١) هو ابن ميرزا محمد بن ميران شاه بن تيمور.

للحرب... فلما حضر جهان شاه سار پير بوداق إلى تستر وأعطى جهان شاه شيراز إلى ابنه يوسف ميرزا وأقام پير بوداق في تستر وأرسل پير قلي وصيفه إلى بغداد فدخلها يوم الخميس ٢٧ رمضان سنة ٨٦٤ هـ.

ثم إن پير قلي هذا كتب إلى پير بوداق يحثه على الخروج من تستر واللحاق به، فلم يستطع مخالفته فسار من هناك إلى بغداد، فدخلها يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ٨٦٦ هـ.

وفي هذه المدة كانت النفرة بينه وبين والده تزيد يوماً فيوماً بل اشتدت الفتن... ولما دخل بغداد طرح على الأهلين ألفاً وثمانمائة تومان، فلم يستطيعوا الأداء فأهان الناس بالضرب والتعذيب، ونالهم منه ما لم يروه من قسوة وشدة...

وفاة السيد محمد المشعشع:

توفي السيد محمد هذا يوم الأربعاء ٧ شعبان سنة ٨٦٦ هـ فخلفه في إمارته ابنه المولى محسن[1].

ترجمته:

في كتب كثيرة نرى ترجمته وقد مضى الكلام على ظهوره وتاريخ مناضلاته مع العراق والحويزة. والآن ننقل ما عرف عنه من النصوص الأخرى... منقولة من مجموعتنا الخطية المسماة بالأنوار قال في كتاب إيجاز المقال في علم الرجال ما نصه:

«قال مؤلفه الجليل العالم العلامة النسابة الشيخ فرج الله بن محمد ويسمى أحمد بن درويش بن محمد بن حسين بن جمال الدين بن أكبر مجرد الجيلي من بلاد الجبل أصلاً الحويزي مولداً الجزائري نشأة

---

(١) الغياثي، الضوء اللامع ج٨ ص٢٨٠.

المزرعاوي نسبة في الجلد الثاني منه هكذا (محمد كالأول في ست ابن فلاح بالفاء واللام والألف والحاء السيد الموسوي ولكنه مخلط) انتهى كلامه. قوله (كالأول) يعني كالاسم الذي تقدم ضبطه بميمين بينهما حاء وبعدها دال مهملة. قوله (في ست) يعني سأذكره في الخاتمة في الفائدة التي تشتمل على فهرست ما عثرت عليه من أصل أو كتاب. ولا يخفى أن الذي نقلته وأنقله... عن هذا الكتاب من كتاب الأصل خط المؤلف وهو عندي... وقد وجدت بخطه الشريف مكتوباً بالحمرة على ترجمة السيد محمد بن السيد فلاح هذا هكذا (جد بيت المهدي) انتهى. أقول وذلك أن السيد محمد يلقب بالمهدي... ولا يخفى أنه بعد أن ذكر السيد محمد في الفهرست قال: ومحمد هذا هو المهدي المشهور بالحويزة قد طلب العلم بمدرسة الحلة وتلمذ على الشيخ الجليل أحمد بن فهد المجتهد المشهور. وفي تاريخ الغياثي: كان عالماً بجميع العلوم المعقول والمنقول وكان عارفاً بعلم التصرف وصاحب رياضات ولذلك كان يخبر بما يكون من ظهوره وقيل اعتكف في مسجد الكوفة سنة كاملة بشيء قليل من دقيق الشعير وقد ظهر منه تخليط في ابتداء ظهوره سنة ٨٤٠ هـ حتى أمر أستاذه... بقتله وله كتاب رأيته يميل به إلى الحلولية معدن تخليط وزخارف غلب على عقول بعض الناس...» اهـ[١].

وفي كتاب مجالس المؤمنين في آخر المجلس الخامس منه في ترجمة الشيخ أحمد بن فهد ما نصه:

«من جملة تلامذته السيد محمد بن فلاح الموسوي الواسطي وهو أول سلاطين المشعشعين... وكانت أكثر ولايات الحويزة في تصرف هؤلاء...» اهـ.

---

(١) مجموعة الأنوار.

وفي كتاب المجموعة الجامعة الكاملة النافعة تأليف العالم الجليل الشيخ عبد الله بن عيسى بن محمد صالح المشهور بميرزا عبد الله أفندي... وهي عندي بخطه الشريف وهي كالفهرست لأكثر الكتب الغريبة التي ألفها العلماء الأعلام قال فيها في الثلث الأخير منها هكذا:

«فائدة قد رأيتها في صدر بعض الرسائل لبعض متأخري علمائنا بالفارسية في بيان مناظرات جماعة من علماء الشيعة مع العامة في الإمامة كابن جمهور والأحساوي (الأحسائي) وهشام بن الحكم والشيخ المفيد وغيرهم. وهذا أول الرسالة:

الشيخ العالم الزاهد أبو العباس أحمد بن فهد الحلي... ونقل بعض أحوال الشيخ (ره) إلى أن قال: ومن أفاضل تلامذته السيد محمد بن فلاح الموسوي الواسطي أول سلاطين المشعشعين» ا هـ.

وفي (كتاب تنبيه وسن العين بتنزيه الحسن والحسين في مفاخرة بني السبطين) قال مؤلفه العلامة النسابة السيد محمد بن علي بن حيدر بن محمد بن نجم وبه يعرف هذا البيت فيقال بيت السيد نجم الحسيني الموسوي في أواسط هذا الكتاب عند تعداد ملوك بني الحسين... هكذا:

«ومن الممالك الحسينية مملكة المشعشع. قال صاحب النفحة العنبرية المشعشع بضم الميم وفتح الشينين المعجمتين إلى أن قال السيد محمد صاحب هذا الكتاب طاب ثراه، والذي في زماننا وما قبله إلى قبل التسعمائة استقرار ملكهم في حوزستان[1] بضم الحاء المهملة وكسر

---

(١) في معجم البلدان الحوز أهل حوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. وحوزستان اسم لجميع بلاد الحوز وعامتهم يتكلمون بالعربية والفارسية غير أن لهم لساناً آخر حوزياً. وفي كورهم من جميع الملل... وقد أوضح الشيء الكثير عن بلادهم وأهليهم (مادة حوز وحوزستان من المعجم ج٣).

الزاء المعجمة وسكون السين المهملة كذا ضبطه ابن خلكان وقال هي بلاد بين البصرة وفارس والنسبة إليها حوزي وقد فات هذا صاحب القاموس فلم يذكره وإنما ذكر الحويزة كدويرة وقال قصبة بحوزستان. والحويزة في هذا الزمان مقر ملك هؤلاء السادة مع تملكهم لقطر حوزستان وغيره وهم الآن تحت الطاعة لملوك العجم السادة الصفوية على أن ملكهم سابق على ملك أولهم شاه إسماعيل كذا أخبرني بمكة المشرفة ملكهم الآن السيد الجليل علي بن عبد الله وذلك مقتضى كلام صاحب النفحة العنبرية. وهم عرب كرام أمجاد أبطال أنجاد وتحت ملكهم وطاعتهم من عرب جهتهم ألوف كثيرة فوارس شجعان وقد أخذوا البصرة في حدود عشر ومائة بعد الألف لملك العجم الذي هم في طاعته ثم ردها على السلطان الأعظم ملك الروم والحرمين الشريفين للمعاهدة والمهادنة التي بينهما» ا هـ.

وفي كتاب مجالس المؤمنين في المجلس الأول ما هذا لفظه[1]:

الحويزة تصغير الحوزة وأصله من حازه يحوزه حوزاً إذا حصله وهو موضع حازه دبيس بن عفيف الأسدي في أيام الطائع لله ونزل فيه بحلته وبنى فيه أبنية وليس بدبيس بن مزيد الذي بنى الحلة بالجامعين ولكنه من بني أسد أيضاً. كذا في معجم البلدان. قال: وهذا الموضع[2] بين واسط والبصرة وحوزستان في وسط البطائح. والبطائح جمع بطيحة بالفتح ثم بالكسر والبطحاء مثلها وتبطح السيل إذا اتسع في الأرض. وبذلك سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض. وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى

---

(١) أصله فارسي وقد روجع نقله عن معجم البلدان.

(٢) هو الحويزة وصفه في معجم البلدان وصفاً نقله عن أبي الوفاء زاد ابن خودكام (ص٢٧٣ من المعجم ج). وفي الأنساب ذكر للحويزة وخوزستان...

متصلة وأرضاً عامرة فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة، وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة فعجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها فلما نقص الماء وأراد العمارة أدركته المنية وولي بعده ابنه شيرويه فلم تطل مدته ثم ولي نساء لم تكن فيهن كفاية ثم جاء الإسلام فاشتغلوا بالحروب والجلاء ولم يكن للمسلمين دراية بعمارة الأرضين فلما ألقت الحروب أوزارها واستقرت الدولة الإسلامية قرارها استفحل أمر البطائح وانفسدت مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها فبنوا فيها قرى وسكنها قوم وزرعوها الأرز. . . وتغلب عليها في أوائل أيام بني بويه أقوام من أهلها وتحصنوا بالمياه والسفن وخرجت تلك الأرض عن طاعة السلطان وصارت تلك المياه لهم كالمعاقل الحصينة إلى أن انقضت دولة الديلم ثم دولة السلجوقية. فلما استبد بنو العباس بملكهم ورجع الحق إلى نصابه رجعت البطائح إلى أحسن النظام وجباها عمالهم كما كانت في قديم الأيام قال المؤلف (المجلسي): وعلى هذا قد ظهر لنا أن متوطني تلك الديار كان بعضهم من أيام الديلم والبعض الآخر من قبيلة بني أسد فاختاروا التوطن في تلك البطائح وكلتا الطائفتين من الشيعة الإمامية ومن المخلصين للسادة العلوية. وفي العصر التاسع للهجرة كان السيد محمد ابن السيد فلاح الموسوي الواسطي من تلامذة الشيخ الأجل أحمد بن فهد الحلي الإمامي. . . قد ذهب إلى تلك الأنحاء وأقام مع هذه الأقوام وهؤلاء لما كانت عقائدهم صافية ورأوا أنه على الحق اتخذوه حاكماً عليهم وصارت تدعى تلك الجماعة بأتباع المشعشع رباهم كما أراد ولمدة قصيرة تمكن من أن يتسلطن عليهم فاستولى على جميع ولاية خوزستان، والجزائر وأكثر عرب العراق فتصرف بها وحكمها. ومن ثم انتشر مذهب الإمامية في بلاد خوزستان وتشعشع أمر التشيع في تلك

الديار والأنحاء ولا يزالون حتى الآن مرتبطين بأولاد السيد محمد وأخلافه وهم تحت حكمهم (إلى أيام المجلسي) وسنتكلم على حكومة هؤلاء في هذا الكتاب[1]...

ملحوظة:

ما فائدة هذا الارتباط بمن اعتقاده ما مر الكلام عليه عند ذكر وفاة المولى علي عام ٨٦١ هـ.

حوادث سنة ٨٦٧ هـ ـ ١٤٦٢ م

العثور على كنز:

مضى على مجيء پير بوداق مدة سنة واحدة وبينما كان الأمير سيدي علي يعمر أرضاً برواق عزيز إذ وقع بسرداب فيه مال عظيم من الذهب الأحمر. فأعلم بها پير بوداق ووزنوها فكانت سبعمائة منٍّ بوزن تبريز (سبع قناطير حلبية) كلها مسكوكة بسكة الخليفة الناصر لدين الله وهي ذهب ابريز تام العيار من أموال الخليفة الناصر. وقد دفنه وزرع فوقه شجراً حتى لا يفطن إليه أحد.

وكان هذا الخليفة كثير الولع بجمع الذهب وحبه إلا أن جميع ما دفنه استخرجه ولده المستنصر وصرفه على العمارات والمفرجات وأبواب البر...

أراد سيدي علي أن يجعل تلك الأرض ديوان خانه فبينما البناؤون يحفرون الأساس وقعوا بها... ومن ثم تكلم الناس فقال بعضهم هذه عناية في حق پير بوداق وقال الغياثي، أعطي ذلك المال ليكف عن ظلم العباد فزاد في غيه وظلمه وصار نكالاً عليه كما أن جهان شاه سمع به

---

(١) مجالس المؤمنين: المجلس الأول ص١٤ ـ ١.

فصمم العزم إليه وقتله وهو أيضاً قتل بسببه عدة أناس. ولهذا سمي (حجر القاتول)[1].

وفيات

١ ـ حميد الدين النعماني:

هو محمد بن أحمد بن محمد، حميد الدين أبو المعالي بن تاج الدين النعماني نسة للإمام أبي حنيفة (رضه) البغدادي الفرغاني الدمشقي الحنفي. ولد في ١٧ صفر سنة ٨٠٥ بمراغة من أعمال تبريز، ونشأ ببغداد، وتفقه فيها على أبيه، والشريف عبد المحسن البخاري، وتحول مع أبيه لدمشق في أواخر ذي القعدة سنة ٨٢١ هـ، ثم دخل القاهرة في التي تليها، وتفقه فيها بالشمس بن الديري، والعز عبد السلام البغدادي، ثم عاد لدمشق سنة ٨٢٤ هـ وقطنها وتفقه بها على العلاء البخاري، والشرف قاسم العلائي فلازمه وأخذ منه علم الشريعة والطريقة وسائر فنون المعقولات، وولي قضاء الحنفية بدمشق في سنة ٨٥٣ هـ... وحج مراراً وولي تداريس وأنظاراً عدة وألف رداً على ابن تيمية في الاعتقادات، وشرحاً للكنز لم يكمل، وله عدة رسائل في مسائل، وكان عالماً بالنحو والصرف والمعاني والبيان والأصول وغيرها مشاركاً في الفقه. ذكره في الأنباء، وطعن في نسبه.

مات ليلة الأحد ٦ ربيع الأول سنة ٨٦٧ هـ بالمدرسة العينية، ودفن بسفح قاسيون[2] ومر ذكر حسام الدين عم والده في المجلد الثاني وكذا الكلام على والده.

---

(١) الغياثي.

(٢) الضوء اللامع ج٧ ص٤٦.

٢ ـ برهان الدين الكيلاني:

في حدود هذه السنة توفي برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن التاج عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر البغدادي الحنبلي. ولد في ٣ ذي الحجة سنة ٧٩٣ وقرأ على علماء عصره وجد واجتهد حتى صار إماماً عالماً زاهداً قال في الضوء اللامع نشأ ببغداد وسافر إلى مكة وسمع بها على ابن صديق صحيح البخاري وغيره وقطن القاهرة وحدث فيها وسمع منه الفضلاء وله ابن اسمه علي وهو سبط الشمس محمد بن معروف التاجر المتوفى سنة ٨٨٦ هـ[١].

حوادث سنة ٨٦٨ هـ ـ ١٤٦٣ م

أحوال العراق:

كان الأمير پير بوداق في هذه السنة وأوائل التي بعدها تتوارد إليه الرسل من أبيه جهان شاه فينالهم منه كل إهانة وتحقير بل قتل وتدمير... فلم تحصل ألفة بينهما واستمرت البغضاء وصارت تشتعل نيران الفتن بينهما إلى أن وصلت الحالة إلى ما لا تحمد عقباه وذلك أنه جاء في أحسن التواريخ أن حسن علي مضى إلى بغداد ولقي رعاية من ميرزا پير بوداق وأنه كان يتابعه في إلحاده جماعة من أهل الزندقة ممن يطعن بدين محمد ﷺ، ويرى وجوب ترك الصيام ورفع التكاليف الإسلامية ومن ثم رأى السلطان (جهان شاه) أن رسوم الشرع لم تراع وأصابها خلل فسار إلى بغداد بعظمة وكثرة جنود، ووزع الجيش إلى جهات متفرقة وأراد أن يحيط به من كل صوب ليسد الطرق على پير بوداق... ولكن هذا اتخذ الأهبة وحاصر[٢].

---

(١) الشذرات ج٧ ص٣٦ والضوء اللامع ج١ ص٧٣ وج٥ ص١٥٣.

(٢) أحسن التواريخ.

حيوان بحري:

في هذه السنة (٨٦٨ هـ) خرج حيوان من البحر من ناحية البصرة على صورة فرس وله جناحان يطير بهما نحو مائة ذراع وإذا لحق ركض على الأرض اسبق من الريح ولم يقدر أحد على قبضه وإذا جن الليل عاد إلى البحر وأقام على ذلك عشرة أيام ثم ذهب ولا يعلم أحد أين ذهب كذا نقل العمري[١].

وفيات

الخريزاتي:

هو علي بن جمعة بن أبي بكر البغدادي خادم مقام الإمام أحمد كآبائه والخريزاتي ولد سنة ٧٥٠ هـ أو بعدها ببغداد ونشأ بها وتعلم صنائع ثم ساح في البلاد وطوف في العراق والبحرين والهند وأرض العجم وما وراء النهر ثم حج وطوف في البلاد الشامية ثم قدم القدس وسكن به وبالخليل ونابلس ثم قدم القاهرة وسكنها وطوف في ريفها وارتزق بها من صنعة الشريط وجلس لصنعه بحانوت تجاه الظاهرية القديمة وشاع عنه مما شاهده الثقات في سنة ٨٤٤ هـ إن السباع إذا مر بها عليه تأتيه وتتلمس به هيئة المسلمين عليه بحيث يعجز قائدوه عن مرور السبع بدون مجيئه إليه بل وعن أخذه عنه سريعاً إلا إن إذن هو له وتكرر ذلك مدة إلى أن مل الشيخ فصار إذا سمع بالسبع من بعد يقوم ويفر إلى المدرسة أو غيرها كل ذلك مع سكينة وكثرة تواضع. . . مات في يوم الأربعاء عاشر رمضان سنة ٨٦٨ هـ بالقاهرة[٢].

---

(١) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٢) الضوء اللامع ج٥ ص٢٠٩.

حوادث سنة ٨٦٩ هـ - ١٤٦٤ م

بغداد - جهان شاه:

لم تجد المخابرات، ولا أفادت الرسل، وإنما أدت تلك المفاوضات إلى توتر الحالة وإلى الفتن والمقارعات بل الحروب ومن حين ورد (درتنك) تواترت الأخبار بمجيئه ووصلت مقدمة العسكر إلى البندنيجين وعند ذلك قرر الأمير پير بوداق أن يخرب المملكة فعاث فيها الجيش فنهبوا واحرقوا وخربوا وساقوا الدواب والأحشام وعبروها إلى الجانب الغربي...

أما جهان شاه فإنه وافى إلى مزار الإمام أبي حنيفة وأرسل إليه يقول جئناك فماذا تفعل فقال للقاصد أهلاً ومرحباً به فلما قرب العسكر من السور رشقوهم بالنبال فحط بعيداً عن السور وحفر عليه خندقاً وأحاطهم بجميع سور بغداد وذلك نهار الاثنين ١٤ جمادى الثانية سنة ٨٦٥ هـ (وهذا التاريخ الذي بينه الغياثي غير صحيح وصوابه ٨٦٩ هـ لأننا تجاوزنا حوادث هذه السنة).

وانحصر پير بوداق في المدينة وكان عنده عسكر كثير فاختار منهم البعض وأعطى الباقين دستوراً[1] فخرجوا من المدينة. ولما طالت المدة أعطى الرعية دستوراً وقال من لم يكن له طاقة للحصار فليخرج. فخرج خلق كثير. فقام حسين طرخان وكان أحد أمرائه فقال له: حيث إن الرعية تخرج عنا يجب أن تأخذ أموالهم وتتركهم فقال افعل ما تشاء.

فانتهب مال الكثيرين من الرعايا. فصادر وعذب وأخرج الناس بنسائهم وأولادهم.

عمل الأمير پير بوداق بالناس هذه الأعمال داخل المدينة وجهان

---

(١) الدستور: الإذن السلطاني، أو الأمر بأن يعمل المرء ما يختار.

شاه خارج المدينة يعمل أيضاً أعماله الرديئة...

مضى على هذه مدة. ولم يبق في البلد إلا القليل من الناس وحينئذ أراد حسين طرخان وجماعة من الأمراء المخابرة مع جهان شاه فراسلوه وواعدوه على يوم معين تلقي الحرب أوزارها ويسلمون إليه البلد. وذلك أن جماعة بينهم حسين طرخان كانوا يتحدثون في السور تحت بعض الجدران وإذا بصبي يسمع من وراء جدار ولم يشعروا به حتى استوفى جميع ما أسروا وجاء إلى نسيب له من نوكرية پير بوداق وقص عليه القصة... فذهب من ساعته وأخبر پير بوداق بذلك فركب من ساعته إلى بيت حسين طرخان وأخرجه من بيته وجاء به وأرسل من جاء بأخيه طرخان وقيدهما وسجنهما وقتل من كان قد خامر معهما من الأمراء والنوكرية وتركهما ذلك اليوم حيين وألقى جهان شاه الحرب على بغداد على الوعد الذي كان بينهم وبأمل أن يسلموه البلد...

فلما رأى پير بوداق أن الحرب قد طالت ضرب أعناقهما وأرمى بها من السور إلى جهان شاه وقيل هذه رؤوس فلان وفلان.

فحين عاين ذلك أبطل الحرب وأطفئت الفتنة.

حوادث سنة ٨٧٠ هـ - ١٤٦٦ م

الصلح - قتلة پير بوداق:

دام الحصار مدة سنة وخمسة أشهر ونصف ثم انبرم الأمر على أن پير بوداق يختار من جماعته مقدار مائة فارس ويخرج من الجانب الغربي فيعطيه جهان شاه خيلاً ودوابّ وجمالاً ويمر على وجهه أينما شاء ويسلم البلد إلى جهان شاه.

وكان في نيته أن يتوجه إلى شاهسوار... وبينما هم في هذا الأمر وقد فتحوا أبواب المدينة ودخلوا وأخرج الناس إذ هرب من پير بوداق

دندار ابن عم أولاد طرخان إلى جهان شاه وقال له: إن في نية پير بوداق أن يحاصرك مرة أخرى حيث إنه اكتفى من الغلة والدهن واليرق عند فتح الباب. والآن في نيته العصيان وكان قد جرى ذلك في مجلس الشرب. وقالوا قد اكتفينا فالآن نحاصر مرة أخرى...

وكان انهزم إليه هذا الشخص وأخبره بهذه الصورة وعند ذلك أمر جهان شاه بقتل پير بوداق فتوجه أخوه محمدي ميرزا وپير محمد التواجي وجماعة ودخلوا المدينة وهو غافل لا يعلم. فما أحس إلا وهم على رأسه فدخل عليه محمدي ميرزا وضربه بالسيف وأتمه الباقون فقضوا عليه وذلك نهار الأحد غرة ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ وفي لب التواريخ قتل يوم الأحد ٢ ذي القعدة. ومن ثم قامت القيامة في بغداد وجعلوا عاليها سافلها، وخربوا ما شاؤوا[1].

ترجمة الأمير پير بوداق:

مضت حكومته بالوجه المحرر سابقاً وتفصيلها ينبيء أنه لم يكن له عمل غير الظلم والجور كما أن الغياثي نقل أنه منهمك بالفجور والشرب... ودعاه صاحب الشذرات (پير بضع) هو (پير بوداق) فالمؤرخون متفقون على أن اسمه پير بوداق قال صاحب الشذرات: «إنه صاحب بغداد وتوفي في ٢ ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ» ا هـ.

وجاء في جامع الدول:

«كان أقطع ـ جهان شاه ـ فارس ابنه پير بوداق ميرزا ثم بلغه سوء سيرته في أهلها فعزله منها في سنة ٨٦٤ هـ ولاه بغداد فأظهر العقوق والعصيان في سنة ٨٦٩ هـ فسار جهان شاه إلى دفع غائلته وحاصره ببغداد نحو سنة كاملة، فخدعه والده بطلب الصلح منه حتى فتح پير

(١) الغياثي وفي أحسن التواريخ أن ذلك وقع سنة ٨٧١ هـ.

بوداق باب القلعة وأمن جانب أبيه فغدر به والده فأرسل ابنه الآخر محمدي ميرزا فكبسه وقتله صبيحة يوم الأحد ٢ ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ واقطع بغداد ابنه محمدي ميرزا وعاد إلى أذربيجان وزادت شوكته وعظمته وانتهت إلى رتبة لم يبلغ أبوه ولا جده عشر معشارها وملك العراقين وفارس وكرمان وسواحل عمان وأذربيجان إلى حدود الروم للشام» ا هـ.

وفي كلشن خلفا:

«ولي بغداد. وفي مدة قليلة تخبط دماغه فعق والده. ذلك ما دعا أن يسير إليه بنفسه فحاصر بغداد لمدة سنة ونصف فافتتحها وقضى على ابنه المذكور عام ٨٧٠ هـ فلما علم حسن الطويل بذلك انتهز الفرصة لإبداء الخصومة القديمة وجهز جيشاً لجباً للوقيعة بجهان شاه...» ا هـ[١].

وبين الغياثي سبباً آخر غير توتر العلاقات أثناء المخابرات قال:

«كان پير بوداق عنيتاً فتفكر جهان شاه أنه إن بقي بعده وهو فتاك سوف يقتل جميع إخوته... فتنقرض ذريته (ذرية جهان شاه) فرأى أن يقتله فقتله...» ا هـ[٢].

وجاء في الضوء اللامع:

«ناب عن أبيه في شيراز ثم خالفه فقصده أبوه ففر لبغداد فتملكها وحاصره أبوه دون السنتين حتى ملكها وقتله مع خلق كثيرين جداً. وغلت الأسعار بسبب الحصار حتى حكى لي بعض من كان في العسكر أن رأس الغنم بيع بما يوازي مائة دينار مصرية والرطل البغدادي من

---

(١) ص٥٢.

(٢) ص٣٠٠.

الثوم بنحو خمسة عشر ديناراً. قال: وأكلت لحوم البغال والحمر الأهلية ونحوها. وكان شجاعاً كريماً، ظهر له كنز كبير قيل إنه اثنا عشر خابية ففرقه على العسكر، ولم ينظر إليه بل قال: إن أصحابه لم ينتفعوا به فنحن أولى، هذا مع شيعيته... وتجاهره بالمعاصي بحيث يأكل في رمضان نهاراً على السماط مع كثيرين».

وذكره في موطن آخر من كتابه باسم (پير بضع) قال:

«... صاحب بغداد، حاصره أبوه فيها زيادة على سنتين إلى أن عجز وسلمها فيما قيل له مع تقادم كثيرة فأقره أبوه عليها وسار إلى بلاده فحسن له بعض أتباعه الاستمرار على مشاقفته. وإنه إنما أذعن له عجزاً وغلبة فندب إليه ولده الآخر محمداً شقيق هذا وتصادما فقتل صاحب الترجمة، وجهز برأسه إلى أبيه وذلك في ثاني ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ وهو في الكهولة وقتل معه من عساكره نحو أربعة آلاف نفس صبراً» اهـ[١].

وذكره مرة أخرى بلفظ (پير شاه بضع بداق) مما يدل على أن المؤلف لم يقطع في صحة تلفظه (راجع مادة جهان شاه).

وعلى كل كانت مدة حكمه ببغداد على ما جاء في الغياثي ١٨ سنة وخمسين يوماً مكث فيها ببغداد ثلاث سنوات وخمسة أشهر و٢٤ يوماً ثم توجه إلى شيراز وبقي فيها عشر سنين و٢٣ يوماً ثم عاد إلى بغداد ثانية فأقام فيها ٤ سنوات و٧ أشهر[٢].

ولاية پير محمد الطواشي:

كان جهان شاه قد قتل ابنه پير بوداق ثم ولى على بغداد پير محمد

---

(١) الضوء اللامع ج٣ ص٢ ـ ٣ وج٣ ص٢٢.

(٢) الغياثي ص٣٢٤.

الطواشي[1] وذلك في غرة ذي القعدة (أو ٢ منه) لسنة ٨٧٠ هـ وبقي هذا حاكماً بها ورجع جهان شاه إلى تبريز راحلاً عن بغداد. . .

الحلة ـ المشعشع:

قبل وفاة جهان شاه كان قد استولى المولى محسن المشعشع على الحلة وبقيت بيده إلى سنة ٨٧٢ هـ ولم نعثر على تاريخ ضبط هذه البلدة من قبل المشعشع لهذه المرة وعلى كل حال كانت أيام ولاية الطواشي أو قبلها. . . ودامت في أيديهم إلى أن عدل حسن بك الطويل من حصار بغداد وسار إلى تبريز على ما سيجيء. . .

المولى محسن المشعشع[2]:

وهذا المولى كان خلف أبيه السيد محمد كما ذكر ذلك في حينه وقد نال مكانة أسمى مما كان عليه والده وأخوه المولى علي وتمكن من الاستيلاء على ولاية الجزائر وأكثر أنحاء بغداد فصارت في حوزته وأن الكرد البختيارية. والكرد الفيلية أذعنوا له بالطاعة وأبدوا الانقياد. . . وكان كريماً، ومحباً للفضيلة، وأن علماء الشيعة قد كتبوا الكتب والرسائل من الأنحاء الأخرى وبعثوا بها إليه. . . ومن هؤلاء المولى شمس الدين محمد الاسترابادي كتب حاشية على رسالة إثبات الواجب وقدمها إليه ووسمها باسمه حينما رأى ميراً قد كتب حاشية جديدة قدمها إلى السلطان بيلديرم بايزيد العثماني. والملا قدم حاشية إلى السلطان

---

(١) ورد في تاريخ الغياثي بلفظ تواجي والظاهر أنه الطواشي وهو بمعنى رئيس الخدم. وقد مر بيانه.

(٢) مدفون على ضفة نهر الكرخة في محل الحميدية المعروفة قديماً بـ(العلة)، وكان فيها قصر كبير وضخم للشيخ خزعل، وللمولى محسن مرقد له قبة ويزار من الموالي، وكانت قد ضربت النقود في أيامه باسمه، شاهدها بعض الأصدقاء.

يعقوب البايندري وكان شمس الدين محمد المذكور معاصراً لصدر الدين محمد الشيرازي والمولى جلال الدين الدواني... وقد ترك المولى محسن ولدين هما السيد علي والسيد أيوب. انتهى ما جاء في مجالس المؤمنين ملخصاً من أواخر المجلس الثامن منه.

وستأتي باقي حوادثه في حينها فقد استمرت إلى ما بعد هذا التاريخ وقد جاء في حبيب السير أنه ورد خبر وفاته إلى بغداد حين فتحت من جانب الشاه إسماعيل الصفوي بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ وأن الحويزة انتزعت من ولده السيد فياض...

وفي كنز الأديب عند ذكر السيد علي خان جاء أن للمولى محسن من الأولاد السيد حيدر أيضاً من أجداد السيد علي خان المذكور كما يفهم من سلسلة نسبه...

قبيلة طييء:

في هذه السنة (٨٧٠ هـ) خرجت عرب طييء على الركب العراقي، فقاتلوهم وقتل بعضهم، وتفرق جمعهم وسلم الركب من أيديهم...[١].

حوادث سنة ٨٧١ هـ - ١٤٦٦ م

وفاة أمير زاده:

في هذه السنة مات أمير زاده بن محمد شاه... في ذي القعدة بالقاهرة وقد زاد على الثلاثين، وشهد السلطان الصلاة عليه، وكان قد أحضره حواشي أبيه من العراق في صغره أيام الظاهر جقمق خوفاً عليه من عمه أصبهان (أسپان) ابن قرا يوسف متملك بغداد. فأقام كأحد أبناء الأمراء إلى أن مات. ولم يتعرض لذكره المؤرخون الآخرون[٢]...

---

(١) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٢) الضوء اللامع ج٢ ص٣٢٢ وفيه غلط في الاسم ولعله أحمد.

حوادث سنة ٨٧٢ هـ ـ ١٤٦٧ م

قتلة جهان شاه:

اضطربت كلمة المؤرخين في سبب قتلة جهان شاه واختلفت آراؤهم في تفسيرها... ونذكر بعض النصوص الواردة في أشهر التواريخ قال في كلشن خلفا:

«كان للسلطان حسن الطويل خصومات مع جهان شاه متأصلة. فلما سمع بوفاة پير بوداق أظهر السرور الزائد وأبدى أن العدو كان شاباً فهرم... وعندئذ وصل لمسامع جهان شاه ما أظهره السلطان حسن الطويل فهاج غضبه وتحركت نخوته فجهز نحو خمسين ألفاً من المحاربين وهاجم الطويل فلم يطق هذا صبراً على ملاقاته فصار يهرب من وجهه يميناً ويساراً ويختفي من النظر إليه... وبهذا أراد أن يعجز جهان شاه من مطاردته في المواطن الجبلية والأراضي الوعرة. وبعد المشاورة مع أمرائه قرر لزوم تأخير السفر إلى السنة القادمة فأجاز جهان شاه عساكره ولم يبق معه سوى خمسة آلاف أو ستة فمضى بهم جانباً للاستراحة لما أصابه من التعب والعناء... وكان عدوه يترقب الفرص ولم يكن غافلاً عما جرى من تسريح الجيش فانتهز الفرصة، واغتنم هذه الغفلة، عرف بالحالة فمضى مسرعاً غير متوان فقضى على جهان فذهبت مقارعاته في أيامه الطويلة هباء وصارت أتعابه كأن لم يقع منها شيء وماتت حكومته كأن لم تغن بالأمس فخلفتها (حكومة آق قوينلو)» اهـ[١].

وجاء في كنه الأخبار:

«في سنة قتلة ابنه (في ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ) سار على أبي النصر حسن الطويل بأمل اكتساح ديار بكر وهذا ركن إلى التدابير

---

(١) كلشن خلفا ص٥٢ ـ ١.

الصائبة فمال عن وجهه فاستولى جهان شاه على غنائم وافرة ومضى لحاله فارغاً عن الشواغل وحينئذ فاجأه حسن الطويل ليلاً فقتل في المعركة أكثر أعوان جهان شاه وقتل هو أيضاً معهم في ساحة الحرب إلا أنه لم يعرف لحد الآن القاتل...» ا هـ[1].

وجاء في لب التواريخ:

«أن جهان شاه بعد أن قضى على غائلة ابنه... عاد إلى تبريز وقد بلغ من العظمة والشوكة المرتبة العلية حد أنه لم يصل الخيال إلى عشر معشاره فتملك عراق العرب بتمامه، وكذا عراق العجم وفارس وكرمان وسواحل البحر وآذربيجان إلى حدود الروم والشام، ثم إن دولته أخذت بالانحطاط... وفي سنة ٨٧٢ هـ وعزم على الوقيعة بحسن بك وكان حاكم ديار بكر فذهب إلى جهته فوافاه الشتاء فأراد العودة ولكنه لم يراع الحيطة فيها، فذهب الفيلق أمامه وبقي هو وراءه، وكان نائماً في موضع للاستراحة ويأمل أن يسير في عقب جيشه. أما حسن بك فإنه اغتنم هذه الفرصة وعلم أن الجيش ذهب في الأمام، وأن جهان شاه لا يزال باقياً في موطنه وحينئذ هاجمه على غرة بثلاثة آلاف فارس فلم يسع جهان شاه أن يقاوم وإنما ركن إلى طريق الهزيمة فقتل أثناء ذلك وألقي القبض على كل من ابنيه محمدي ميرزا وأبي يوسف ميرزا فكحلهما... وهذه الوقعة حدثت في ١٢ ربيع الثاني من السنة المذكورة» ا هـ (وفي الغياثي في ٥ ربيع الأول) وقد أورد صاحب المنتخب تاريخ وفاته في بيتين من الشعر الفارسي وفيها صراحة في أنه توفي بالتاريخ المذكور.

وفي جامع الدول:

«في ١٠ شوال سنة ٨٧١ هـ توجه ـ جهان شاه ـ إلى ديار بكر

---

(١) كنه الأخبار جزء ثاني ركن ثاني ص٣٨.

لأخذها من يد صاحبها حسن بك البايندري، ولم يظفر بشيء... وعاد يتلهى بالصيد ففاجأه حسن بك وقتله وأسر ولديه محمدي ميرزا، وأبا يوسف ميرزا فكحلهما، وقتل في هذه الوقعة جماعة من أعاظم أمراء قراقوينلي مثل الأمير پير زاده البخاري ورستم بك راس الطواشية (تواجي باشي) وصفر شاه، وقاسم بك پروانجي بن شيخ علي بك صاحب طارم وقومشي بك وحسين الدين أغلي وغيرهم، وكان يادكار محمد ميرزا بن سلطان محمد بن بايسنقر بن شاه رخ في الوقعة فأسر وأطلقه حسن بك وأكرمه فبقي عنده إلى أن جعله والياً على خراسان بعد وقعة أبي سعيد. وكانت وقعة جهان شاه في ١٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٢ هـ... وكان مولده في مدرسة ماردين في حدود سنة ٨٠٨ هـ ونقل جسده إلى تبريز ودفن بالمظفرية» اهـ.

وفي تاريخ الغياثي:

أن جهان شاه كان في برية من براري آذربيجان أيام الربيع مصاقب بلاد حسن بك (الطويل) وقد تفرق العسكر عنه وحواليه شرذمة قليلة وإذا بآت أتى إليه وذكر له أن حسن بك كان عازماً أن يكبسك في هذا الموضع فصدق ذلك وأرسل إلى حسن بك يقول له ما هذه الفعال وهذا التهجم الذي كنت تريد أن تقوم به... فأقسم له بالله أنه لم يخطر ذلك بباله ولم يكن ليفعله...!

فلم يصدقه وسار عليه فنزل ببرية موش وتحصن منه حسن بك بالجبال فمكث في تلك البرية إلى قبيل الشتاء ووقوع الثلج وكانت أرض جبال رديئة صعبة المسالك فاغتاظ على الدليل وقال له سلكت بنا طريقاً رديئة. وقال لأمرائه نرجع هذا الشتاء ونجيء في الربيع القادم فاستصوبوا ذلك وأعطى العسكر إجازة الرحيل من الليل فمضت الأثقال وجاء الأسفاهية إلى باب الخيمة يطلبون دستوراً (اذناً) مرة أخرى فسمع

ضجيجهم فقال ما هذه الجلبة قيل له العسكر يطلب إجازة. فقال: ألم أقل لهم ارحلوا من أمس فرحلوا ومكث قاعداً في خيمته مع أولاده ومعه نحو ألف من الأمراء... وحسن بك خلف الجبل جالس بالمرصاد والجواسيس تنقل الأخبار إليه. فأخبر بأن العساكر رحلوا ولم تبق إلا شرذمة قليلة وأنت قادر على نهبهم وأخذهم...

فتوجه حسن بك بعسكره إليهم ولم يعلم أن جهان شاه فيهم ولو علم لم يتهجم عليه. وهم غافلون. وما أحس جهان شاه إلا والعسكر قد أحاط بهم فتراكضوا نحوه فانكسروا وجاءوا إلى باب الخيمة. كل هذا وجهان شاه نائم لا يجسر أحد على إيقاظه.

وكان جهان شاه يلقب (بالملك النوام) ولم يكن كثير النوم ولكنه كان ينام نهاراً وينتبه ليلاً. وقد اعتاد ذلك منذ سنين ولم يترك عادته ينتبه فيأكل ويشرب... ويسكر وينام فينتبه وهكذا كان على هذه الوتيرة منذ أربعين سنة. لم يذكر الله بشفة ولا لسان ولم يسجد لله يوماً لا في خلوة ولا في عيان. ويا ليته كان على هذه الحالة من غير ظلم وجور ولكن ظلمه وفجوره وفكره الفاسد أخرب البلاد وأباد العباد...

فلما انكسر العسكر ورجعوا إلى خيمة جهان شاه ودخل ولده محمدي أيقظه وقال له: قم وفر بنفسك. لا يسعك إلا الهرب وقص له القصة فطلب الفرس وركب. ومر على رأسه لا يعلم أين يتوجه، وأوقفوا أولاده وبقي العسكر لم يزل يحارب حتى قتل من قتل وهرب من هرب وقبض على محمدي ميرزا، وميرزا يوسف. وجاؤوا بهم إلى حسن بك فسألهم عن أبيهم جهان شاه وهل كان في هذا العسكر أم لا فذكروا له أنه كان وركب فرسه وانهزم...

أما جهان شاه فإنه لما فر ولم يغن عنه ماله وما كسب التقى

بفارس من أحسن القوم غلام الغلمان. وسمعت بماردين أنه كان غلام طباخ ثم خدم الأسفاهية فضربه بالسيف ضربة ألقاه من الفرس فلما سقط على الأرض أتاه ليحز رأسه قال له لا تقتل أنا جهان شاه فعصب جرحه وأراد أن يركبه على الفرس فلم يستطع ورأى أنه يموت فحز رأسه وجعله في مخلاة وركب فرسه وأخذ سلبه وتوجه وإذا الجماعة من جماعة جهان شاه واصلين إليه فهرب من قدامهم فوقع الرأس منه وهو راكض فلم يلتفت إليه ومر هارباً حتى لحق بعسكر حسن بيك.

وأما حسن بيك فإنه لما سأل أولاد جهان شاه وذكروا أنه كان حاضراً وفر أمر بالتفتيش عنه. وبينما هم في ذلك إذ مر ذلك الشخص الذي قتل جهان شاه وهو راكب فرسه فقال محمدي ميرزا هذه فرس أبي فجيء به وسئل عنه فأخبر أنه قتله وإن الرأس سقط منه فأرسل صحبته جماعة ليدلهم على الرأس والجثة. فلما رأوها اختلفوا فيها لما رأوا فيها من الشعر الكثيف... فأرسلوا الجثة إلى تبريز لتدفن هناك في مدفن له وأرسلوا الرأس إلى سلطان مصر.

وكنا في حلب لما جاؤوا بالرأس وهو في علبة وأدخل الرأس إلى حلب يوم السبت ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٢ هـ...

وجرت هذه الأمور ونحن بحلب فلذلك حصل لنا الوقوف عليها. وفرسه كانت خضراء صغيرة الجرم رهوال. وكانت عنده كل فرس تقدر بمملكة... وكان قد قتل جهان شاه يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ...» اهـ ما جاء في تاريخ الغياثي وهو قريب العهد بالوقعة كما يستفاد من فحوى كلامه بل شاهد بعض ذيولها...

ترجمة جهان شاه:

لا نرانا في حاجة إلى تكرار ما تقدم من أحواله فهي كافية في بيان ترجمته لمعرفة علاقته وارتباطه بالسياسة والحروب... وبعض

خصوصياته لا تخلو من تفسير أوضاعه وأعماله... إلا أننا لا نمضي دون أن نستنطق مؤرخين عديدين عنه...

قال في الضوء اللامع: «صاحب العراقين وملك الشرق إلى شيراز وممالك آذربيجان. مات قتيلاً فيما قيل بيد أعوان حسن بك ابن قرايلك بالغرب من ديار بكر، أو موتاً سنة ٨٧٢ هـ وقد زاد على الستين ونهبت أمواله، وأرسل حسن بك برأسه إلى القاهرة فعلق وكان من أجلاء الملوك وعظمائها، لا يتقيد بدين كأقاربه وإخوته مع التعاظم والجبروت وسفك الدماء بحيث إنه قتل ابنه... وربما احتجب عن رعيته الشهر في انهماكه، وينسب مع قبائحه إلى فضل في العقليات وغيرها... وكان مولده في أوائل القرن تقريباً بماردين ولذا قيل إنه كان سمي ماردين شاه، وإن أباه لما ذكر له ذلك غضب وقال هذا اسم للنسوة وسماه جهان شاه. ونشأ في كنف أبيه ثم أخيه اسكندر، ثم لما ترعرع فر منه إلى جهة شاه رخ بن تيمور فأرسل إليه من قبض عليه وجيء به إليه فأراد قتله فكفلته أمه ثم بعد يسير فر ثانياً ولحق بشاه رخ فأكرمه وأنعم عليه بعدد ومدد عوناً له على قتال أخيه إلى أن انكسر (الأخ) ثم قتله ابن نفسه شاه قوماط (صحيحه قباد) في ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ وبعث لعمه صاحب الترجمة برأسه ورسخت قدمه حينئذ في مملكة تبريز وما والاها على أنه نائب شاه رخ، وعظم واستمر في تزايد إلى أن عد في ملوك الأقطار ثم ملك بغداد بعد موت أصبهان، وكثرت عساكره، وعظمت جنوده وأخذ في مخالفة شاه رخ باطناً. وحج الناس في أيامه بالمحمل العراقي من بغداد في سني نيف وخمسين، ولا زال كذلك حتى مات شاه رخ وتفرقت كلمة أولاده، واستفحل أمره بحيث جمع عساكره ومشى على ديار بكر في سنة ٨٥٤ هـ لقتال جهانكير وأخذ منه أرزنكان (أرزنجان) بعد قتال عظيم وأكثره بقلعتها، وأرسل قطعة من عساكره لحصار جهانكير بآمد... ثم أرسل قصاده إلى الظاهر بأنه باق على

المودة، وأنه ما مشى على جهانكير إلا حمية له ورماه بعظائم فأكرم قصاده وأحسن إليهم وأرسل صحبتهم قائم التاجر ومعه جملة من الهدايا والتحف[1] ومثله في المنهل الصافي.

وقال في كنه الأخبار:

«كان من أكابر الملوك سواء في تدابيره الناجعة، وشجاعته، ووفرة أمواله وكثرة جيوشه، وله تهالك وانهماك في سفك الدماء، كما أنه عارف بعلوم كثيرة وفنون وفيرة وفضائل... إلا أنه صاحب جبروت وتعاظم، ومدمن الخمر، ولا تخلو ليلة دون أن يزيل بكارة امرأة حتى تجاوز الثمانين من عمره فلا يعرف حلالاً أو حراماً ودامت سلطنته أكثر من ٣٠ سنة» ا هـ ص ٣٨.

وفي تاريخ الغياثي:

أنه كان يستعمل الأفيون فهو ذو خيالات فاسدة، وعديم العقل والتدبير، فاسد التفكير... وما كان في قلبه حبة خردل من خوف الله قلع الله تعالى ذريته وأصله في الدنيا... (إلى أن قال) ما أعمى قلوب هذه الطائفة التي تدعي التسلط على عباد الله بغير حق، فكلما زادهم الله نعيماً زادوا عتواً ونفوراً...» ا هـ.

وفي منتخب التواريخ:

«في بعض الكتب أنه عاش سبعين عاماً، نقل جسده إلى تبريز فدفن في المظفرية وكان امرأً لا يعتمد عليه، أخلاقه رديئة، ولا يبالي بقتل أمرائه لأدنى وسيلة، وينتهك حرمات الشرع، وله إقدام على المنكرات...» اهـ ص ١٨٣.

---

(١) الضوء اللامع ج٣ ص٨٠.

وفي جامع الدول:

«كان سفاكاً، سيىء السيرة، فاسقاً، فاجراً مائلاً للإلحاد والزندقة، لا يراعي الشريعة المطهرة، فقطع الله دابره، وكان مبتلى بالسهر يسهر الليالي بالفسق والفجور، وينام النهار... ولذلك كان يقال له (شب پره) ويراد به (الخفاش) بالفارسية، فتولى الملك بعده ولده حسن حسن[1] أياماً» اهـ.

وفي أحسن التواريخ:

«كان ظالماً جباراً وفرعوناً قاسياً... وله من الأولاد پير بوداق، وحسن علي وأبو القاسم، وفرخزاد. ومن آثاره مسجد في تبريز...» اهـ.

ولا يسع المقام إيراد كل ما جاء في التواريخ عنه وأرى في هذا كفاية...

سلطنة حسن علي بن جهان شاه

سلطنتُهُ ـ بغداد في أيامه:

لما قتل جهان شاه كان حسن علي مقبوضاً عليه بقلعة يقال لها قهقهة من أعمال آذربيجان كذا في الغياثي وفي منتخب التواريخ أنه كان سجيناً في قلعة بادكوبة وأنه طال سجنه فيها ٢٥ سنة وفي غيره (في قلعة قهستان)... وكان قد نجا من وقعة جهان شاه جماعة كثيرة مقدمهم: (شاه علي) و(إبراهيم شاه) فجاؤوا إلى حسن علي وأخرجوه من القلعة المذكورة. وكان في قلعته بعض الخزائن فجلس بتبريز. وتولى جميع آذربيجان واجتمع إليه خلق كثير. وقسم أموالاً عظيمة وجمع مائتي ألف فارس وأسرف في الانفاق وأخرج الخزائن وصرفها عليهم[2].

---

(١) الظاهر حسين علي بن اسكندر لما سيتوضح من النقل من جامع الدول نفسه.

(٢) الغياثي.

محاصرة بغداد:

بعد وفاة الأمير جهان شاه سار حسن بيك الطويل إلى بغداد وحاصرها في ٢٠ رجب سنة ٨٧٢ هـ وكان پير محمد[1] الطواشي حاكماً فيها من قبل جهان شاه فلم يطعه وحاصره وكان أخو الطواشي عنده فجيء به إلى قرب السور وقالوا له سلم بغداد وإلا قتلنا أخاك فلم يفعل فقتلوا أخاه وبينما هو مشغول في التضييق والحصار على بغداد إذ وردت إليه الأخبار أن زوجة جهان شاه حينما علمت بوفاة زوجها تحصنت في قلعة النجق (النجا) وكان فيها جملة خزائن مالية فأرسلت من ذلك خزانة مال لحسن بك المذكور وأرسلت إليه قصاداً تستحثه على المجيء لتسلمه الخزائن ولتنجو من شر حسن علي ميرزا فوقعت الخزانة والقصاد الذين كانوا قاصدين حسن بك بيد حسن علي فقتل القصاد وأخذ الخزانة ثم جاء إليها إلى قلعة النجق وحاصرها فلم يقدر عليها. لأنها في غاية الحصانة.

فأرسل إلى حراس القلعة والموكلين بها وقال لهم: لأجل امرأة واحدة تصدون عني وقد أخذت الدنيا بأسرها. فعند ذلك قبضوا عليها وسلموها إليه وسلموا الخزائن والقلعة فأخذ الخزانة إلى تبريز وصلب الزوجة بثديها. وبعد ثلاثة أيام ماتت. فأنزلوها ودفنوها...

فلما سمع حسن بك الطويل بهذه الواقعة وأنه أرسلت إليه تدعوه قبل أن ينالها ما نالها تقول له: إن حسن علي قد أحاط بجميع مملكة جهان شاه وقد جمع عسكراً عظيماً وأنت مشغول ببغداد! إلى متى! المصلحة تقضي أن ترحل عن بغداد وتفكر فيما هو الأهم!

فعند ذلك ترك بغداد يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٨٧٢ هـ ورحل

---

(١) ورد پير محمد الپاوت في ديار بكرية وفي أحسن التواريخ وفي جامع الدول وفي بعض النسخ محمد البادت، والپادت، والمشهور الأول.

أهل ضياعها إلى ديار بكر. ولم يترك أحداً فأسكنهم هناك ومات منهم خلق كثير وتوجه هو إلى تبريز[1].

استعادة الحلة:

بعد أن رفع الحصار عن بغداد سار الطواشي إلى الحلة فانتزعها من المولى محسن المشعشع المذكور وقد أشير إلى ذلك فيما مر.

حوادث سنة ٨٧٣ هـ - ١٤٦٨ م

حروب حسن بك وحسن علي ميرزا:

كان حسن علي قد علم بتوجه حسن بك الطويل نحوه فجهز جيشاً عظيماً نحو مائتي ألف فارس وأنفق عليه مالاً عظيماً يريد به مقابلة حسن بيك والقتال معه ليأخذ منه بالثأر. فتلاقى مع حسن بيك حوالي مرند وكان الأمراء قد نفروا منه لما كان عليه من الفسق والفجور والأفعال الخبيثة والتعرض بالنساء.

فهرب منه شاه علي وإبراهيم شاه ومالوا إلى حسن بك بتاريخ ٤ صفر سنة ٨٧٣ هـ فقبض حسن علي على أولادهم ونسائهم وقتلهم جميعاً وانكسر حسن علي وهرب إلى همذان فلحقه حسن بيك فكر عليه المرة الثانية فقتل من جيوشه ما شاء الله أن يقتل وكانت هذه الحرب مع مقدمة حسن بيك. فلما وصل العسكر الكثير انكسر حسن علي ميرزا وهرب بنفسه منفرداً إلى جبل ألوند فساروا خلفه فلما وصلوا إليه وعرف أنه مقبوض عليه أخرج سكيناً وذبح نفسه فحملوه ميتاً وجاؤوا به إلى همذان واستولى حسن بك على تبريز وأعمالها. كذا في الغياثي. وجاء في منتخب التواريخ أنه قتل نفسه في شوال سنة ٨٧٣ هـ.

---

(١) الغياثي ص٣٦١ وما يليها.

وذلك أنه في أثناء ذهاب حسن بك إلى أنحاء تبريز سار السلطان أبو سعيد من خراسان ووصل إلى السلطانية فذهب إليه حسن علي ميرزا فأكرمه وأجله ولما قتل أبو سعيد في قرا باغ مال حسن علي ميرزا إلى العراق (عراق العجم) وجمع إليه قبائل التركمان والأحشام وتحارب في همذان مع مقدمة الجيش، وكان أميره أغورلي محمد بن حسن بيك الطويل فجرى ما مر الكلام عليه...

فكانت مدة حكم حسن علي سنة واحدة.

ترجمة السلطان حسن علي بن جهان شاه:

مضت قصة وفاته وتاريخ سلطنته ومما نقله الغياثي عن حالته الشخصية أنه كان في غاية الحماقة ومن جملة ذلك أنه أمر بقص أذناب الخيل الكبار وأعرافها حتى أنه لم يكن أحد من عسكره يستجرىء أن يركب فرساً بغير قص، ومنها أنه أقر النساء أن لا تلبس السراويل، وأنه من كان مقرون الحاجبين ألزمه أن يحلق ما بينهما من الشعر ليصيرا مفترقين... وقد مرت وقيعته بزوجة أبيه أم الأمير پير بوداق فلم يقف عند قتلها بل نراه حينما دخل تبريز أمر بالقبض على أقاربها وإخوانها وسائر أهليها فعاقبهم وعذبهم ثم صلبهم... وتحارب مع حسن بك الطويل... فقتل نفسه بيده... وزاد صاحب منتخب التواريخ أنه من جراء السجن قد حصل تخليط في دماغه وخلل فلم يكن له تدبير صائب[1]... وكذا جاء في لب التواريخ. وجاء في جامع الدول:

«كان لما طرده أبوه من مملكته التجأ إلى حسن بيك، وبقي عنده مكرماً أياماً ثم قصد الرجوع إلى أبيه فسار وندم فعاد من الطريق إلى حسن بيك فأكرمه، ثم ظهر عند حسن بيك فسقه وإلحاده، فأراد قتله

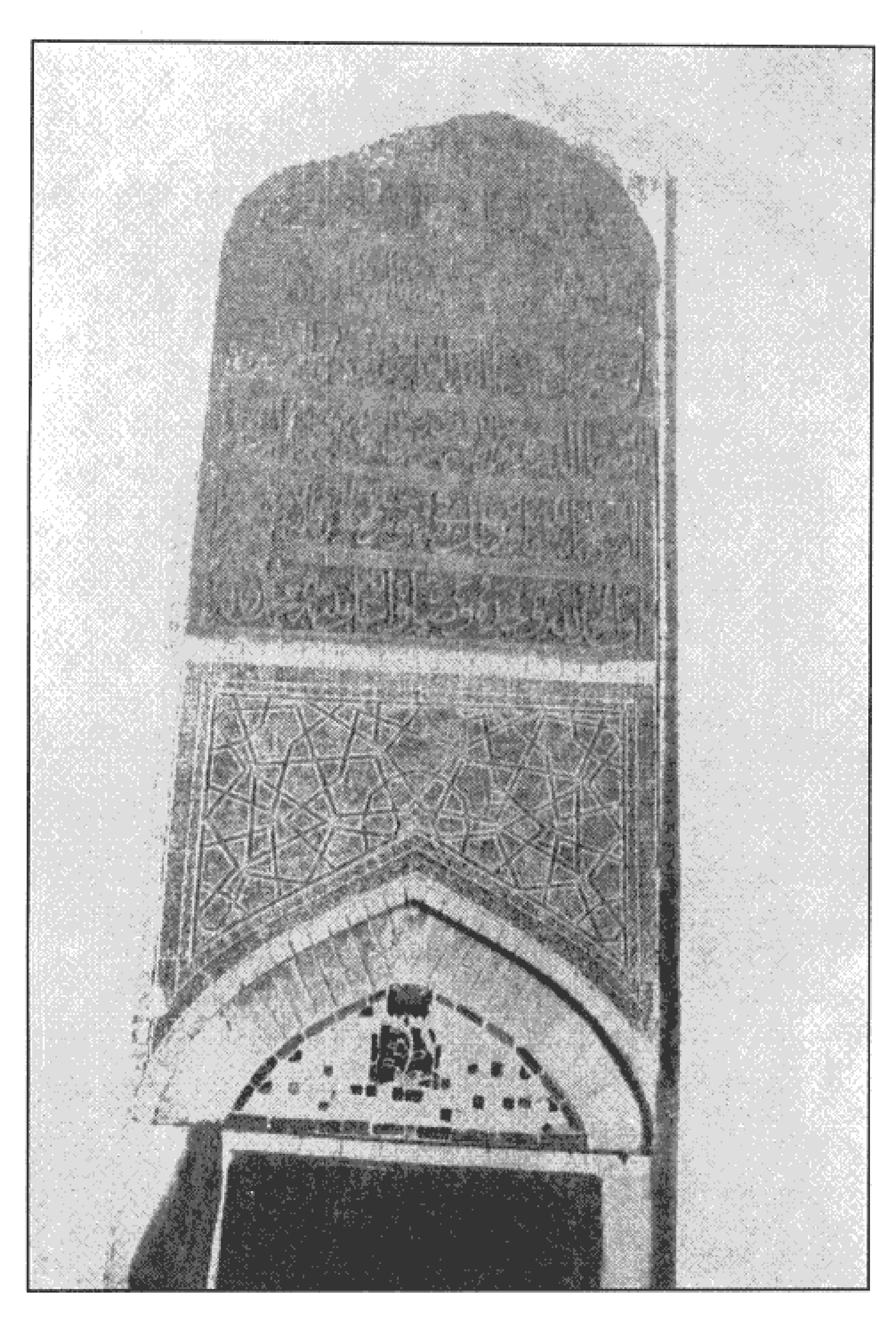
---

(١) ص١٨٤ منتخب التواريخ.

فهرب حسن علي إلى أخيه پير بوداق ببغداد وكان مثله في الإلحاد والزندقة، فأكرمه أخوه فبقي عنده إلى أن قتل پير بوداق، فأسر حسن علي هذا عند ذلك فأعيد إلى الحبس في قلعة بادكوبة. ولما وقعت واقعة أبيه تخلص من الحبس واجتمع إليه جمع من أصحاب والده إلا أنه كان قد اختل دماغه وعقله من طول حبسه إذ كانت مدة حبسه نحو ٢٥ سنة فلم يقدر على تدبير الملك...

ولما خرج من الحبس توجه إلى تبريز وكانت ابنتا عمه اسكندر آيش بيكم، وشاه سراي بيكم قد استولتا على تبريز قبل وصوله إليها، وأقامتا أخاهما حسين علي بن اسكندر ملكاً وكان يتزيا بزي أصحاب الفقر والفناء فأخرجته أختاه من ذلك الزي وأجلستاه على سرير الملك، وبلغ الخبر إلى بيكم زوجة جهان شاه بانية المظفرية بتبريز، وكانت حينئذ في مشتى خوي، فلما سمعت الواقعة سارت إلى قلعة جوشين من مراغة وأرسلت أخاها قاسم بيك مع إحدى بناتها مع الجيش إلى إطفاء ثائرة ابنتي اسكندر فسار قاسم بيك وأسرهما وقتل أخاهما حسين بن اسكندر.

وفي أثناء ذلك قدم حسن علي بن جهان شاه إلى تبريز فتسلمها من قاسم بيك وضبط الخزائن، وبذلها على الأوباش والأراذل، فاجتمع عليهم نحو مائة ألف وثمانين ألف فارس، فأعطاهم المواجب والمراتب، وسماهم (چولي)، وكان أخوه أبو القاسم قد خرج من كرمان وأراد الاستيلاء على أصبهان فلم يتيسر له، فالتجأ إلى أخيه حسن علي هذا فقتله أخوه، وكذا قتل زوجة ولده صاحبة الخيرات الكثيرة والحسنات العديدة بيكم بالخنق وضرب عنق أخويها قاسم وحمزة، فأخذه الله بهذه الدماء الزكية وسائر قبائحه من الفسوق والإلحاد عن قريب الزمان، حيث توجه إلى دفع حسن بيك وكان قد وصل إلى نواحي خوي فلقيه في هذه الجمعية العظيمة نحو مرند فحفر بأطراف عسكره



الكتابة على باب ميل السهروردي ـ عن دار الآثار

خندقاً وقاتله من وراء الخندق أياماً، وانحرف منه أكثر الأمراء إلى حسن بيك لسوء سيرته فيهم وميله إلى الأوباش والأراذل.

ولما شاهد ذلك هرب إلى جماعة قرمانلو ببردع، ثم منها إلى أردبيل، ثم اتصل بخدمة السلطان أبي سعيد ميرزا لما توجه إلى آذربيجان بواسطة الشيخ جعفر الصفوي فأكرمه السلطان وسار معه في الواقعة. ولما قتل أبو سعيد في قراباغ هرب حسن علي والي العراق (عراق العجم) فاجتمع عليه جمع من الأوباش، فأخذ يثير الفتنة بهمذان فسير حسن بيك ولده اغرلو محمد في جمع من الجيش إلى همذان لدفع غائلته فسار أغرلو وقاتله بظاهر همذان وكسر عسكره وفرق جمعه، وأسر حسن علي فقتل صبراً في شوال سنة ٨٧٣ هـ.

وانقرضت به دولة قراقوينلو من آذربيجان والعراقين» ا هـ[1].

وفاة الطواشي (والي بغداد):

يوم الاثنين ٢ رجب سنة ٨٧٣ هـ توفي والي بغداد پير محمد الطواشي لمرض أصابه.

ترجمته (ترجمة والي بغداد):

كل ما عرف عن هذا الوالي أنه من قبيلة قراقوينلو ولم يكن من أولاد الأمراء وإنما هو من طائفة الپاوت فكانت مدة ولايته سنتين وثمانية أشهر. قال الغياثي كان عند جهان شاه تواجي، ولما قتل پير بوداق ولاه جهان شاه بغداد فحكم فيها من ابتداء غرة ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ، وبقي حاكماً بها إلى أن قتل جهان شاه، وجاء حسن بيك وحاصر بغداد في ٢٠ رجب سنة ٨٧٢ هـ، ولما جاءت له القصاد تستحثه على المجيء

---

(١) جامع الدول ج٢ ومثله بل أوسع منه في ديار بكرية فإنها تفصل حوادثه بكل سعة.

إلى تبريز رحل عن بغداد يوم الجمعة ١٥ رمضان من السنة المذكورة ثم مرض التواجي ومات كما تقدم.

وفي أيامه أرسل الأمير حسن علي بن جهان شاه إلى بغداد خزانة من المال وتملك المشعشعون الحلة ثم بعد ما رحل حسن بك عن بغداد استخلصها منهم واستعادها وقد مرت حوادثها[١].

أمراء قراقوينلو في العراق

ولاية حسين علي بن زينل:

إثر موت الطواشي اتفق الأمراء وبوصية منه اجلسوا حسين علي بن زينل يوم الاثنين ٢ رجب سنة ٨٧٣ هـ بعد الزوال بساعة، وذلك بوصية من الطواشي وكان هذا رجلاً عدلاً، حسن السيرة، رقيق القلب، ذا شفقة وإحسان على رعيته. وكان صهر پير محمد، تزوج بنته[٢].

ومن الجملة كان شكا عنده الرعية أن في البلدة جماعة يستوجبون القتل فأمر بقتلهم فقتلوهم. منهم فضيل وناصر مصطفى وخواجه شيخي الدزفولي ويوسف الأسكافي وغيرهم.

الحلة:

ثم أعطى الحلة إلى شاه علي بن قرا موسى فعصى عليه وجاء بشخص يقال له شاه علي بن اسكندر وكان لابساً كپنك (لبداً) دايراً في البلاد وهو درويش فأقامه في الحلة وسلطنه وأقاما جميعاً مدة على هذه الحال فأرسل إليهما حسن علي المذكور أخاه شاه منصور وجماعة معه

---

(١) الغياثي وجامع الدول. وفي الغياثي ورد حسن علي بن زينل وفي ديار بكرية وجامع الدول هو حسين علي.

(٢) الغياثي ص٣٢٨.

فوصلوا إلى قلعة بابل فرأوا قراول (قراغول، حراس) شاه علي بن قرا موسى فتلاقوا معهم واصطلحوا وعاب القراول على أميرهم وقالوا لهم الجسر منصوب نمضي على غفلة. فما شعر أولئك إلا والعسكر عابر على الجسر والناس يظنون أنه القراول الذي أرسله...

ومضوا إلى أن وصلوا إلى دار السلطان فأحاطوا بها. وكان ابن اسكندر وابن قرا موسى في القلعة وهم عرايا فأخذوهم وقتلوا ابن قرا موسى. وأما ابن اسكندر فألقى بنفسه إلى صاحب الزمام وقال كنت درويشاً وهذا جاء بي قهراً وطلب الأمان فلم يفد قوله هذا وضربوا رقبته وحزوا رأسه وأرسلوه إلى بغداد فأعطى حسن علي الحلة لأخيه شاه منصور.

ثم مرض حسن علي فأرسل خلف أخيه وجاء به من الحلة وكان في بغداد خمس إخوة من أكابر الباوت قد تحالفوا على قتل حسن علي. فلما وصل أخوه شاه منصور حكى له صورة الحال فقام شاه منصور وسيدي أحمد جمال وجمعوا الخمسة بالحيلة وقتلوهم وارموهم في الميدان.

ثم بعد ذلك مات حسن علي يوم الأحد ٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٤هـ وكانت مدة حكمه تسعة أشهر.

شاه منصور بن زينل:

لما أن توفي أخوه تولى. وكان ظلوماً غشوماً جاهلاً على خلاف ما كان أخوه متصفاً به. وقتل أناساً كثيرين من أكابر العسكر من جملتهم مظفر بك وشاهسوار وولي بك وأولاد الأمير عبد الله وجماعة كثيرة من غير جريرة ولا ذنب. وجمع نساء كثيرة وبقي طول نهاره وجملة ليله يشرب الشراب ويأكل الحشيش بغير قاعدة على طريقة الإسراف، ويفسق بالنساء. ويركب أكثر نهاره فيضرب له بالطبل والزمر.

بقي على هذا العمل مدة شهرين. وكان كورخيل ومقصود بك بن حسن بك بالموصل فتوجها إلى كركوك ودقوقا وآلتون كپري وحطوا هناك.

وأرسلوا قاصداً إلى شاه منصور يقول له:

ما تقول؟ جئناك!

ـ قال: إن البلد بلد حسن بك تعالوا استلموه، توجهوا!

فلما وصلوا إلى قرب دوخلة خرج شاه منصور من البلد فالتقى بهم فوصلوا وقت العصر إلى برية بين دوخلة والجديدة فحط بعسكره وحط خليل بك بعسكره فقال شاه منصور قد طبخنا طعاماً كلوا منه وغداً باكراً توجهوا.

وفي تلك الليلة عاب عليه جميع عسكره ونواكره وانضموا إلى خليل فلم يبق سواه في الخيمة. فلما انتبه من نومه لم ير عنده أحداً ولا ركابداراً فاستولوا على خيله ومعداته وجميع ما كان معه فلم يبق له شيء وأخذوا الفرس التي تحته. وحينئذ اعطوه كديشاً (أكديشاً) لا يتحرك من موضعه فأركبوه وجاؤوا به إلى بغداد فخاف أهل بغداد ولكن لم ينهبوا أحداً ولا أهاجوا امرأ.

وتوجه شاه منصور إلى داره. وكان قد أخلى لهم دار السلطنة، وبقي مقدار سبعة أيام أو ثمانية يروح ويجيء إلى الديوان فاشتكى عليه النساء اللاتي قتل أزواجهن فقال خليل احضروا القضاة لننظر القضية طبق الأحكام الشرعية فكان حكم القضاة أن النفس بالنفس فحكموا عليه بالقتل فقتلوه وقتلوا أخاه بيرام بيك وطرحوه في الميدان فأكله الكلاب ودفنوا عظامه بمقبرة مجاورة قنبر علي وذلك يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ وقتلوا في ذلك اليوم ذا النون الدرويش وكان رجلاً كريماً. قيل إنه كان في تكية بكردستان يذيع بأن حسن بيك مات وقتل

عبد الله الأسود وكان أيضاً رجلاً درويشاً وكان قد أحبه شاه منصور وألبسه الثياب النفيسة وجعله جليسه. فقالوا لخليل إن هذا كان يعلم شاه منصور الأفعال الخبيثة فقتله[1].

وكانت مدة حكمه شهرين و١٢ يوماً وهذا آخر من حكم من دولة قراقوينلو... ومن ثم ابتدأ حكم آق قوينلو.

سلاطين قراقوينلو في العراق:

١ ـ قرا يوسف (سلخ ربيع الآخر سنة ٨١٣: ٧ ذي القعدة سنة ٨٢٣).

٢ ـ الأمير اسكندر (٢٤ رجب سنة ٨٢٤: ٢٥ شوال سنة ٨٤١).

٣ ـ الأمير جهان شاه (٢٥ شوال سنة ٨٤١: ٥ ربيع الأول سنة ٨٧٢).

٤ ـ حسن علي ميرزا (شوال سنة ٨٧٢: شوال سنة ٨٧٣).

ولاة بغداد وأمراؤها:

١ ـ الأمير شاه محمد بن قرا يوسف (٥ المحرم سنة ٨١٤: ١٨ شعبان سنة ٨٣٦هـ).

٢ ـ الأمير اسپان (١٨ شعبان سنة ٨٣٦: ٢٨ ذي القعدة سنة ٨٤٨هـ).

٣ ـ فولاذ ابن الأمير اسپان (٢٨ ذي القعدة سنة ٨٤٨: ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠هـ).

٤ ـ محمدي ميرزا بن جهان شاه (١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠: ١١ رمضان سنة ٨٥٢هـ).

---

(١) الغياثي.

٥ ـ الأمير پير بوداق بن جهان شاه (١١ رمضان سنة ٨٥٢: ٢ ذي القعدة سنة ٨٧٠ هـ).

٦ ـ پير محمد الطواشي بن زينل (٢ ذي القعدة سنة ٨٧٠: ٢ رجب سنة ٨٧٣).

٧ ـ حسن علي بن زينل (٢ رجب سنة ٨٧٣: ٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٤ هـ).

٨ ـ شاه منصور بن زينل (٢ ربيع الآخر سنة ٨٧٤: ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ).

النقود

في عهد هذه الحكومة ظهرت نقود عديدة في مختلف المتاحف، ولكنها غامضة من جهات، وغالبها لا يحتوي على تواريخ ضربها ولا مواطنها. . ونرى في أحد وجهيها (أبو بكر) في الأعلى، و(عمر) في اليسار، و(عثمان) في الأدنى و(علي) في اليمين وفي الوسط لا إله إلا الله محمد رسول الله. وفي الوجه الآخر (النويان الأعظم) في سطر، و(ضرب) في السطر الثاني، و(جمال الدين يوسف) في الثالث و(بغداد) في الرابع و(خلد الله ملكه) في الخامس وبين هذه المسكوكات ما هو مضروب في الحلة، وفي الموصل باسم (پير بوداق) وفي بعضها قيل (پير بطاق)، وفي أيام جهان شاه ضرب في بغداد بعض النقود. وملوك قراقوينلو الآخرون لم يعرف لهم من النقود العراقية شيء، كما أنه ليس لولاة بغداد وأمرائها نقود مضروبة.

ومن أراد التفصيل عن نقود هذه الحكومة فليرجع إلى كتاب (مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي ـ قسم رابع) تأليف أحمد توحيد. طبع باستانبول سنة ١٣٢١ هـ صحيفة (٤٤٦ ـ ٤٦٧).

بقايا قبيلة قراقوينلو

(البارانية)

هؤلاء لم يبق منهم بعد انقراض حكومتهم إلا القليل، وتكاد تكون مائتة بموت حكومتها، وبقاياها اليوم لا تتناسب أوضاعها مع تلك السطوة والقسوة... وإنما تنحصر في قرى ضئيلة في مكانتها، ضعيفة في قدرتها، هادئة، وديعة... وغالبها ذاب في قبائل التركمان، أو تفرق في المدن الكبيرة، أو تبع مراكز القوة...

وهذه أشهر قراهم الموجودة اليوم:

١ ـ قراقوينلو العليا.

٢ ـ قراقوينلو السفلى.

٣ ـ جمالية.

٤ ـ رشيدية.

٥ ـ قاضية.

٦ ـ بعويزة.

٧ ـ ديرچ.

٨ ـ چنجي.

٩ ـ باريمه.

١٠ ـ فاضلية.

١١ ـ أورته خراب.

١٢ ـ تلاره (تل ياره).

١٣ ـ عمر قابجي.

وهي تابعة ناحية تلكيف، ولا نقطع في أنها كلها من قراقوينلو سوى القريتين الأوليين، وسائرها مختلط، أو هم تركمان، بينهم قراقوينلو، عاشوا معاً بكامل الألفة... وفي بعض هذه القرى عرب وكرد.

تنبيه:

سنذكر الحكومات المعاصرة في آخر الكتاب.

خلاصة

عرف مما تقدم أن أمراء قراقوينلو دامت حكومتهم في العراق مدة وكان يقوم بإدارة بغداد في خلالها ولاة من أبناء الملوك بصورة مستقلة تقريباً، لم تكن تابعة آنئذ إلى إيعاز الحكومة الأصلية وأوامرها وإنما فكت روابطها منها في أكثر الأحيان وعاشت مستقلة نوعاً خصوصاً أيام محمد شاه وأيام أسپان وپير بوداق إلى ١٤ ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ. وبعد ذلك صارت بأيدي الأمراء التابعين إلى انقراض هذه الحكومة بل بقيت إدارتها في أيدي طائفة قراقوينلو إلى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ وفي هذا التاريخ ماتت وبقيت أعمالها في طيات التاريخ... وصار الحكم لطائفة أخرى من التركمان يقال لها (آق قوينلو) أو البايندرية.

وهذه المدة لم ير العراق فيها راحة من هذه الحكومة ولا من بقايا الجلايرية وإنما كانت تناصبهم العداء وتميل العشائر إليها ثم قام آل المشعشع وزعزعوا الأوضاع أكثر واستمر نزعهم إلى أواخر أيام هذه الحكومة ومالت إليهم عشائر كثيرة... ثم ظهرت حكومة آق قوينلو فغطى سيلها على الكل واستولت على بغداد بالوجه المار...

والشعب المتحضر من أهل المدن كان في بلاء عظيم، ومصيبة لا

توصف. والعشائر استفادت من ضعف الحكومة ومالت للقوي من الجلايرية وآل المشعشع وإلى معاكستهم أخرى... والناس كانوا قد احترقوا بنيرانهم ونيران من مالوا إليه أو انتصروا له... وقيمتهم السياسية أكبر من الحربية وفي هذا الأوان يخطب الكل ودهم... والتدوينات عنهم لا تكاد تذكر، وأخبار الأنحاء العراقية الأخرى سواء في البصرة أو في الموصل أكثر غموضاً وأقل مادة... لقلة التدوين من عراقيين وارتباك حالة الناس أو ضياع الوثائق. ولو دون جميع ما كان لزاد في الإيضاح عن حوادث هذه الأزمنة وأضاف مظالم أكثر وقسوة وانتهاك حرمات وتقويض مدنية وعمارة... فالبلاد تركها هؤلاء خاوية ليس لها رونق حياة، ولا أمل انتعاش... بل لو زادت الحوادث لما أفادت إلا تعداد أمثلة، أو تكرير وقائع متماثلة في الظلم والتعدي...

وفي حالة سياسية وحربية كهذه نرى دائماً الحكومة في ضعف... لا يؤمل منها بقاء حضارة، ولوازم مدنية... ولولا المدارس وموقوفاتها... لما بقي للعلم أثر أو للحضرة علاقة... ومع هذا نرى أكابر النابغين من العلماء لا يطيقون صبراً على هذا المصاب فنراهم يتبعون مواطن الرزق، وأماكن الراحة والطمأنينة والأمان والرغبة العلمية والحضارة... وقد عددنا جملة صالحة منهم ممن اشتهر خارج القطر... ونال منزلة رفيعة... ونجدهم قلوا عمن سبق أيام الحكومات الماضية... مما يشعر بتناقص الثقافة... والحكومة لم تبال بثقافة ولا تذكر في هذا العهد آثار عمارة لمدارس ولا لغيرها، ولا تعمير مساجد، ولا قيام بأمر من شأنه أن يشوق للعلم أو الترغيب فيه...

كل هذا ونرى المؤسسات السياسية قد رسخت والإدارة استقرت نوعاً والعنصر الغالب من أرباب السلطة هم التركمان، شكلوا لهم كياناً على حسابهم ودافعوا عن حوزتهم فلم يستطع حسن بك بصولته القاهرة آنئذ أن يستولي على بغداد... مما يدل على شدة التمسك بالسلطة

والقدرة على ضبط الأهلين ودرجة الضغط عليهم... ذلك ما دعا إلى التهالك في الدفاع واضطرار حسن الطويل على العودة... ومهما يكن من الأمر فالشؤون العراقية مضطربة، والأمة منهوكة القوى، والشعب عاجز والعنصر الحاكم متغلب... فلا قدرة للشعب أن ينهض لحسابه ويشكل إدارة ذاتية معتزة الجانب أو يقوم بثورة ضد هؤلاء الحاكمين كما أنه لم يستطيع رد صولة الصائل ومعارضة هجومه للاحتفاظ بما لديه... وأكبر سبب أن العناصر الأخرى لم توحد جهودها مع العرب... فكان أعظم بلاء، وأجل خطأ ارتكبه العراق في حياته الاجتماعية والسياسية للاعتزاز بكيانه فسهل اكتساحه والتحكم فيه وسلب خيراته... ولعل في حوادث الماضي ما يبصر، ويرجع إلى الصواب، وقد انجلى الغبار، وعرفت الحالة... ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.



٢

الدولة البايندرية
(آق قوينلو)

(من ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠م
إلى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨م)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدولة البايندرية
(آق قوينلو)

السلطان حسن الطويل

فتح بغداد:

في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠ م فتح السلطان حسن الطويل بغداد على يد ابنه مقصود بيك، ومن ثم ابتدأ حكم البايندرية، وكان السلطان حسن حاكماً في أنحاء ديار بكر، وإن جهان شاه كان يحذره، فسمع أنه فرح بقتلة پير بوداق، واستضعف أمره. ذلك ما دعا أن يعزم جهان شاه على التنكيل به، ويقضي عليه، فكان ما كان فعكست الآية. . .

وهذا السلطان قارع أكابر رجال الشرق آنئذ، وبينهم جهان شاه والسلطان أبو سعيد، وقضى على حكومات. . . فظهر منتصراً على الكل فسلمت بغداد بلا حرب، وأن السلطان لم تصبه نكبة تصده عن ممتلكاته، وعن توسعه في الأقطار المجاورة. فكوَّن حكومة قوية الشكيمة عاشت مدة بعده. وعلى كل حال استولى على بغداد، فصار (ملك العراق).

ولما كانت هذه الدولة ترجع في تكوينها وظهورها إلى ما قبل هذا التاريخ لزم أن نعين ماضيها ولو بصورة موجزة، ليكون القارىء على علم منها، ومن سلطان العراق الجديد وأصل حكومته.

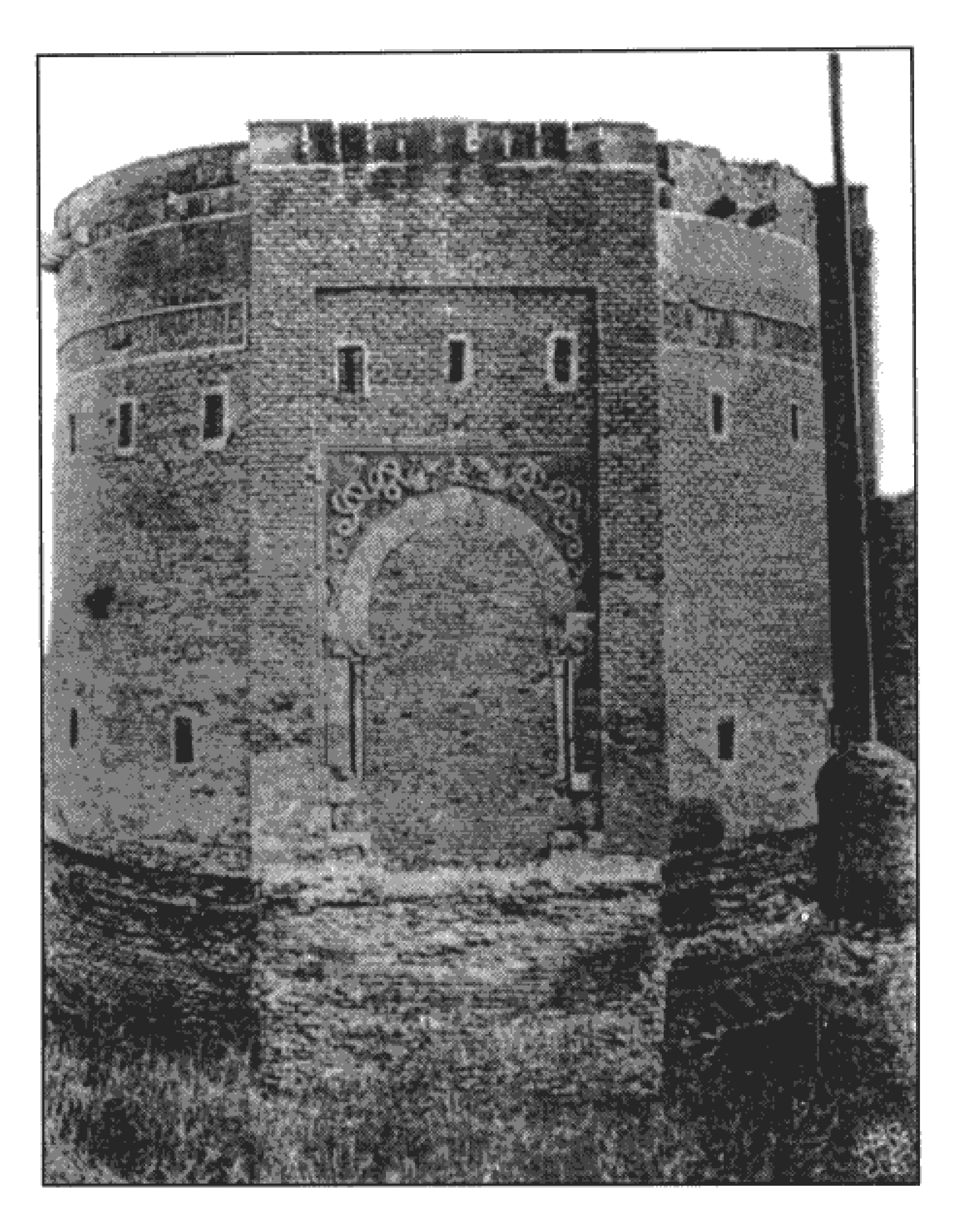
نظرة عامة

كانت هذه القبيلة من حين شعرت بلذة الحكم لم تراع الحالة الهادئة والوضع المدني، وإنما قضت غالب أيامها في حروب قبائلية، ثم انصرفت إلى آمال استقلال أو استيلاء، وقد تكون بعض حروبها خوفاً من المقابل، أو تعنداً منه أو مراعاة للحيطة والحقد...

ولم تشعر بقوة إلا في أواخر العصر الثامن الهجري أيام ظهور تيمور في هذه الأنحاء، فقد رأت مناصرة منه، وأخلصت له فنالت مكانة أرعبت المجاورين. ولما برز قرا يوسف بقبيلته كان رئيسها قرا عثمان أكبر ندّ له، وهما على طرفي نقيض، يتحاربان مرة، ويتسالمان أخرى، وأيام السلم قليلة.

وفي أيام حسن الطويل نالت هذه القبيلة الموقع اللائق، والمنزلة المهمة، فحصل على فتوح كاد يضرع بها أكابر الفاتحين، فاق كثيرين غيره في حسن إدارته وحمايته للعلم والعلماء إلا أن مدته كانت قصيرة، ولم يطل أمد حكمه ليجني الناس راحة وهناء، ولا رأت بغداد ما يساعد على ثقافتها. وإن ابنه يعقوب بك كاد يجاريه في اهتمامه بالثقافة والنظام.

ثم اضطربت الحالة، وتشوشت الأمور، وطمع آخرون بالملك، فلم تدم هذه الحكومة، ولم يترعرع في حضنها من يداني الطويل وابنه... ذلك ما دعا أن تنحط الأمور وتختل الحالة، وترتبك الإدارة... فلم تحصل كفاءة علمية أو أدبية إلا قليلاً... وما ذلك إلا



باب الطلسم (باب الحلبة) ـ عن دار الآثار العراقية

لقصر المدة، وقلة عناية التالين في حراسة العلم والأدب فلم يظهر في مدارسها نوابغ عديدون ليصح أن يقال لها حضارة خاصة لها طابعها المعروف... والعلماء وأرباب الثقافة يكادون يعدون بالأصابع...

والأهلون لم يتمكنوا من فتح أعينهم من غوائل الحروب ليميلوا للعلوم بل عادت بعد قليل جذعة، قامت الفتن، وتحركت الاضطرابات، وصار سوق المتنفذين في رواج، وزاد التغلب في الأنحاء...

وحالات العشائر، وسلوك المجاورين يعين أوضاعهم... فهم في تنازع لا هوادة له، ولا ركود للزوابع والقلاقل... نرى القوي يتغلب، والضعيف يقهر، ومن شعر بوهن في المقابل أو خلل فيه جمح، أو حاول القضاء على ندّه ليحل محله... ومن ثم نجد الحكومات المجاورة، والقبائل بالمرصاد تترقب الفرصة، وتتطلع الحالة... تتفق مع هذا اليوم، ثم تصد غداً، وتركن إلى آخر، وهكذا الأهواء مختلفة والنزعات متباينة، والآمال لا تقف عند حد، والحرص بلغ منتهاه، قتل الشعوب والحكومات معاً...

ونفسيات الأهلين من الحضر خاصة تجاه ذلك في ارتباك، لا تدري ما يراد بها ولا ما تضمره الليالي من نكبات وآلام، أو أرزاء ومصائب... مما لا يسعه وصف، أو يحيط به قلم من توقع خطر واضطراب وترقب ما لا تحمد عواقبه...

وهذا العهد يتصل في أكثر وقائعه بالدولة (البارانية) من أوائل تكونها إلى أن فتحت العراق، ومن ثم استقلت وحدها بالإدارة وقهرت عدوها، وكان لها العز والصولة... دامت إلى أن جاء أجلها، ووقائعها في العراق عن أيامه الحاضرة غير معروفة تماماً بسعة وبسط ولا مطردة متسلسلة، وإنما حكاها المجاورون أو تعينت إجمالاً في تواريخ هذه الحكومة...

وعلى كل ينبىء المعلوم عما وراءه، وتشير الحالة إلى ما جرى والوقائع المتكررة لا تفيد أكثر من أن تكون أمثلة. . . ولا أعتقد أن هذا الإهمال للحوادث العراقية مقصود من الحكومة الأصلية، ولكن لم يلتفت إلا إلى أعمال السلاطين وحروبهم، والتغني بمآثرهم، وإغفال ما سوى ذلك على ما اعتاده المؤرخون في هذه العصور أغلبياً.

قبيلة البايندرية
(آق قوينلو)

١ ـ ماضيها:

بينا أوضاع القبائل التركمانية، ومنها هذه فقد قدر لها أن تتأهب للكفاح وتنال بغيتها في صف الحكومات التاريخية، وتدخل ضمن قائمتها سواء في العراق، أو في إيران وديار بكر. ولا بدع أن تتكون حكومة من قبيلة فنظائرها كثيرة.

كانت أيام استيلاء التتر والمغول قد مالت إلى ديار بكر والأنحاء المجاورة، وقد مر الكلام على تاريخ هذه الهجرة. ومن المقطوع به تاريخياً أنها من ذرية أوغوز، وتمت إلى أحد أحفاده (بايندر) بن كون بن أوغوز، والبايندرية نسبة إليه وفي جامع التواريخ أن بايندر بن كوك بن أوغز، وهذه القبيلة من بين ٢٢ قبيلة من القبائل المتفرعة من أوغز، وعلامتها أو سمتها على دوابها وخيولها هي الفارق بين مواشيها عند الاختلاط ذكرها صاحب ديوان لغات الترك، وهناك بيان قبائلهم. . . وفي شجرة الترك عين أن (بايندر يعني المنعم)[1].

---

(١) ديوان لغات الترك ج١ ص٥٨ وشجرة الترك وجامع الدول ج٢.

وآق قوينلو صفة لحقتهم من جراء أن هذه القبيلة كانت قد اقتنت غنماً بيضاً فصاروا يدعون بـ(بيض الغنم) ولما كانت الأعلام لا تغير اخترنا لزوم الاحتفاظ بـ(آق قوينلو)، و(البايندرية). ولا نرى صحة ترجمة اللفظ. والتركمان عرفوا بأسمائهم، ولم يترجم علم عرفوا به...

٢ ـ إمارتها:

هذه القبيلة أقامت في أنحاء ديار بكر[١]، وعولت على نفسها، فنزعت إلى السيادة والاستقلال، وتوالى منها رجال مشاهير، نالت بهم الحكم، وكانت قد طمحت نفوسهم إلى السمو، وأسسوا إدارة منتظمة... فظهرت القبيلة أخيراً بمظهر حكومة وكانت معروفة بالقسوة[٢]، تدربت على يد الأمير تيمور ونهجت طريقته[٣].

خلفت أثراً في التاريخ، وصار لها شأنها من عظمة، وأبهة، وسطوة... قارعت وناضلت نضال مستميت حتى حصلت على ما أرادت، ودار إمارتها على الأكثر في ديار بكر... وحصلت على السلطة أيام حسن الطويل فاتح بغداد، فانتقلت من رياسة القبيلة إلى الإمارة، فالحكومة أو السلطنة بالمعنى الصحيح... وعرفت بـ(آق قوينلو)، وبـ(البايندرية)[٤]...

٣ ـ مشاهير رجالها:

عرف منها مشاهير عديدون، وإن قرا عثمان ذاع صيته أيام تيمور

---

(١) ديار بكر هي آمد والتفصيل عنها في قاموس الأعلام، وكان يسكنها قبائل بكر بن وائل قبل الإسلام فتغلب عليها اسم (ديار بكر).

(٢) المنهل الصافي.

(٣) ديار بكرية ص٩.

(٤) جامع الدول، وديار بكرية.

أكثر، وعدد صاحب ديار بكرية أجداد الأمراء وأوصلهم إلى آدم عليه السلام مما لا نرى ضرورة لذكره ولا داعي لإيراده، وإنما اخترنا أن نعين المعلومين منهم من حين عاشوا في أنحاء ديار بكر وما والاها...

وهنا نقول إن آباء قرا عثمان يعرفون بـ(آل بزدغان) من أمراء التركمان في ديار بكر[1].. وقرا عثمان هو ابن قطلو بيك بن طور علي بيك ابن پهلوان بيك ابن أزدي بن إدريس بيك[2]... ومن هؤلاء (إدريس بيك) كان أميراً على البايندرية وكان يقطن بعض الأنحاء في ديار بكر، وهو معروف بالصلاح والاستقامة... و(پهلوان بيك) كان في عهد المستعصم، مشتهراً بالشجاعة، فعرف بهذا الاسم وأغفل اسمه الأصلي، تصرف في قلعة (النجق)، وحارب جرماغون نويان فهزمه، وقاتل جيش الروم النصارى فكسرهم، وقتل الكثيرين منهم في حدود بروسة مع قلتهم... و(طور علي بك) كان قد خلف والده في الإمارة... وتوسع نطاق إمارته في ديار بكر وما والاها... وفي أيام السلطان غازان لازمه في التوجه إلى أنحاء الشام، ورأى لطفاً منه لما رأى من شجاعته وفروسيته... لحد أن قبيلته آنئذ تعرف به.

وأما (قتلو بيك) أو (قطلو بيك)، فإنه كان من الأخيار، يراعي الدين، ويتّبع أحكام الشرع الشريف، ويعرف بالصلاح والتقوى. وكانت جهوده مصروفة لحرب الأمم المخالفة، ويعد من واجبه حفظ الثغور، وفتح البلاد لنشر الإسلام، وكسر أعداء الدين.. وكان في أيامه صاحب طرابزون وهذا بدا منه ومن جيوشه التصلب في مخالفة المسلمين

---

(١) مجموعة تواريخ التركمان.

(٢) ديار بكرية، وفي لب التواريخ أول من نزح إلى هذه الأنحاء هو طور علي بك، وفي نخب التواريخ أزدي بك وسماه حاجي بيك... وديار بكرية هي من أقدم المراجع، وعليها المعول...

فحاربهم وقتل أميرهم (يوسف دوخاري) فنكل بأعوانه واكتسح مملكتهم وأسر الكثيرين منهم، وفلّ جموعهم. وكان بين الأسرى (تشبيه) بنت تكفور طرابزون فأعادها... وخذل عدوه في حملاته الصادقة في حروبه[1].

أيام حكومتها

١ ـ قرا عثمان: (قرايلك)

كان قد ظهر أيام الأمير تيمور، فتعهده.. وقوي به، واعتز، كما نال السلطان أحمد قرا يوسف من الأمير تيمور ما نالهما من جراء عدائه.. ويعرف قرا عثمان بـ(قرايلك) ومعناه كما في الغياثي الأسمر اللون الذي يحلق محاسنه. ويلفظ قرايلوك وقرايولوق. وأما قرايلدك فغلط ودعاه في ديار بكرية الأمير بهاء الدين عثمان، وهو من الشجعان المشهورين، له معارك مشهورة، ومواقف معروفة تبلغ نحو ثلثمائة معركة، وكان منصوراً في غالبها. وهو تحت امرة أخيه الأكبر أحمد بيك، صدرت منه على المخالفين آثار عظيمة من الشجاعة والغلبة، ولما كانت الإمارة ورياسة القبيلة لأحمد بيك، وكانت قبيلة قراقوينلو وكذا طهرتن صاحب أرزنجان من أعدائهم... ركنت إليه قبيلته ومالت لجهته، فحسده أخواه أحمد بيك وپير علي بيك وحبساه وبقي في الحبس مدة.

وفي أثناء ذلك هجم قرا يوسف عليهم فاقتتلوا بين آمد وماردين فانكسرت آق قوينلو، فألحوا على أحمد بإطلاق أخيه عثمان بيك، فأطلقه خوفاً من وثوبهم عليه فخرج هذا من الحبس، وقاتل قراقوينلو،

---

(١) ديار بكرية ص١٠ وما يليها، وفي قاموس الأعلام ج٤ ص٣٠٨ تفصيل حكومتهم وأما (قت) فهي بمعنى السعادة، و(قتلو) مسعود، وينطق به قتلغ أو قطلغ تبعاً لاختلاف اللهجات التركية، وهذا كله شائع.

وكسرهم، فازداد حسد أخويه، ذلك ما دعا أن يسير إلى القاضي برهان الدين صاحب سيواس، فحظي عنده، وبقي في خدمته.

ثم انحرف عنه لأنه غدر بابن أخته الأمير الشيخ مؤيد وقتله بعد أن حصل على الأمان بواسطة عثمان بيك. والشيخ مؤيد كان قد أعلن العصيان على خاله، فلم يتمكن أن يظفر به لولا عثمان بيك وكان قد نزل إليه من قلعة قيسارية فقتله برهان الدين غدراً[1] ذلك ما دعا عثمان بيك أن يغضب للحادث ويفارقه بستمائة فارس من أصحابه، وصار إلى جهة قلعة ديوركي، فتبعه القاضي في جمع عظيم، وأدركه في موقع يقال له قرائيل (في جامع الدول قرابيل) في الحدود بين الروم والشام فثبت عثمان بيك وكان القتال شديداً مع قلة الجمع فقتل القاضي برهان الدين، وانهزم عسكره واستولى عثمان بيك على أكثر بلاده[2].

ثم قصد (قراتاتار) الذين كانوا نحو أربعين ألف بيت قرا عثمان، وكانوا يسكنون في نواحي الروم فقاتلهم عثمان بيك وكسرهم في موقع يقال له (سورك) بين سيواس وقرائيل وفرق شملهم، ومزق وحدتهم[3].

وبعدها سار فحاصر سيواس، فبلغه أن ييلد يرم بايزيد قد أرسل ولده سليمان چلبي في جمع عظيم بغرض تسخيرها، فثبت إلى أن وصل إليه العسكر وأحاط به فتحقق عجزه عن المقاومة، فاخترق الجبهة،

---

(١) بزم ورزم، والتفصيل عن القاضي برهان الدين هناك، وقد علمت أنه ترجم عن الفارسية إلى اللغة التركية من لجنة التأليف والترجمة في الجمهورية التركية، راجع وصف هذا الكتاب في تاريخ العراق ج٢.

(٢) ديار بكرية ص٢٩ وجامع الدول ج٢.

(٣) قرا تاتار طائفة من التركمان أقام قسم منها في خراسان وآخر في الأناضول، بعد وفاة تيمور تفرقت في أنحاء مختلفة، وفي أيام نادر شاه جمع قسماً كبيراً منهم، وقد وسع البحث عنهم صاحب «مرآة البلدان» وعين مكانتهم في إيران. ص٤٢٠ وديار بكرية.

وتمكن أن ينجو من بين أيديهم، وسار بأتباعه إلى أرزنجان، والتجأ إلى صاحبها (طهرتن) ثم علق هو وطهرتن بيك بخدمة الأمير تيمور عند قصده الروم، وظهرت منه آثار عظيمة من البطولة فحظي عنده، وكان أخواه أحمد بيك وپير علي بيك أيضاً مع تيمور في هذه الواقعة، وجعله تيمور مقدمه في أكثر حروبه التي في بلاد الشام والروم.

ولما شتى تيمور في بلاد آيدين ومنتشا بعد تخريب الروم أرسل عدة أحمال من الأموال والأمتعة التي نهبها من بلاد الروم إلى دار ملكه في جمع من ثقاته، فأغار عليها محمد بيك ابن أحمد بيك؛ وپيلتن بيك ابن پير علي بيك (ابنا أخوي عثمان بيك) في طائفة من تركمان آق قوينلو ونهباها.. فاتصل الخبر بتيمور؛ فقبض على أحمد بيك وپير علي بيك وحبسهما وعفا عن عثمان بيك لبراءة ساحته مما حدث، بل أكرمه، وأحسن إليه، فأرسل عثمان بيك ما كان قد ملكه من منهوبات الروم مع ولده إبراهيم بيك[1] إلى ولاية آمد؛ لأن تيمور كان أقطعها له، فقطع محمد بيك ابن أحمد بيك الطريق عليه، وأراد أخذ الأموال والمتاع من يده فقابله إبراهيم بيك، وفي الأثناء وصل عثمان بيك إلى هناك، فعاد محمد بيك خائباً، وكان السبب في ذلك أن محمد بيك ظن أن حبس أبيه وعمه كان بنكاية من عثمان فتدخل المصلحون، وتأكد محمد بيك أن لا دخل لعثمان بيك فمضى هذا إلى إقطاعه آمد، وأطاعه كثير من قومه، ومن العرب والأكراد...

وله مع قرا يوسف وصاحب ماردين حروب، كانوا جمعوا عليه من الأكراد (السليمانية) و(الزرقية) وغيرهم... وفي جهته طائفة ذكر ورئيسها يامغور بيك (ياغمور) بن بهادر حاجي بن عم دمشق خواجه وكوجه موسى أيضاً من أمرائهم... وكان يطيع قرا عثمان ألف بيت من بني كلاب

(١) هذا قتل، وله ابن اسمه اسكندر.

وشادي... وكان ابنه علي بيك قد حارب الأمير نعير أمير آل فضل... بأمر من والده، وكانت له مكانة ومنزلة كبيرة في تلك الأنحاء[1]...

وفي جامع الدول تعداد وقائعه وحروبه، وأغلب الحروب الأخيرة كانت بعد وفاة تيمور، حارب قراقوينلو وهو في توسع تارة، واندحار أخرى، وربح وخسار والجدال مستمر، ولم يترك السلاح في وقت... وفي كل حروبه كان موالياً لشاه رخ بعد وفاة تيمور حتى قتل على يد الأمير اسكندر بن قرا يوسف[2]... وعلى ما جاء في جامع الدول أن هذه الواقعة كانت في شهور سنة ٨٣٩ هـ[3].

وترجمته في قاموس الأعلام، وفي كنه الأخبار، وفي الضوء اللامع (ج٦ ص٢١٦)... وجاء في القرماني أنه كان شجاعاً، وله مع الترك والعرب وقائع، انتمى إلى تيمور، ودله على مسالك الروم، واستنابه تيمور في بلاده. وقال الغياثي: «كانت آمد عاصمته، وكذا ما يصاقبها من البلاد... وتملك ديار بكر العليا كلها إلى حدود الخاتونية، ومن سنجار إلى إربل والموصل، وهي ديار بكر السفلى، والكل يطلق عليه (أرمينية الصغرى)، وهي بإزاء (أرمينية الكبرى) التي هي شروان وشماخي...» ا هـ[4].

---

(١) ديار بكرية، وفيها تفصيل زائد للحروب والوقائع، وإن صاحب جامع الدول كما يظهر من ترتيب مباحثه وموافقتها قد نقل منها عيناً، وبلا تصرف إلا في نواحي البلاغة والتعظيمات فنقل منه رأساً أو بالواسطة... وفي ديار بكرية تصحيح الأعلام...

(٢) مرّ في هذا المجلد.

(٣) في ديار بكرية تفصيل زائد عن حادث قله، وفيها أن طائفة دكر وأميرها كوكجه موسى كان قد مال إلى جهة الأمير اسكندر راجع ص٤٨ ـ ٥٨.

(٤) راجع سيس وأدنة والبلاد الأخرى... في كتب البلدان، وفيها ما يوضح أكثر عن أرمينية.

وفي مجموعة تواريخ التركمان أنه كان شجاعاً إلا أنه أهوج، وله مع الترك والعرب وقائع طويلة طال عمره مائة سنة، ولما طرق اللنك البلاد الشامية انتمى إليه ودخل في طاعته، وله وقائع مع حديثة بن سيف بن فضل أمير العرب، وجميل بن نعير... مات في العشر الأخير من صفر سنة ٨٤٠ هـ.

وفي المنهل الصافي: «صاحب آمد وماردين وغيرهما، ومتملك غالب ديار بكر بن وائل، كان أبوه من جملة الأمراء في الدولة الأرتقية أصحاب ماردين، ثم انتمى إلى تيمور لنك، وصار من أعوانه... واستولى على آمد، وولاه الملك الناصر فرج نيابة الرها لما قتل جكم... فقوي بذلك، وضخم والتزم جانب ابن نعير، وناصره على الأمير حديثة بن سيف الذي جعل أميراً من قبل سلطان مصر... ودامت وقائعه مع قرا يوسف، ثم مع ابنه اسكندر... وهي مشهورة طالت سنين... وكان قرايلك من رجال الدنيا قوة وشجاعة، قتل عدة أمراء... وفي أيام الملك الأشرف أخذت الرها منه، وقبض على ابنه هابيل، وحبس بقلعة الجبل إلى أن توفي... وحروبه مع سلاطين مصر لا تقل عن حروبه مع قرا يوسف... قتل في حرب مع اسكندر في العشر الأول من صفر سنة ٨٣٩ هـ[1]... تتبع اسكندر قبره (خارج أرزن الروم) حتى عرفه ونبش عليه وأخرجه وقطع رأسه ورأس ولديه وثلاثة رؤوس أخر من امرائه... وأرسل الجميع مع قاصد إلى الديار المصرية للملك الأشرف برسباي... ففرح الملك... وينبغي لكل مسلم أن يفرح بموت مثل هذا الظالم المصر على الفتن والشرور، وقد قتل في أيامه من الخلائق ما لا يدخل تحت الحصر لطول مدته وكثرة إقامته وحروبه مع جماعة من الملوك... أفنى الأهلين قتلاً وسبياً وجوعاً،

---

(١) في الغياثي أنه توفي سنة ٨٣٦ هـ.

عامله الله بعدله، والحق به من بقي من ذريته ليستريح كل أحد من هذه السلالة. . .» ا هـ.

ومن أولاده (بايزيد) و(سلطان حمزة)، و(علي بيك)، و(محمد بيك)، و(يعقوب بيك)، و(قاسم بيك)، و(محمود بيك)، (شيخ حسن بيك)، و(اسكندر بيك)، و(شمس الدين بيك)، و(هابيل). . .

٢ ـ بين علي بيك وحمزة بيك:

من حين قتل قرا عثمان وقع الهرج بين أمراء آق قوينلو، وقام النزاع بين أولاد عثمان بيك وبين أولاد أخوته، فادعى قلبح أرسلان بيك بن أحمد بيك أخي عثمان بيك الأمر لنفسه، وهرب الشيخ حسن بن عثمان بيك من أرزن الروم إلى خدمة شاه رخ. وأما علي بيك فقد هرب مع أخويه محمد بيك ومحمود بيك من المعركة إلى أنحاء ديار بكر، فقصده أخواه بالسوء، ثم لحق به ابنه جهانكير في ثلة من الجيش، جاءه من جانب خرتبرت، فقوي به، ثم وصل إليه خبر وفاة والده فأطاعه قومه، وأذعنت له قبيلته. . . وأطاعه أمراء البايندرية، وكان ولي عهد أبيه، فقام مقامه. . . فأحسن السيرة وعدل، واستناب ولده جهانكير ميرزا علي حفظ الألوسات[1] وسيره معهم إلى صوب خرتبرت (خرپوط) وتوجه هو إلى خدمة ميرزا محمد جوكي بن شاه رخ بارزنجان، وصل إليها في عقب اسكندر واجتمع بخدمته مع أخيه يعقوب بيك وابني عمه نور علي بيك وجعفر بيك.

ثم أرسل جوكي ميرزا جيشاً مع علي بيك لطلب اسكندر، فأدركوه قرب قوبلي حصار، فهرب اسكندر وقتل أكثر أصحابه، فعاد علي بيك

---

(١) ألوسات بمعنى قبائل. واللفظة مستعملة عند المغول والجغتاي وسائر الأقوام التركية، وألوس أو أرلوس القبيلة، ويتوسع فيها إلى الإمارة. . .



السلطان محمد الفاتح

إلى أرزنجان وزوج أخته خاتم من جوكي، فأقطع هذا ولاية أرزنجان ليعقوب بيك، وجعل إيالة ديار بكر وحفظ الألوسات لعلي بيك فعاد مع زوجته خاتم إلى خدمة والده شاه رخ. . .

ولما عاد علي بيك بلغه أن أخاه السلطان حمزة والي ماردين قد استولى على آمد، وقصد أخواه محمد بيك ومحمود بيك أرقنين[1]، فتوجه إلى هناك فهرب الأخوان إلى السلطان حمزة بآمد، ثم سار علي بيك وسخر آمد أيضاً لأن السلطان حمزة قد سار إلى ماردين لحفظها من علي بيك، فأرسل أهل البلد إلى علي بيك يدعونه إليهم لتسليم القلعة، فسار إليهم وتسلمها منهم وأرسل حريم السلطان حمزة إليه في عقبه، واستناب علي بيك بآمد ولده جهانكير، وأرسل ولده الآخر حسين بيك إلى صاحب مصر لإصلاح البين، فقبض عليه صاحب مصر وحبسه ثم أرسل إلى طائفة (دكر) وأمرهم أن يغيروا على ديار بكر، فأغاروا على نواحي آمد، فخرج جهانكير ميرزا لقتالهم في جمع قليل، وقاتلهم قتالاً شديداً حتى أسر في جمع من أصحابه، وقتل كثير من خواصه، فأرسل مقدم الـ(دكر) جهانكير مع سائر الأسرى معتقلين إلى صاحب مصر.

ذلك ما دعا أن يحزن علي حزناً عظيماً، ويضطرب اضطراباً بليغاً. . . وفي هذه الأثناء بلغه رجوع الأمير اسكندر من الروم فتجهز لقتاله، واستناب ولده حسن بيك بآمد وسار هو إلى صوب أرزنجان لدفع غائلة ابن أخيه جعفر بيك ابن يعقوب بيك أولاً، ثم فتنة الأمير اسكندر إذ كان جعفر بيك نائب أبيه بأرزنجان، فأظهر العصيان، وأغار على كماخ وقرا حصار. فسار علي بيك ومعه إخوته يعقوب بيك ومحمد بيك ومحمود بيك وشيخ حسن وبايزيد بيك وحاصروا جعفر بيك بأرزنجان حتى ظفروا به، وحبسه أبوه يعقوب بيك.

---

(١) وتلفظ أرغنين. وفي قاموس الأعلام أرغني من ألوية ديار بكر.

وأما اسكندر فإنه كان قد انضم إليه قليج ارسلان بيك ابن أحمد بيك، وأخوه پير حسين بيك مع اتباعهما من آق قوينلو. . .، فساروا جميعاً وحاصروا خرتبرت، فقاتلهم نائبها پهلوان ابن سيدي علي فتركها اسكندر وسار إلى كيفا وخرق نواحيها، ثم سار إلى ترجان، وفعل بها ما فعل، ثم انعطف إلى أرزنجان ونهب أطرافها، ثم سار إلى أرزن الروم فسخرها. . .

وفي هذه الحالة لم يتمكن علي بيك من طلبه لحيلولة الشتاء، فنزل بآمد، فجاء إلى خدمة السلطان حمزة من ماردين مستعطفاً، ومستعفياً، فعفا عنه علي بيك وفوض إليه رياسة الألوس، فمنعه خواصه، وذكروا له وخامة العاقبة. . . فلم يصغ إلى قولهم، فصار الحال كما قال النصحاء. . .

ولما تولى السلطان حمزة رياسة الألوس (القبيلة) أرحلهم إلى صوب ماردين ثم أظهر العصيان على أخيه علي بك ومن ثم ابتدأ النزاع بين الأخوين على الإمارة ودام طويلاً حتى قضي على حمزة بيك. . . ومن ثم نجد قسماً من المؤرخين يعدون السلطان حمزة بيك هو خلف أبيه. وآخرون يعتبرون علي بيك الخلف. . . ولكل وجهته. فقد قال فريق إنه لما توفي عثمان بيك تولى السلطان حمزة. فتفرق باقي الإخوة خوفاً منه. . . ومنهم من رأى أن علي بك هو ولي العهد، ومتولي السلطة بعد والده. . . وقد رجح صاحب ديار بكرية هذا القول، ومثله صاحب جامع الدول. . . وفي الحقيقة أن النزاع استمر، ولا يزال إلى هذه الأيام ولم يستقل واحد منهما بالحكومة.

بلغ خبر هذا النزاع الأمير أصفهان بن قرا يوسف والي بغداد فسار في جمع صوب حصن كيفا فوقع القتال بينه وبين حمزة بيك، وامتد نحو أربعين يوماً حتى انكسر أصفهان في ٥ ذي الحجة سنة ٨٤٠ هـ وقتل

كثير من عسكره ونهبت أمواله وأثقاله وهرب هو في جمع قليل إلى بغداد، وقد مر ذكر ذلك كما أنه انتقم في السنة المقبلة. . . فعظم شأن السلطان حمزة وتجهز للمسير إلى آمد لتسخيرها وأخذها من علي بيك، وكان هذا قد سار إلى خرتبرت لتسليمها إلى المصريين فداء ولديه جهانكير بيك وحسين بيك، ففعل، وخلصهما، ثم سار إلى زيارة أخيه الأكبر يعقوب بيك بأرزنجان، فانتهز السلطان حمزة الفرصة، واستولى على آمد. . .

وعلى هذا سير علي بيك أولاده جهانكير وحسين وحسن إلى صاحب مصر الملك الأشرف للاستنجاد وسار هو مع ولده الآخر أويس بيك إلى صاحب الروم السلطان مراد للاستنجاد منه أيضاً. . . فترك جهانكير أخويه حسن وحسين بدمشق وسار هو إلى الملك الأشرف، فأكرمه وأنجده بخمسين ألف فارس من عسكر الشام ومصر، فسار جهانكير، واسترد البلاد من يد عمه السلطان حمزة، وهرب حمزة إلى ماردين. وفي أثناء ذلك اتصل الخبر بعسكر مصر أن الملك الأشرف توفي فعادوا إلى مصر مجدين مسرعين، ولم ينجدوا علي بك، وكان قد عاد من الروم إلى أرزنجان عندما سمع بوصول النجدة. . . ولكن السلطان حمزة برجوع الجيش عاد فاستولى على البلاد، وبقي علي بيك عند أخيه يعقوب بيك، ويئس من النجاح، فسار إلى دمشق، ثم إلى مصر مع بعض أولاده، والتجأ إلى الملك الظاهر جقمق، وبقي عنده مكرماً.

وأما أولاده جهانكير ميرزا وحسين بيك وحسن بيك فكانوا يتجولون في ديار الشام تارة، وفي أنحاء أرزنجان أخرى حتى أمد صاحب مصر جهانكير بقطعة من الجيش فاستولى على الرها وبيرة فأقام فيها مع أخويه حسن وحسين، وجرت بينه وبين عمه حمزة بيك مقاتلات ومحاربات، والحرب بينهما سجال وكانت ألوس آق قوينلو تحت طاعة

حمزة إلا أنهم كانوا ينحرفون عنه تارة ويميلون إليه أخرى وكان حسن بيك يراعي أخاه مرة فيخدمه، أو يصير مع عمه يعقوب بيك صاحب أرزنجان وكان آنئذ ابن ١٤ سنة لكنه كان آية في الشجاعة، وجرى بينه وبين جعفر بيك ابن يعقوب بيك مقاتلات عديدة، وظفر في كلها لأن جعفر بيك كان قد عصى على أبيه يعقوب بيك. ثم سار حسن بك إلى مصر لملاقاة والده، وسار أخوه حسين بيك إلى جانب الروم لما نالهما من ضيق، ثم عادا لخدمة أخيهما جهانكير في ولاية الرها.

وكان السلطان حمزة قد استولى على أرزنجان أيضاً أخذها من يد أخيه يعقوب بيك فبقي هذا في قلعة كماخ فقط ذلك ما دعا أن يعد حمزة سلطاناً مستقلاً من مؤرخين كثيرين[1]. وفي أثناء ذلك أغار جهانكير على نواحي ماردين ثم على أرقنين (أرغنين) ونهبها، وسخر قلعة جعبر، ثم عاد إلى الرها.

ومن ثم بلغه في هذه الأيام خبر وفاة أبيه (علي بيك) بقلعة (شيزر) من أعمال حلب، وكان قد عاد إليها من مصر، فتوفي بها، ولم يمض غير قليل حتى توفي السلطان حمزة أيضاً بدار ملكه (آمد) في أوائل رجب سنة ٨٤٨ هـ، ولم يكن محمود السيرة كأبيه وإخوته وإنما كان مشتهراً بالظلم والسوء، واستقر بعده ابن أخيه جهانكير بن علي بيك[2].

وعلى كل حال لم تدم سلطنة لواحد منهما، وكانا في نزاع حتى ماتا... وفي ديار بكرية فصل حوادثهما، وأوضح كل واقعة بسعة، وفيه مباحث خاصة تصلح أن تكون تاريخاً للحكومات المجاورة، ومنها قراقوينلو، والحكومة المصرية، وحكومة آل تيمور أو على الأقل توضح وقائعها معها... ولم نتوغل في ذلك فإنه لا يهم العراق إلا بقدر ما

---

(١) في تاريخ الغياثي عده السلطان بعد والده ص٣٥٨.

(٢) الضوء اللامع ج٣ ص١٦٥، وجامع الدول وقاموس الأعلام.

يوضح الوقائع والعلائق أو الإجمال عن الماضي وضبط الأعلام، والأشخاص والمواقع، أو الأقوام... وقد توسع في وقعة أصبهان الأولى وبين سببها في أنه أراد أن يستفيد من النزاع بين الإخوة وأظهر أنه جاء مناصراً لعلي بيك... فهاجم مواطن السلطان حمزة بجيوشه إلا أنه قل العلف لخيولهم ودوابهم، فتفرقوا، ومن ثم فاجأ السلطان حمزة مقر الأمير أصبهان... فوقعت حروب دامية جداً، اضطر أصبهان بسببها على العودة[1].. هذا ولو فصلنا وقائع اسكندر ويعقوب بيك، وابنه جعفر، وحوادث جهانكير لتكون لنا مجلد كبير ولكن كما قلنا أن هذه لا يمس بحثها تاريخ العراق مباشرة، وكفانا أن نعرف زبدة الوقائع ونتائجها.

٣ ـ جهانكير:

هو ابن علي بيك بن قرا عثمان كان قد ولد في حدود سنة ٨٢٠ هـ وكان قد توفي والده علي بيك، فلم يمض غير قليل حتى توفي عمه السلطان حمزة فأرسل أهل البلد وأمراء آق قوينلو إلى جهانكير يدعونه إلى الملك، فسار مجداً وملكها، فتعين للملك ولرياسة آق قوينلو (البايندرية)...

ولما أتم أمر آمد سار إلى ماردين، وكان فيها (شاه سلطان) بنت السلطان حمزة مخطوبته من قديم إلا أن العداوة عاقت من الزفاف والوصال. وحينئذ أرسلت شاه سلطان إلى جهانكير تدعوه لتسلم إليه البلد فمضى إليها تواً وسيّر أخاه حسن بيك في جمع لقتال العربان بقرب جعبر، فظفر حسن بيك بهم وغنم منهم، وسار جهانكير فتسلم القلعة، وتزوج البنت... وكان المأمول منه أن يصلح الحالة لما نالها من

---

(١) ديار بكرية ص٩٤ ـ ٩٩.

حروب وغوائل متعددة. . . وهكذا فعل، ولكن بعد مدة توالت الخطوب وكثرت الخصومات وعادت الغوائل جذعة سواء بينه وبين أقاربه، أو بينه وبين قراقوينلو، وذلك أنه بلغه أن عمه محمود بيك قصده من صوب بغداد مع مدد من صاحبها أصفهان بن قرا يوسف، فاضطرب جهانكير، ثم وصل الخبر عقيب ذلك بأن أصفهان قد مات فتفرق مدده عن محمود بيك، فسر بذلك، وكان في سنة ٨٤٨ هـ فسار جهانكير إلى آمد، فالتجأ إليه عمه يعقوب من كماخ[1]، وبقي عنده أياماً، ثم توفي.

وفي أثناء ذلك قام بالخلاف عمه الآخر الشيخ حسن بيك، وكان نائب السلطان حمزة بأرزنجان[2]، فبلغه خبر وفاة يعقوب بيك فسار بلا توان إلى محاصرة كماخ وأتبعه پيلتن بن پير علي بيك، وكان نائب يعقوب بيك بكماخ جلال الدين بيك رجلاً داهية، فخدع الشيخ حسن بيك حتى أدخله إلى القلعة وقبض عليه فتفرق جمعه وبقيت أرزنجان خالية عن الصاحب والحاكم، وبلغ هذا الخبر إلى محمود بيك ببغداد، فسار بسرعة واستولى على قلعة پيرجك أولاً، ثم ملك أرزنجان ولما سمع جهانكير بالخبر عجل في جمع جيش وأخذ معه أخاه حسن بيك وحاصر أرزنجان ٤٠ يوماً فمانعه أهلها، ومن ثم اضطر إلى العودة.

وفي سنة ٨٥١ هـ قدم جهان شاه بن قرا يوسف إلى ديار بكر لقتاله وكان سبب ذلك أن جهان شاه لما ملك بغداد وأخذها من يد ابن أخيه فولاذ ابن أصبهان في سنة ٨٥٠ هـ أقطع الموصل لأبناء أخيه ألوند ورستم ترخان ومهماد أولاد اسكندر، ولم يمض غير قليل حتى أظهر ألوند العصيان على عمه، فسخر إربل وكردستان أيضاً، فسير جهان شاه من أعاظم أمرائه رستم ترخان في جيش إلى دفع غائلته فانكسر ألوند بعد

---

(١) بلد في أرزنجان.

(٢) أحد ألوية أرزن الروم (أرضروم) كما في قاموس الأعلام.

قتال عنيف، والتجأ إلى جهانكير بن علي بيك، فطلبه منه جهان شاه، فلم يجبه إلى ذلك[1]، فسار جهان شاه وشتى في بردع وكنجة وبعث جيشاً أخذوا أرزنجان من يد محمود بيك أولاً وحضر إلى خدمة جهان شاه كثير من أمراء آق قوينلو وأولاد عثمان بيك وأحفاده وأبناء إخوته مثل قليج أرسلان بيك ابن أحمد بيك وأخيه موسى بيك، وخليل بيك، وإسكندر بيك ابني پلتن بيك بن پير علي بيك، وبايزيد بيك ابن الشيخ حسن بيك بن عثمان بيك، والشيخ حسن ميرزا بن علي بيك، ثم أرسل جهان شاه جمعاً عظيماً إلى تسخير ديار بكر فعجز جهانكير عن مقاومتهم فحصن القلاع وتحصن هو بآمد، وأخوه حسن بيك بأرغنين، وأخوه الآخر أويس بيك بالرها فخرب عسكر جهان شاه كل ما مر به من القرى والقصبات، وحاصر جمع كان مع رستم ترخان قلعة ماردين مدة حتى أخذها، واستولى على أرزنجان وترجان، ثم حاصروا قلعة الرها وبها أويس بيك فسار حسن بيك من أرغنين ليمد أخاه فقاتل المحاصرين أشد قتال وكسرهم، ثم عاد إلى آمد، وزار أخاه جهانكير، وسار إلى أقطاعه أرغنين وقدم رستم ترخان من ماردين، فأغار على سواد آمد وخربها، ثم انضم إليه محمدي ميرزا بن جهان شاه بمدد من والده، وبقي رستم ترخان ومحمدي ميرزا في تلك الديار بجيش عظيم من قراقوينلو بين تخريب وأسر وقتل...

وكان جهانكير وأخوه حسن بيك يبيتانهم ويقاتلانهم عند انتهاز الفرصة نحو خمس سنين حتى آل الأمر إلى الصلح، وسبب ذلك هو أن جهان شاه كان قد بلغه خبر قتل السلطان محمد على يد أخيه بابر ميرزا، فطمع في العراق (عراق العجم) فأرسل إلى جهانكير فصالحه، فخطب ابنته لابنه محمدي ميرزا، فعاد إلى العراق، وكان نائبه على همذان علي

---

(١) مر أنه ذهب إلى المشعشع.

شكر بيك بهارلو، وعلى السلطانية شهسوار بيك بيراملو قد جمعا وحشدا، وسار مع ولده پير بوداق، واستولوا على العراق (عراق العجم) قبل وصول جهان شاه، وأرسلوا إليه البشير، فلقيه حين قفوله من ديار بكر، وكان ذلك في سنة **٨٥٧** هـ.

ولما وقع الصلح بين آق قوينلو وقراقوينلو قام الشقاق بين الأخوين جهانكير ميرزا وحسن بيك المعروف بالطويل... وباختلافهما قوي أمر عمهما قاسم بن قرا عثمان، فادعى الأمر لنفسه ورفع راية الخلاف... وكذا عظم شأن قليج أرسلان ابن پير علي بيك بولاية أرزنجان وترجان إذ أقطعه جهان شاه تلك الديار، وكان حسن بيك لا يرضى بالمصالحة فاجتمع إليه من شجعان آق قوينلو، فأغار بهم على صحراء موش ثم هجم على عمه قاسم بيك فهرب هذا إلى صوب قرا حصار الشرقي فتبعه حسن بيك وغنم أثقاله وبيوته، ثم رد عليه أهله وعياله، فعاد إلى تسخير أرزنجان وقتال قليج أرسلان، وظفر بولده مع جمع من أصحابه فأسرهم، وحاصر أرزنجان نحو ٤٠ يوماً وخرب سوادها، ثم بلغه أن سليمان بيك بن ذي القدر (دلغادر) قد توجه لقتاله، فلم يضطرب حسن بيك من هذا الخبر وثبت.

ثم ظهر كذب الخبر فأغار على بلاد ترجان وأرزنجان، ثم على المخالفين من الكرد، فأطاعه أمراء الأكراد، وعظم شأن حسن بيك، وكثرت جموعه، ثم بلغه أن عمه قاسم بيك قتل ابن عمه جعفر بيك ابن يعقوب بيك وحاصر كماخ، فسار إلى دفع غائلته، فوصل إليه وهو على الطريق خبر ذهاب أخيه جهانكير إلى مصيف الأطاغ وتركه آمد خالية من المستحفظين، فانتهز حسن بيك الفرصة، وترك جميع أثقاله وألوساته بقرب كماخ، وسار هو بتجريدة في نخبة من الجيش صوب آمد ولما قرب منها سار هو في خمسة فوارس متنكراً، ودخل آمد، وقتل البوابين، فدخل بقية جيشه البلد أيضاً، فأطاعه من كان فيها من أعيان أهليها.

ولما وصل الخبر إلى جهانكير حار في أمره، وهرب إلى قلعة ماردين، وتحصن بها وقنع بامتلاكها، وأطاع أكثر من كان معه من الأمراء أخاه حسن بيك، فسخر أعمال آمد أيضاً في أيسر الأوقات، فتولى رياسة ألوس آق قوينلو في سنة ٨٥٧ هـ.

وهذا هو حسن الطويل. ولا تزال الإدارة لم تستقر لأحد، والنزاع قائماً... وقد مر من الحوادث ما يعين علاقاته الحربية والسياسية سواء بحكومة مصر، أو قراقوينلو، أو نفس قبيلتهم (آق قوينلو)، وفي هذه الأيام زادت المشادة بين الأخوين. وكان أعداؤه الآخرون يراقبون الحالة ويتربصون له الدوائر[١]... وكانت مناصرة أخيه له خير معين له للقضاء على قاسم بيك، وعلى قليج أرسلان ابن پير علي بيك... ولكن أقوى العداء ظهر في شخص حسن بيك نحو أخيه... فقد أعلن حكومته سنة ٨٥٧ هـ، وأن جهانكير تصالح معه ورضي منه بماردين، وأن تكون سائر أجزاء المملكة والعساكر بيد أخيه حسن بيك، واتفقا على ذلك، واستقر جهانكير في ماردين هو وأولاده وعياله ورجاله المختصون به، وبقي إلى ما بعد موت جهان شاه. وتوفي هو سنة ٨٧٤ هـ، واستقر أولاده بعده، وكان له ابنان تزوج أحدهما بابنة عمه حسن بيك، وتوفيا أيضاً[٢].

وفي هذا كفاية لمعرفة الحالة أيام جهانكير، كما أن ترجمته عرفت من وقائع أيامه، وكل ما هناك أن أخاه حسن بيك لم يقصر في تقريبه، وقبول صلحه عند كل ظفر وانتصار عليه، وكان في أعماله هذه ينال عطفاً المرة بعد الأخرى... مما يدل بوضوح على أن آماله أكبر مما

---

(١) الغياثي، وجامع الدول، والضوء اللامع ج٣ ص٨١ وديار بكرية. وهذه أزالت الإبهام عن كثير من الأعلام.

(٢) الغياثي، وكلشن خلفا وغيرهما.

يتصوره أخوه جهانكير المذكور، وهذا شأن الرجل العظيم، وصفحه عن أخيه يعد أكبر فضيلة له، وقد برهنت الوقائع الكثيرة أنه كبير النفس لا يحمل انتقاماً ولا يعرف حقداً، ولا حرصاً زائداً، ولم يقصر في تدبير، ولم يهمل تيقظه للحوادث... فهو بحق من أعظم الفاتحين في حروبه مع أقاربه وأعدائه...

حسن الطويل

١ ـ حروب ومقارعات:

حسن بك بن علي بك بن قرا عثمان يعرف بـ(حسن الطويل) وكان عادلاً مقداماً، من مشاهير الفاتحين، قضى على الحكومة البارانية، واستولى على العراق وعلى قسم كبير من إيران. بل أكثر أقسامها. ولما استقر على سرير الملك بآمد بلغه أن أخاه جهانكير قد سار إلى الرها، واتفق مع أخيهما أويس والي الرها على قتاله فكبسهما ونهب كل ما وجده خارج القلعة من الدواب والمواشي، وكذا أغار على سواد ماردين، ثم هرب أخواه جهانكير وأويس إلى ماردين، وتركا الرها فاستوى عليها، واستناب بها أحد أمرائه، ثم أغار على حدود الشام، وغنم أشياء كثيرة، ثم سار إلى قتال أخويه بماردين، وقاتلهما بظاهرها وكسرهما، ثم حاصرهما فيها أياماً فوسطت والدتهم فيما بينهم فاستقر الصلح بتوسطها، فعاد حسن بيك إلى آمد، ثم أغار على بلاد أرزن الروم وأونيك وبايبرت وترجان، وكانت هذه القلاع والحصون في أيدي نواب جهان شاه وأمراء قراقوينلو فخربها ونهبها وسخر قلعة سبكة وغيرها، فأقام بترجان أياماً، وحاصر أرزنجان مدة، ثم عاد إلى المشتى، وفي الربيع رجع إلى حصارها، وبلغه أن جهان شاه قد أمد الملك خلفاً الأيوبي أيضاً، وكان بين حسن الطويل وبين الملك أحمد الأيوبي مصادقة، فسار إلى مدده، ورفع الملك خلفٌ منها، فعاد منها



السلطان سليمان القانوني

وأغار على بلاد الموصل وسنجار ثم رجع إلى آمد، ورتب وليمة لختان أولاده خليل الله، وأوغورلو محمد، وزينل، وزوج أخويه اسكندر، وجهان شاه.

ثم سار إلى أنحاء أرزنجان وترجان فأغار عليها وفي أثناء ذلك سقط عن الفرس فانكسرت إحدى رجليه، فقارب الهلاك، وثارت بذلك فتنة عظيمة وقام أخوه جهانكير بالخلاف والغارة على حوالي آمد.

ولما عوفي حسن الطويل خاف جهانكير من سطوته، فأرسل إلى جهان شاه ابن قرا يوسف يستنجده ويلتجيء إليه، ثم سار بنفسه إلى خدمته في العراق، فأرسل حسن إليه أحد أمرائه ينصحه ويمنعه من المسير إلى خدمة جهان شاه، ويدعوه إلى المصالحة والاتحاد، لأن حسن بك وجهانكير كانا شقيقين، فاتفق أن الرسول قد مات في الطريق قبل الوصول إلى جهانكير، فسار جهانكير إلى جهان شاه، فأسرع حسن بك يحث السير في طلبه، ولما قرب من ماردين استقبلته والدته سراي خاتون مع ابنتها (أخت حسن وجهانكير) فأكرمهما الطويل ووسط والدتهما بينه وبين أخيه جهانكير في الصلح على أن يرجع من الالتجاء إلى جهان شاه فعاد حسن إلى صوب آمد، فنقض أخوه العهد، ومن ثم عاد حسن إلى قتاله، وقتل من الطرفين خلق كثير، ثم انهزم جهانكير وتحصن بالقلعة، ثم اصطلحا ثانياً، فرجع حسن إلى دار ملكه آمد، ولم يمض غير قليل حتى نكث جهانكير العهد وأغار عسكره على بعض ولاية الطويل فسار هذا إلى محاصرة ماردين بعد أن أرسل بيوته مع ابنه خليل الله إلى قراجه طاغ، فأغار حسن على نواحي ماردين وخربها ثم خرج إليه عسكر ماردين فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان جهانكير في هذه الدفعة غائباً، سار إلى جهان شاه في العراق فخرجت والدتهما وأصلحت البين إلى أن قدم جهانكير من العراق فعاد حسن إلى آمد، ثم أغار نائب جهان شاه بولاية أرزنجان وترجان الأمير عربشاه الكردي، وكان معه عشرة

آلاف فارس من قراقوينلو فأخرجه الطويل من تلك البلاد فهرب إلى جهان شاه فغضب عليه وحبسه وصادر أمواله لهربه من حسن بيك فنهب حسن بيك تلك الديار وولاية ياسين (في أرزن الروم) ثم توجه إلى العراق فأطاعه أهلها، ثم سار إلى أرزن الروم، ثم حاصر أرزنجان ثم بلغه أن أخاه جهانكير قد عاد من العراق، وقصد أن يكبس قبيلته (ألوسه) فعاد حسن لدفع غائلته فتحصن أخوه جهانكير منه بقلعة ماردين، فحاصره حسن بيك فيها، فأرسل جهانكير أخاه أويساً إلى جهان شاه يستمده، فأمده بجيش عظيم مع رستم ترخان، ثم أرسل في عقبه من أعاظم أمرائه الأمير علي شكر بيك أيضاً فاجتمع كلا الجمعين، فساروا جميعاً إلى ديار بكر لقتال الطويل ودفع غائلته فاستقبلهم هذا وقاتلهم قتالاً شديداً وكسرهم وأسر رستم ترخان مع جمع من أصحابه وثبت علي شكر بيك وابنه پير علي بيك في جمع من أصحابهما بعد انهزام العسكر، فاجتمع عليهما جمع عظيم من المنهزمين، فقاتلوا عسكر الطويل حتى أخرجوهم من معسكرهم، وكادوا يكسرونهم لولا إقدام حسن بنفسه فبعد جد عظيم، وقتال شديد أسر علي شكر وابنه پير علي مع ألف وسبعمائة من نخبة الجيش، وقتل خلق عظيم، وفرت البقية، وتفرقت شذر مذر، وتبعهم عسكر حسن. فغرق أكثر الهاربين في الفرات، ولم يفلت منهم إلا القليل، وغنم العسكر أثقالهم وأموالهم، ثم أمر الطويل بقتل الأسرى فقتل خمسمائة منهم صبراً؛ وحبس الباقين، ثم أمر بضرب عنق رستم ترخان بين يديه.

٢ ـ حكاية: (استطراد)

يحكى أن مجذوباً يقال له (بابا عبد الرحمن) كان قد حضر مجلس الطويل يوماً وأخذ سيفه وضرب به على طاس في المجلس، فقال هذا رأس رستم يضرب فيما بين يديك بهذا السيف. وكانت هذه الإشارة قبل

الواقعة بعدة سنين، فضرب عنق رستم ترخان بذلك السيف كما قال المجذوب انتهى.

عود: ثم أمر حسن الطويل بحبس علي شكر بيك بقلعة جرموك وحبس ولده پير علي بقلعة أرقنين (أرغنين) فسار حسن وحاصر ماردين وبها أخوه جهانكير، ولما قرب الأخذ شفعت فيه والدتهما، فأصلحت بينهما، وأرسل جهانكير ولده علي خان إلى حسن الطويل ليكون في خدمته، وكذا حضر عنده أخوه أويس فعفا عنه حسن وأكرمه، وأعاده إلى اقطاعه الرها، ثم توجه إلى أرزنجان وكانت قد خربت بتعاقب القتال فأقطعها لخورشيد بيك، وأمره بتعميرها، وإعادة الرعية إليها، فأطاعه جميع حكام حدود الروم والشام فعظم شأن الطويل بعد هذه الوقعة.

عاد من أرزنجان إلى دار ملكه آمد، وأغار بقرب الرقة على أعراب نشيب، وكعبتين، وعنين، وربيعة، ونهب أموالهم ودوابهم، وأزال فسادهم من تلك الديار، لأنهم يقطعون الطريق على القوافل والمسافرين، ثم وصل إلى دار ملكه آمد. وكانت الوقعة التي جرت بين حسن بيك ورستم ترخان في حدود سنة ٨٦١ هـ[1].

ثم اطلق حسن الطويل على شكر وولده پير علي وغيرهما من أمراء قراقوينلو الذين كان قد أسرهم في الوقعة، وأرسلهم مكرمين إلى جهان شاه، وكان هذا إذ ذاك مشغولاً بتسخير خراسان.

٣ ـ انقراض الدولة الأيوبية:

ثم اشتغل حسن الطويل بتسخير قلاع الأكراد المخالفين له، وفي أثناء ذلك بلغه أن الملك زين العابدين، والملك أيوب الأيوبيين قد خرجا على الملك خلف الأيوبي صاحب حصن كيفا وقتلاه، فأرسل

---

(١) جامع الدول.

جمعاً فظفروا بهما، وفتحوا الحصن مع أعماله، فقتلهما الطويل قصاصاً للملك خلف، فانقرضت الدولة الأيوبية من حصن كيفا في حدود سنة ٨٦٤ هـ وأقطع البلد لولده السلطان خليل.

وهذه الدولة فرع من الدولة الأيوبية وحكومتها في حصن كيفا. عاشت من سنة ٥٨٢ هـ إلى هذه الأيام فانقرضت.

٤ ـ حسن علي بن جهان شاه والقرمانية:

في هذه السنة التجأ حسن علي بن جهان شاه إلى حسن الطويل فأكرمه وأنزله منزلة أبنائه وإخوته، وكان قد عصى ولده جهان شاه، فظفر به، وأخرجه من حدود ملكه، فبقي عند الطويل، ثم توجه إلى ولده، فرجع من طريقه ثانياً، فأكرمه كالأول، ثم ظهر لدى حسن بيك إلحاد حسن علي، وضعف دينه، فطرده من عنده لئلا يفسد أولاده أيضاً فسار إلى أخيه پير بوداق في العراق. ووصل الخبر إلى الطويل بأن صاحب البلاد القرمانية إبراهيم بيك ابن قرمان قد توفي، فطمع الملك ارسلان من ذي القدرية (دلغادر) في بلادة قرمان وأغار عليها، ونهبها وخربها. وكان بين إبراهيم المتوفى، وبين الطويل مصادقة، فاستغاث أهله وأولاده بحسن الطويل على الملك أرسلان فتوجه حسن إلى صوب قرمان لدفع غائلة أرسلان فتنحى هذا من بين يديه، ونهب الطويل بعض أثقاله، فأقام حسن إسحاق بيك القرماني والياً على تلك الولاية فعاد منها.

٥ ـ پير بوداق ـ حسن الطويل:

وفي سنة ٨٦٩ هـ أرسل جهان شاه إلى حسن الطويل يعطيه الموصل وإربل وسنجار على شرط أن يسد الطرق على ولده پير بوداق بن جهان شاه، ويمنع وصول الميرة والذخيرة إلى بغداد وكان پير بوداق قد أعلن العصيان على والده، فحاصره والده ببغداد نحو سنتين،

ثم خدعه بالعهد والأمان فقتله، وفي هذه الواقعة فرح حسن بيك وقال كلمته.

6 ـ الكرج ـ الأسرى:

وفي سنة ٨٧١ هـ سار الطويل في جمع عظيم إلى غزو الكرج، وقبل مسيره أطلق كل من كان في حبسه من قراقوينلو، والأكراد، والأعراب وغيرهم ومن جملتهم پير علي بن علي شكر، وسولان بيك من قراقوينلو... وكانت مدة حبسهما نحو عشر سنوات، وأما إطلاق علي شكر بيك فقد كان قبل ذلك... وقد فصل في جامع الدول وفي ديار بكرية واقعة الكرج...

7 ـ حوادث أخرى:

ثم أرسل حسن الطويل أخاه جهان شاه إلى حصون الأكراد، فسار إليها وسخرها وأعظمها قلعة (پالو)[1].

ثم سار حسن إلى أرزنجان، وأرسل ابن أخيه مراد بيك إلى سلطان الروم أبي الفتح السلطان محمد بن مراد يلتمس منه أن لا يقصد طرابزون، ويتركها له لأن صاحبها كان يؤدي الجزية إليه، فلم يجبه إلى ما أراد... ذلك ما دعا إلى الحروب بينهما... وسار إلى الكرج وفتح فيها بعض الفتوح...

وفي تاريخ إيران أن السلطان حسن الطويل كان في أيام شبابه قد أسر بنت ملك طرابزون من أواخر الملوك هناك، هي المسماة (دسپينا) خاتون[2]. والظاهر أن هذا غير صحيح كما يأتي وإنما الواقعة جرت

---

(١) جاء في الشرفنامة بلفظ (پالو) وفي جامع الدول جاء بلفظ (يالو) وليس بصواب، وهي إمارة كردية، وأمراؤها من نسل تيمور تاش ابن الأمير محمد. والتفصيل عنهم هناك وفي قاموس الأعلام، ووقائعهم مع البايندرية في شرفنامة ص٢٤٠.

(٢) تاريخ إيران: عبد الله الرازي الهمداني ص٤٩٩.

أيام قطلوبيك، وتسمى (تشبيه) كما جاء في ديار بكرية وأن الملك كان يدعى (يوسف دوخاري)، وقد مر ذلك.

بين جهان شاه وحسن الطويل

١ ـ العلاقات الحربية ـ قتلة جهان شاه:

في سنة ٨٧١ هـ جمع جهان شاه جمعاً عظيماً، فتوجه إلى أنحاء ديار بكر ونزل مصيف خوي، أقام فيها أياماً... وأرسل إلى حسن يدعوه إلى الحضور وطيء البساط إما بنفسه، أو بإرسال أحد أولاده إليه، فلم يجبه، وجمع جيشه، وتجهز للقتال... وأرسل إلى أخيه جهانكير صاحب ماردين يستنجده، فأرسل عسكره مع ولديه مراد وإبراهيم للإنجاد والإمداد، فسار حسن من دار ملكه آمد إلى جانب جهان شاه، ونزل صحراء موش بجماعة عظيمة وأهبة كاملة وأرسل ابنه السلطان خليل في ألفي فارس ليتجسسوا أحوال المخالفين، وأمره بأن لا يقدم على القتال ما لم يقاتل الخصم رعاية للعهد واليمين التي جرت بينه وبين جهان شاه. فبدأ الخصم بالقتال، فقاتله السلطان خليل، وظفر بمقدمة جهان شاه، وقتل كثيراً، وأسر مثلهم، فعاد منصوراً، فغلب الخوف على جهان شاه وعسكره مع كثرتهم وقوتهم، فعاد من موضعه، فتبعه حسن بيك في ستة آلاف فارس، وترقب الفرصة حتى أخبره عيونه بأن جهان شاه قتل على يد شخص مجهول، وذلك أنه لما أن ضربه الشخص المذكور وجرحه التمس منه جهان شاه أن يحمله حياً إلى الطويل، فلم يلتفت الشخص إلى كلامه، وأتم أمره، ثم عرفه وحمل رأسه إلى حسن بيك ثم طلب جسده أيضاً فسير حسن بيك الرأس إلى السلطان أبي سعيد بخراسان والجسد إلى موضع كان أبوه قرا يوسف مدفوناً فيه فدفن بجنبه، وأسر ولديه محمدي، وأبا يوسف مع جماعة من خواصه، وقتل خلق كثير من أعاظم أمراء قراقوينلو... ثم أمر حسن

بقتل محمدي ميرزا وسائر الأسرى سوى أبي يوسف فإنه حبس في قلعته، وكان يادكار محمد ابن السلطان محمد بن بايسنقر بن شاه رخ قد أسر في المعركة. ولما عرفه الطويل أطلقه وأكرمه، وأطلق أيضاً كل من أسر من أمراء الجغتائية، وعينهم لخدمة يادكار، فبقي هذا عنده مكرماً إلى أن جعله والياً على خراسان بعد قتل أبي سعيد...

وأما عسكر جهان شاه فقد بلغهم خبر الوقعة فتفرقوا أيدي سبا، وكان ذلك في سنة ٨٧٢ هـ. وأطلق الطويل پير علي بيك بن علي شكر، وعلي بيك جاكيري وسهراب بيك، ورستم الپاوت من قراقوينلو، ولم يأذن لعسكره في تعقب المنهزمين وأطلق كل من أسر من ضعفاء العسكر وأحسن إليهم...

ثم عاد منصوراً، مظفراً، غانماً، سالماً إلى دار ملكه آمد.



وقائع حسن بيك
بعد قتلة جهان شاه

١ ـ حصار بغداد:

ثم إن حسن الطويل عاد إلى دار ملكه ليتجهز للمسير إلى العراق وأذربيجان فسار من طريق الموصل إلى بغداد، وسخر جميع البلاد التي على ممرّه، وأطاعه نواب جهان شاه واستقبله رسول نائب بغداد پير محمد الپاوت بالطاعة والانقياد، فأراد أن يتوجه. إلى أذربيجان، وأرسل ولده أوغرلو محمد بيك في ألفي فارس إلى بغداد ليتسلمها من پير محمد المذكور. ولما وصل محمد بيك إلى بغداد أبدى پير محمد العصيان، فعرّف أوغرلو محمد والده بالأمر، فتوجه إلى بغداد، وحاصرها، فلم يتمكن من الاستيلاء عليها، وكان حصاره لها في ٢٠ رجب سنة ٨٧٢ هـ. وكان والي بغداد پير محمد الطواشي (التواجي) وليها من قبل جهان

شاه، فلم يذعن لحسن بيك، ورأى هذا أن الضرورة تدعوه أن يترك بغداد ويرحل عنها إلى تبريز فكان ذلك يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٨٧٢ هـ.

٢ ـ حسن علي ـ السلطان أبو سعيد:

وفي هذه الأثناء بلغه ظهور حسن علي بن جهان شاه بأذربيجان، وكثرة تعديه على الأهلين هناك، وأنهم استغاثوا به، فسار لدفع غائلته... فأرسل رسولاً من أكابر أمرائه إليه، وذكر ما له عليه من الحقوق السابقة... فلما وصل قتله مع ثلاثين من أصحابه، فعلم حسن بيك بالخبر، فغضب غضباً شديداً، فلقي عسكر حسن علي في (مرند) وكان أكثر من جيش حسن بك بأضعاف، لكنهم كانوا أخلاطاً لا يحسن أكثرهم الحرب، فأمر حسن علي بحفر خندق حول عسكره لخوفه. ودام القتال أياماً، وهرب جماعة من أمراء حسن علي عند انتهاز الفرصة فمالوا إلى حسن بيك ومنهم أمير شاه علي، وأمير شاه إبراهيم... وذلك في ٤ صفر سنة ٨٧٣ هـ وتابعهم غيرهم. ثم أمر حسن بيك أن تجمع أحجار ترمى بالفلاخن، وصاروا يرمونهم، فلم يروا بداً من الفرار، فتفرق جمعه، وهرب هو بشق النفس إلى باكو، ونهب ما كان معه من الأموال والأثقال...

وفي أثناء ذلك كان حسن بيك يرسل الرسل مرة بعد أخرى إلى جانب السلطان أبي سعيد وإلى أمراء الجغتائية يظهر لهم الطاعة والصداقة، ويذكر لهم حسن انقياد آبائه لهم من أيام تيمور، وعدم ظهور العصيان والخلاف منهم قطعاً كما كانت طائفة قراقوينلو. ولكن بلغه أن السلطان أبا سعيد قد تجهز للمسير إلى العراق وأذربيجان طالباً الثأر لجهان شاه منه، وكان قد سير أميراً من أعاظم أمرائه الأمير مزيد أرغون في مقدمته مع جيش عظيم. هذا وبعد فرار حسن علي وتفرق جموعه في

مرند سار حسن بيك إلى تبريز وكان ذلك في ٦ رجب سنة ٨٧٣ هـ وبث أمراءه مع جموعهم ليفتح القلاع والحصون ففتحوها بأيسر الوجوه، وذلك لاشتهار حسن بيك بالعدل وحسن السيرة، وكان أكثر أهل القلاع يسلمونها إلى نوابه باختيارهم قبل الحرب.

ولما وصل ظاهر تبريز، في التاريخ المذكور، بلغه خبر وصول أبي سعيد إلى السلطانية، ثم إلى موضع ميانه، فجمع حسن بيك سراياه وبعوثه وسلم تبريز إلى الأمراء الجغتائية، وأرسل رسولاً إلى السلطان يسعطفه، ويستأمن إليه، فلم يجبه السلطان وكان قد اجتمع إلى السلطان جمع عظيم زهاء ثلثمائة ألف فارس... وكان معه عساكر الولايات التي مر بها من أقصى بلاد ما وراء النهر إلى حدود ديار بكر وكان قد انضم إليه عسكر جهان شاه، وبعض من كان مع حسن بيك مثل عمه محمود بيك بن عثمان بيك، وعلي بك قاجري، وشاه علي حاجيلو، وأويس إينال وغيرهم من طائفة آق قوينلو، فبقي حسن بيك في قلة، وكان قد كحل أبا يوسف ميرزا بن جهان شاه لما علم أنه كان قد أرسل إلى الطواشي يقول له لا تسلم بغداد، وإني صائر إليك، ثم أطلقه فقدم إلى السلطان واستغاث به على حسن بيك، وكذا التجأ إليه حسن علي، فسيره السلطان في جمع من الجيش إلى حكومة تبريز وولاه أذربيجان كلها. وترددت الرسل بين حسن بيك، وبين السلطان، والتمس حسن بيك أن يترك السلطان أذربيجان له، وأن يكون العراق للسلطان، فلم يجبه إلى ذلك، فآل الأمر إلى القتال، فانتصر حسن بيك في نتيجة هذا القتال بالرغم من القلة، فهرب السلطان إلى (قزل أغاج) في جمع من أصحابه، ثم سار إلى (محمود آباد) من حدود شيروان بعد تعب شديد من جراء كثرة المياه والوحول، فخندقوا على الطرف الذي كان إلى البر، بيتهم عسكر حسن بيك وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وضيق حسن بيك على معسكر السلطان، ومنع منهم الميرة من كل جهة، فاضطر السلطان

إلى الخروج من ذلك الموضوع، فقاتله عسكر حسن بيك، فانكسر منهم وعاد إلى موضعه، وأرسل رسولاً ومعه والدته يطلب الصلح، فلم يجبه، ويئس السلطان، وخرج من المعسكر للهرب، فتبعه السلطان خليل وأخوه زينل والأمير شاه علي البيرامي... فأدركوه، وحملوه مع ولديه السلطان محمد، وشاه رخ إلى حسن بيك، فأكرمه وعاتبه على ما صدر منه من الطمع والسفه، فحبسه ثم سلمه إلى يادكار ميرزا فقتله قصاصاً عن جدته گوهر شاه وذلك في شهر رجب سنة ٨٧٣ هـ. وهذا هو ابن ميرزا محمد بن ميران شاه وكان من أجل ملوك الشرق[١]... فخلفه ولده السلطان أحمد ودامت حكومته إلى سنة ٨٩٩ هـ[٢].

وفي هذه المعركة غنم حسن بيك أموالاً لا تعد ولا تحصى، وحوائج ملوكية وأثقالاً سلطانية، وأمر بحفظ الحريم، وحبس ولدي السلطان، وأطلق سائر الأسرى الجغتائية وخيرهم بين المكث في خدمته والمسير إلى أوطانهم، وأحسن إلى والدة السلطان وجهزها إلى خراسان مع نعش ولدها.

ومن ثم بث حسن بيك نوابه في البلاد والنواحي من أذربيجان والعراقين وجهز لكل واحد جمعاً من الجيش... وفي القرماني أن أبا سعيد قصد أن يسترد ما كان لجهان شاه من البلاد من حسن الطويل فقابله بحدود أذربيجان، فالتحم الحرب بينهما وقتل خلق كثير، وأسر الملك في يد زينل بن حسن الطويل، ثم قتله وأرسل برأسه إلى صاحب مصر فأمر به صاحب مصر فدفن إجلالاً له... وأرسل مع الرسول كتاباً سلك فيه طريق الملوك وأبرق فيه وأرعد وكان قبله يتلطف[٣]...

---

(١) بدائع الزهور لابن إياس ج٣ ص٣٠.

(٢) تاريخ العراق ج٢.

(٣) ديار بكرية، وجامع الدول، والقرماني ص٣٣٧.

٣ ـ وقائع أخرى:

ثم إن الأمير حسن بيك بلغه أن حسن علي قد اجتمع إليه جمع، فسار من كردستان إلى همذان وحاصرها، فأرسل ابنه أغرلو محمد في جيش ليدفع غائلته، فظفر به وقتله، وسار إلى أصفهان وتسلمها من أهلها بالأمان ثم اتصل الخبر بأن پير علي بن علي شكر بهارلو قد أقام أبا يوسف المكحول ملكاً في بعض بلاد عراق العجم، فاجتمع إليه جمع من بقايا قراقوينلو، فأرسل حسن بيك إلى ابنه أوغرلو محمد يأمره بالمسير لدفع غائلة أبي يوسف أيضاً. وكان پير علي هذا مع السلطان أبي سعيد بعد وقعة جهان شاه، ولما تفرق جمع السلطان حمل پير علي هذا ميرزا أبا يوسف إلى أنحاء همذان، والتجأ إليه يار علي بن حسن علي، فغدر به پير علي وقتله، ثم بلغه أن شاه حسين صاحب لرستان قد استولى على درگزين بعد وقعة السلطان وأغار على ألوس بهارلو في مشتى سهرورد، وكان ألوس بهارلو هي ألوس پير علي هذا فسار مجداً مع من كان معه وأخذ الطريق على شاه حسين المذكور حين قفل من غارة الألوس وأيدي أصحابه ممتلئة من الغنائم والسبايا، فحكم پير علي فيهم السيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ولم يفلت منهم أحد، وقتل الشاه حسين في المعركة، ورد پير علي جميع المنهوبات إلى أصحابها[١]. وقال وكان الشاه حسين ملحداً، زنديقاً، مشعشعي المذهب (كذا). ولما قتله پير علي عاد إلى همذان ولكنه تركها من خوفه وسار إلى صوب قم وجربادقان، ومعه أبو يوسف المكحول فبقي يتردد في البلاد، ويتحصن بالجبال عندما يرى هجوم المخالف، ويجمع الأموال ويظلم الناس عند انتهاز الفرصة.

ثم استولى على فارس أياماً، وأخذها من يد الأمير سيدي علي

---

(١) جامع الدول.

البغدادي وكان سيدي علي هذا مدبراً أمور پير بوداق ببغداد، ولما قتله والده جهان شاه عفا عن سيدي علي هذا فحظي عنده فولاه فارس، فبقي فيها سنتين وحدثته نفسه بالاستبداد بعد وقعة جهان شاه، ثم أظهر الانقياد للسلطان أبي سعيد بواسطة صاحب الكشف المولى شمس الدين محمد البهبهاني ولما وقعت وقعة السلطان أظهر سيدي على دعوى الاستبداد والاستقلال، وجمع جيشاً، فقصده أبو يوسف.

ولما خرج إلى قتاله انحرف منه من كان معه من أمراء قراقوينلو إلى جانب أبي يوسف فهرب سيدي علي، والتجأ بعد مدة إلى حسن بيك، فقتل بكثرة الشكاوي وبعد فرار سيدي علي استولى أبو يوسف على فارس أياماً، ثم أرسل حسن بيك ولده اغرلو محمد لدفع غائلته، فسار إلى فارس فهرب أبو يوسف منه إلى بلاد شبانكارة فتبعه أوغرلو محمد حتى ظفر به وقتله في منتصف ربيع الآخر من سنة ٨٧٤ هـ، وهرب مدبر أمره وأتابكه الأمير پير علي بن علي شكر مع إخوته وأولاده إلى أنحاء خراسان والتجأ إلى السلطان حسين ميرزا، فسار حسن بيك عقيب ولده أوغرلو إلى فارس فأقام في شيراز أياماً حتى أتم أمرها، ثم سار إلى قم وشتى فيها، واستناب بفارس عمر بيك موصلو أياماً ثم أقطعها لأكبر أولاده السلطان خليل الله، وأقطع أصفهان لولده الآخر أوغرلو محمد.

وكان حسن بيك لما أن توجه إلى جانب فارس لدفع غائلة أبي يوسف أرسل ولده زينل في جمع من الأمراء والجيش إلى أنحاء كرمان لتسخيرها وأخذها من يد الأمير يار علي بن علي شكر. لأن پير علي بن شكر حينما استولى على فارس مع أبي يوسف وأخذها من يد الأمير سيدي علي البغدادي هرب سيدي علي المذكور إلى كرمان ملتجئاً إلى ولده أخي فرج، فأرسل پير علي أخاه يار علي في جماعة من العسكر لتسخير كرمان، فسار يار علي واستولى عليها، وأخرج سيدي علي مع

ولده منها، فالتجأ بواسطته إلى خدمة حسن بيك، فأكرمه أولاً، ثم قتله بشكاية أهل أبرقوه منه، فبقي يار علي ولاية كرمان عدة أشهر، ولما وصل زينل إلى كرمان هرب يار علي إلى أنحاء خراسان، واستولى زينل على كرمان بلا نزاع، فولاه والده الطويل عليها وكان والي كرمان في زمن جهان شاه ولده أبا القاسم، وكان سفيهاً ظالماً سفاكاً، فاسقاً، ملحداً، قتله أخوه حسن علي بعد وقعة والدهما، ثم أرسل السلطان أبو سعيد إليها نائباً، ولما وقعت وقعته أرسل الأمير سيدي علي إليها ولده أخي فرج والياً عليها من قبله، فأخذها منه يار علي، ثم اكتسحها منه زينل.

٤ ـ بغداد ـ الاستيلاء عليها:

ولما أن وزع حسن بيك المملكة الإيرانية إلى أولاده، وسائر أمرائه عاد إلى أمر بغداد وكان قد ترك حصارها بالوجه المار، وحينئذ أقطعها مع لواحقها لولده ميرزا مقصود. وكان فيها من جانب جهان شاه پير محمد الپاوت والياً، فحاصره بها حسن بيك بعد واقعة جهان شاه نحو أربعين يوماً كما سبق، ثم تركه على حاله وسار إلى دفع حسن علي، فكان ما كان... وحينئذ أرسل ولده ميرزا مقصود في جماعة من الأمراء والجيش إلى أنحاء بغداد والعراق. فبينما هو مشتغل بالغارة على أطراف بغداد وبلاد العراق إذ توفي پير محمد الپاوت والي بغداد، فأقام أهل بغداد الأمير حسين علي[1] بن زينل البراني صهر پير محمد المذكور وكان قد تزوج بنت پير محمد، فمات هو أيضاً بعد قليل. وكل هذه كانت من مسهلات الفتح. فأقام أهل بغداد مكانه أخاه شاه منصور فأساء السيرة، فأرسل أهل بغداد إلى الأمير مقصود يدعونه أن يتسلم البلد،

(١) في الغياثي حسن علي وليس بصواب لأن جامع الدول وديار بكرية اتفقتا على هذا اللفظ.

فسار وتسلمها بلا نزاع، وقتل شاه منصور مع أتباعه وأرسل بشارة الفتح إلى والده حسن بيك وهو بمشتى قم، فأقطعها له[١].

وتفصيل الخبر كما جاء في ديار بكرية:

«كان حسن بيك قد حاصر بغداد ـ كما تقدم ـ وحاكمها پير محمد الپاوت فأوصل البغداديون الخبر إلى حسن بيك بأن حسن علي قد خلف والده في السلطنة بتبريز، ودخلت الممالك في حوزته، والخزائن في تصرفه، فإذا ظهرتم عليه وظفرتم به، فنحن لا نتخلف عن الطاعة، ولا ننحرف عن الإذعان...

ومن ثم توجه السلطان إلى أنحاء أذربيجان... وأودع الموصل إلى خليل آغا التواجي، وعهد إلى شاه علي حاجي لو بإربل وهما من قراقوينلو، ليكونوا ولاة هناك ويستولوا على تلك الأنحاء، ومن هؤلاء خليل آغا بالرغم من وجود پير محمد التواجي ببغداد قد تصرف بإربل، وبسط نفوذه إلى نواحي أخرى منها قلعة فرعون، وكركوش وتون... وتمكن من التسلط على من ناوأه مثل أمير ذي النون ومحمد سارلو في قلعة خفتان...

وفي هذه الأثناء سار السلطان مقصود ميرزا إلى خليل آغا واتصل به من أنحاء سهل علي الذي هو مصيف، وباتفاق سائر الأعوان ضرب ولاية خفتان، وغنم أموالاً كثيرة...

أما بغداد فإن واليها پير محمد قد توفي في هذه الأيام، واختار الأهلون خلفاً له وهو حسين علي بن زينل البراني، ونصبوه حاكماً، وهذا صهر پير محمد، تزوج حسين على بنته وكان في خلال حكمه قد أساء المعاملة مع الناس، جمع أقوات البلدة إلا أنه لم يطل أمد بقائه،

---

(١) جامع الدول.

فمات بعد قليل، فقام أخوه شاه منصور مقامه. وفي مدة نحو ستة أشهر مات عدة من الحكام مما أدى إلى تيسير مهمة حسن بيك ونجاحه في الاستيلاء فسلم الأهلون للقضاء، وراعوا سبيل الطاعة لما رأوا من استبداد حاكمهم هذا، وتسلطه... وتولى بغداد الأمير مقصود وكان شاباً.

وعلى هذا وصلت البشائر إلى حسن بيك، وكان بعد أن فتح شيراز قد أقام في أنحاء قم ولا يزال بها حيث بلغه الخبر... ا هـ[1].

وهذا جاء مكملاً لما في الغياثي الذي هو من الوثائق المعاصرة.

والملحوظ أن الديار بكرية أوسع من الغياثي في بسط وقائع الحكومة بصورة عامة، والغياثي أوسع في تفصيل حوادث بغداد، ومن المؤسف أن نرى ديار بكرية تقف عند حوادث بغداد هذه، وتمضي إلى ما يتعلق بإيران مما لا نرى ضرورة لنقله أو التعرض له... والنسخة فيها نقص، فلم ينته الكتاب إلى آخره، وإنما يحتوي على ٤٢١ صفحة وكل صفحة ١٩ سطراً، والظاهر أن النقص قليل، ولا يتجاوز بضع صحائف ومن مقابلة الحوادث ومراجعتها، ومشاهدة اطراد مباحثها نقطع في أن (جامع الدول) يعتمد (ديار بكرية) رأساً أو بالواسطة...

ومن هذا الأثر نعلم درجة عناية حسن بيك بالعلماء، وبالمطالب الدينية وبالثقافة، فقد مالت إليه قلوب العلماء، وقصدوه من كل صوب، فاجتمعوا عنده، وعقد لهم مجالس كما أنه جاءته الوفود من كل مكان. وأبدى له المجاورون الإخلاص والطاعة... فكان لفتوحه هذه دوي، وولدت رعباً ورغبة في الراحة...

ولنعد إلى وقائع بغداد، وتوالي أزمنتها أيام هذه الحكومة...

---

(١) ديار بكرية ص٤٠٤.

والي بغداد الأمير مقصود:

في يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ كان قد دخل بغداد مقصود بيك ابن الأمير حسن الطويل. وكان قد أخبر والده بما جرى من فتح، فولاه منصب بغداد وجعل معه من الأمراء خليل آغا الملقب بـ(كور خليل) وقور خمس بيك (قورقماز ومعناه الجريء)[1].

هذا. وقد انقضت أخبار الحروب في بغداد، وذهب البؤس بأمه.

طاعون عظيم:

أرادت هذه السنة أن لا تتم براحة، وإنما أصاب الأهلين في بغداد طاعون عظيم مات فيه خلق كثير حتى أنه مات في يوم واحد ألف وخمسمائة، ثم وصل الطاعون إلى تكريت وشهرزور وإربل والموصل، ومات فيه عالم عظيم[2].

ابن تغري بردي: (المؤرخ)

«وفي ٥ ذي الحجة سنة ٨٧٤ هـ كانت وفاة الجمالي يوسف بن الأتابكي تغري بردي اليشبغاوي الرومي نائب الشام، وكان الجمالي يوسف... فاضلاً، حنفي المذهب، وله اشتغال بالعلم، وكان مشغوفاً بكتابة التاريخ، وألف في ذلك عدة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة، والمنهل الصافي، ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة. وله تاريخ آخر في وقائع أحوال على حروف الهجاء في التوفيات، وله غير ذلك عدة مصنفات، وكان نادرة في

---

(١) الغياثي ص٣٦٥.

(٢) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

أبناء جنسه. ومولده في سنة ٨١٣ هـ» اهـ[١].

وفي السخاوي ترجمة مفصلة له، وكان يسلم له بالبراعة في أحوال الترك، ومناصبهم وغالب شؤونهم منفرداً بذلك، لا عهد له بمن عداهم... وينقده نقداً مراً، ولكنه لا يقر على أكثر ما قاله[٢]...

وقد رأيت من مؤلفاته الجلد الثالث من المخطوط المسمى بـ(البحر الزاخر)، وهو كتاب جليل، ومجلد ضخم... ويعد من نفائس الكتب[٣]... واعتمدت على كتابه المنهل الصافي في التعريف بأمراء البارانية والبايندرية وهو من أجل الآثار المعاصرة وأوسعها في التعريف بالأشخاص، وقد مر وصفه... ولا يضره النقد الموجه إليه من صاحب الضوء، فهو متحامل فيما كتب، ولعله يرى أنه كان دونه وإننا لا نستطيع أن نستغني بواحد منهما. والتاريخ في هذه الأيام سلسلة مرتبطة لا يكتفي ببعض حلقاتها... ومتصلة بالماضي اتصالاً وثيقاً، ولكل واحد فضل كبير على تاريخ العراق، ولا يخلو امرؤ من نقد... وعلى البعد كانت خدماتهم لتاريخه جليلة، ولها خير الأثر...

حوادث سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠م[٤]

تبدل في أمراء بغداد:

مكث الأمير مقصود بيك وأمراؤه المذكورون مدة سنة كاملة. ثم

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن إياس ج٣ ص٤٢.

(٢) الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥ وما يليها.

(٣) اقتنته دار الكتب المصرية.

(٤) كتب المؤلف في ملحق الجزء الرابع:

النقود العراقية في أيام دولة آق قوينلو ظهرت نقود أوضحت عنها في (تاريخ النقود العراقية) في عهودها المتأخرة إلا أن بعض النقود اضطربت فيها الأفهام.

توفي خليل آغا الملقب بـ(كور خليل) في ليلة الجمعة ٦ جمادى الآخرة من هذه السنة فأرسل السلطان حسن الطويل مكانه خليل بيك (وكان أخا قور خمس) وهما أولاد محمد بيك ابن قرا عثمان[1] وجعل خليل بيك هذا أتابكاً للأمير مقصود بيك ويقال له (دانا خليل) فكان مدبراً لأموره. . .

إدارة بغداد أيام هؤلاء الأمراء غامضة لقلة التدوينات عن الحوادث المتعلقة بالعراق وتحول الاهتمام الكبير إلى مراكز الوقائع الجسام وما خلفته من أثر وكل ما علمناه أن السلطان حسن بيك كان قد رأى أن أوغرلي محمد ابنه قد هرب من بغداد ومضى إلى الروم فغضب على ولده مقصود بيك وعلى أتابكه دانا خليل فهرب هذا والتجأ إلى المشعشع وجعل حسن بيك ولده مقصود بيك لدى ولده الآخر السلطان خليل صاحب فارس فبقي عنده. . . ولكن السلطان حسن كان قد استمال دانا

= ومن هذه ما جاء فيها ذكر «علي ولي الله والحسن والحسين سبطان (كذا) رسول الله ﷺ». وضربت في بغداد وجاء تاريخها غير واضح. ومحل الاشتباه في (الآحاد). وأما العشرات والمئات فهي (٨٧٠). ولا شك أن الاضطراب في بغداد أدى إلى إظهار المسالمة للمشعشعين. وجاءت الحوادث سنة ٨٧١ هـ إلى سنة ٨٧٥ هـ وما بعدها في تايخ العراق ج٣ من مؤيدات ذلك. رأيت نقدين من فضة تتعلق بهذه الأيام. وفي المتحفة البريطانية في كتاب نقودها عدها من نقود المغول، وفي كتاب (مسكوكات قديمة إسلامية فتالوغى) في ص٤٦٩ وص٤٧٠ لم يستطع المؤلف أن يعين أمرها، فزال التردد. أوضحت عنها مفصلاً في (تاريخ النقود).

وحصلت على وثيقة مؤرخة سنة ٨٨٩ هـ جاء فيها بيان عن (نقد غريب) وهو (تنكه) نقد فضي استعمل في الفلوجة من أنحاء بغداد التابعة اليوم للواء الدليم.

وفي هذه ما يؤكد أن هذا النقد شاع بلفظه (تنكه) دام تداول اسمه من عهد المغول إلى هذا الحين أو إلى ظهور الدولة العثمانية و(تنكچه) مصغر هذا اللفظ الذي ورد جمعه بلفظ (دناكش) الوارد في المجلد الأول، فعرفنا الصلة التاريخية بهذا النقد، وأنها لم تنقطع إلى هذا التاريخ.

(١) الغياثي ص٣٦٦.

خليل وفي الغياثي أنه رضي عنه بشفاعة والدته فإنها خالته[1]... وأقطعه بغداد والعراق قبل وفاته على ما سيأتي.

حوادث سنة ٨٧٦ هـ - ١٤٧١ م

حروب وفتن:

قال ابن إياس كانت الفتن المهولات في هذه السنة ببلاد فارس والشرق بين حسن الطويل وبين ملوك هراة وسمرقند[2] ولكن لا نرى في هذا ما يدعو إلى التهويل، وإنما القوم أصابتهم بهتة فتركوا السلاح وذلوا شأن كل من يترك عزّه ويلجأ إلى حب الحياة المهانة...

والأمر الأعظم ما كان بين العثمانيين وبين البايندرية وكانت هذه الحكومة مشغولة في تدبير الممالك المفتوحة وتقرير أوضاعها وتعيين ولاتها... وبينا هي في هذه الحالة إذ استنجد پير أحمد القرماني بملكها حسن الطويل لما أصابه من العثمانيين من اكتساح مملكتهم... وكان السلطان العثماني آنئذ محمد الفاتح ابن السطان مراد فالتجأ پير أحمد مستفزعاً ووصل بنفسه إلى حدود أذربيجان فأرسل إليه الطويل بالعساكر نجدة له في أواخر شهور سنة ٨٧٦ هـ وكان مقدمهم أمير بيك فأخذوا توقات وسيواس وعدة مدن. وكان قد اجتمع عسكر السلطان محمد في أنقرة فأراد أمير بيك أن يرجع فلم يدعه ابن قرمان فتوجه أمير بيك بالعساكر نحو أنقرة وتواقعوا مع جيش السلطان فانكسر عسكر أمير بيك وهربوا.

فلما وصلوا إلى البيرة وطلبوا العبور من الفرات ورموا بأنفسهم إلى بلاد الشام حسب وصية حسن بيك من أن القوم أصحابهم قالوا لهم

---

(١) جامع الدول وعالم آراي أميني.

(٢) بدائع الزهور ج ص٦٩.

نعبركم جميعاً ولكنهم ابطأوا فلما طالبوهم احتجوا بقلة السفن فتعهدوا بتأدية مائة تنكجه[1] عن كل واحد ليعبر. وبعد ذلك جاؤوا بسفينة واحدة وأدخلوا عشرة عشرة وعشرين عشرين... فحين كانوا يخرجون من السفينة يسلبونهم ويشدون وثاقهم حتى أتوا على آخرهم ثم أرسلوهم إلى حلب وأعلموا بصورة الحال...

وحينئذ أرسل نائب حلب واسمه قانصوه اليحياوي فأخذوهم إلى حلب وجاؤوا بهم إلى المغارات وذبحوهم بها كالأغنام ولما سمع حسن بيك بهذا الخبر توجه إليهم وعبر الفرات يريد حلب فانكسرت بلاد الشام جميعها وتوجهوا إلى مصر. ومن لم يتوجه أرسل ماله وأهليه فوصل حسن بيك إلى قرب موضع يقال له (الباب) ثم رجع. ولو سار لأخذ حلب فرجع إلى البيرة فنزل عليها وحاصرها من الجانبين فاستولى عليها وأخربها وصعد بعض أهلها القلعة وبعضهم مضوا إلى حلب.

ثم إنه مل المقام هناك وترك خليل بيك عليها ورحل عنها وبعد مدة رحل خليل بيك أيضاً[2].

وفي بدائع الزهور أنه في سنة ٨٧٧ هـ تحارب الجيش المصري مع حسن الطويل، فانتصر عليه وأن حسناً أرسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر. وهذا أول ابتداء عكسه لكونه أرسل يستعين بالافرنج على قتال المسلمين[3]...

---

(١) استعملت مفردة كما في الغياثي وأما في الحوادث الجامعة فقد ذكرت بلفظ الجمع المكسر دناكش وهي من النقود المتداولة آنئذ من أيام المغول وأيام هذه الحكومة راجع تاريخ العراق (المجلد الأول).

(٢) الغياثي ومنتخب التواريخ والقرماني ومشاهير إسلام إلا أن الغياثي قد غلط في التاريخ.

(٣) بدائع الزهور ج٢ ص١٤٤.

وعن هذه الوقعة قال القرماني:

«في سنة ٨٧٦ هـ وصل يوسفجه بيك بعسكر حسن الطويل إلى مدينة توقات فنهبها وخرب أسوارها ثم أتم مسيره إلى بلاد قرمان وكان بها السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان فاتح استانبول فكبسه وظفر به فأسره وقتل غالب عسكره ثم بعث به إلى أبيه السلطان محمد خان»[1] ا هـ.

ومن هذا نعلم أن أمير بيك هو (يوسفجة). والتفصيل في وقائع العثمانيين. وقد أفرد صاحب مشاهير إسلام ترجمة خاصة لحسن الطويل. وكل ما نقوله في حسن الطويل إنه لم تكن له رغبة في التوسع ولكنه رأى أن العثمانيين قد اعتدوا عليه وأراد أن لا يدعهم يتسلطون على كافة أنحاء الأناضول. وهؤلاء كان همهم ومهمتهم مصروفين إلى أن يقضوا على القرمانيين وغيرهم مما يشوش أمرهم ويمنع تقدمهم... ولكل وجهة.

وهذه الحروب دامت إلى السنة التالية وجرى ما جرى...

حوادث سنة ٨٧٧ هـ - ١٤٧٢ م

الحج - المحمل العراقي:

في ذي الحجة من هذه السنة وصل المحمل العراقي، ودخل المدينة الشريفة وكان أمير الركب يدعى رستم وصحبته قاض يقال له أحمد بن دحية، فضيقوا على قضاة المدينة وأمروهم أن يخطبوا في المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل، خادم الحرمين الشريفين. فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه إلى مكة كاتب أهل المدينة أمير مكة

---

(١) القرماني ص٣٣٧.

بما وقع فخرج إليهم الشريف محمد بن بركات ولاقاهم. من بطن مرو قبل أن يدخلوا مكة، وقبض على رستم أمير ركب المحمل العراقي، وقبض على القاضي، وجماعة من أعيانهم، وأودعهم في الحديد ليبعث بهم إلى السلطان واطلق بقية من كان في ركبهم من الحجاج.

ولما وصل الحجاج إلى مصر وصحبتهم ابن أمير مكة، وأحضروا رستم أمير الحاج العراقي والقاضي الذي بعث به حسن الطويل، وصحبتهما كسوة للكعبة... رسم السلطان بسجن رستم والقاضي في البرج الذي بالقلعة فسجنا. إلا أنه في ربيع الآخر أمر بإطلاقهما وخلع عليهما، وبعث بهما إلى بلاد حسن الطويل[1]...

وهذه الأوضاع يوضحها ما سبق من الوقائع... وحسن بيك كان مسالماً للمصريين.

الحروب مع الكرج:

سار السلطان حسن الطويل إلى الكرج عدة مرات فلم يتمكن من اكتساحها والقضاء عليها جميعها ذلك ما دعاه أن يهتم لأمرها والعزم على ضبطها... وفي هذه السنة (٨٧٧ هـ) سار بنفسه إلى تفليس فافتتحها... ومن هناك توغل في المملكة فحاصر ملكها (بكزات)... وهذا حاول إرضاء حسن بيك بتقديمه هدايا فلم ينجح ولم يقدر أن يصد حركة السلطان الأكيدة وقضائه المبرم... فحدثت معركة طاحنة لم يدخر فيها أمير الكرج ما في وسعه إلا أنه خذل وفر هارباً وترك ما في يده من بلاد إلى السلطان فكان لهذه المعركة وقع كبير في النفوس فقد بلغ الأسرى ثلاثين ألفاً كما أن خزائن بكزات، وأمواله صارت غنائم، استولى عليها حسن بيك...

---

(١) بدائع الزهور: ابن إياس ج٣ ص٨٤ و٨٦ و٨٧.



كسوة الصدر الأعظم عند العثمانيين

كاد يكون الوحيد في حروبه وانتصاراته، لولا أن نالته الضربة من السلطان محمد الفاتح[1]... فلم تمض أيامه على حالها حليفة النصر والظفر...

حوادث سنة ٨٧٨ هـ - ١٤٧٣ م

حروبه مع العثمانيين أيضاً:

في منتخب التواريخ لم يفصل بين الواقعة السابقة وهذه فقال: «في أواخر سنة ٨٧٦ هـ قصد الروم وفي حدود آذربيجان تحارب جيشه هناك مع مقدم جيوش الروم (العثمانيين) فانتصروا على العثمانيين وقتلوا خاص مراد الرومي. وبعد ذلك يوم السبت ٩ ربيع الآخر سنة ٨٧٧ هـ تقارع مع السلطان محمد ملك الروم فانكسر وقتل ابنه زينل بيك وكان والي قزوين فعاد هو إلى تبريز فلم يعقب عسكر الروم أثره وعاد السلطان محمد إلى بلاد الروم. وبعد قتل زينل بيك فوضت قزوين إلى أخيه يعقوب بيك...» اهـ. ومثله في لب التواريخ.

وأما القرماني فإنه عدها في السنة التالية قال:

«في سنة ٨٧٨ هـ نهض كل من الملكين السلطان محمد خان وحسن الطويل إلى قتال الآخر فالتقى العسكران بقرب مدينة بايبورد فوقع بينهما قتال شديد فكان النصر للسلطان محمد خان فانهزم حسن الطويل وقتل ولده زينل على يد السطان مصطفى...» اهـ[2].

ومهما يكن من تساهل المؤرخين في ضبط التاريخ فقد كان الباعث الوحيد لهذه وسابقتها أن القرمانيين لما رأوا من العثمانيين تضييقاً مرّاً

---

(١) مشاهير إسلام ص٢١٨.

(٢) أخبار الدول وآثار الأول ص٣٣٧.

مالوا إلى حسن بيك واستمدوا به لدفع هذا الصائل الذي لم يطيقوا كفاحه... وطلبوا من السلطان حسن الحماية... وهذا اهتم للأمر وجهز فيلقاً ساقه إلى الممالك العثمانية فتقدم إلى طوقات فأبادها وسار إلى قيصرية وكان ما مر. ثم إن السلطان حسن سار بنفسه وأقام عساكره في نقاط مهمة وتأهب للحرب...

أما السلطان محمد الفاتح فإنه حينما سمع بهذا الخبر جمع جيشاً تبلغ عدته مائة وثمانين ألفاً ونهض لمقارعته... وكان في مقدمة جيشه (خاص مراد) وهذا قد قرب من عدوه فتأهب لمحاربته ولما نالته الصدمة الأولى من جيش حسن بيك وافى الفاتح بسرعة لقراع عدوه في صحراء (ترجان)[1].

إن حسن بيك عهد لنفسه قيادة القلب وجعل القائد على الميمنة ابنه زينل بيك وعلى الميسرة بعض الأمراء ممن اعتقد فيهم الكفاءة...

وعلى كل بادرت ميمنة العثمانيين وميسرتهم بالهجوم فكانت النتيجة أن اختلت ميمنة الجيش وقتل قائدها زينل بيك فحاول السلطان حسن إعادة النظام إلى الجيش المغلوب بكل جهد فذهبت محاولاته عبثاً ولم يفد التشجيع فانحلوا ولم يعد أمر إدارتهم ميسوراً...

هذه الحرب كانت من الحروب العظيمة المعدودة بل هي من أكبر الحروب التي جابهها السلطان حسن ودارت فيها الدائرة عليه فقد قتل فيها ابنه وأسر من جيشه نحو أربعين ألفاً... فكانت مصيبتها كبيرة ونكبتها وبيلة جداً... فلم يستطع الدخول في الحرب مع العثمانيين مرة أخرى وحاذر أن يناله ما يؤدي إلى ضياع جميع ما بيده فاتخذ التدابير اللازمة للرجعة المنتظمة...

---

(١) في تاريخ تركية أن الحرب كانت في تلال (أو تلق بلي) قرب أرزنجان ص١٨.

والحق أن هذه الواقعة سببت توقيف نموه عند حده وكاد يطمع فيه أعداؤه فيستعيدوا مكانتهم... فكانت قاصمة الظهر فلم ينالوا نجاحاً مهماً بعد أن أذعنت لهم أمم كثيرة وأرهبوا مصر وكذا أرعبوا العثمانيين وخافوا أن يصيبهم ما أصابهم أيام تيمورلنك فاتخذ السلطان العثماني وسائل لتقوية نشاط الجيش فأكرمه ووعده بإنعامات أخرى... ونذر أن يعتق عبيده وإماءه...

وعلى كل حال كان هذا الانتصار العثماني فاتحة عهد جديد ونمو عظيم... وإن كانوا لم يعقبوا الأثر ولم يقضوا على عدوهم ولكن الانتصار كان كبيراً جداً...

حروبه مع الكرج:

إن انتصار الترك العثمانيين في الواقعة السالفة مما اطمع أعداء الطويل وهم الكرج من استعادة مكانتهم فعصوا عليه إلا أنه كان قد احتفظ بمقدار كبير من جيشه ورجع رجعته المنتظمة... فلما رأى هؤلاء قد قاموا في وجهه ساق عليهم جيوشه ونكل بالثائرين منهم والناهضين عليه فقتل فيهم تقتيلاً مراً وأعاد النظام إلى نصابه كما كان ثم رجع إلى عاصمته... كذا في مشاهير إسلام[1].

وقال في منتخب التواريخ: «إن السلطان حسن ذهب إلى بلاد الكرج في أوائل سنة ٨٨١ هـ وأخذ معه السادات والمشائخ وأرباب الأقلام فافتتح بلاداً كثيرة من كرجستان وغنم غنائم وافرة فأنعم على المذكورين من هذه الغنائم بإنعامات كبيرة... جرت هذه الواقعة بعد حروبه مع العثمانيين. وكذا في لب التواريخ. وأيد تاريخ الوقعة ما جاء في (تاريخ عالم آراي أميني) من أنه غزا الكرج في هذه السنة وهي سنة

---

(١) ص٢٢٠.

٨٨١هـ. وهو الصحيح فإن هذا التاريخ من الوثائق المعاصرة لنفس هذه الحكومة.

أعماله بعد عودته:

إن السلطان حسن بيك لم يضع تدبيراً فإنه مضى في سبيل إدارة المملكة وضبط أمورها وبنى القلاع الواجب بناؤها. وأنشأ استحكامات مهمة وزاد في قوة الجيش إلى غير ذلك مما تقضي به الحيطة وتوقع الحوادث وتدارك نقاط الضعف... وكان في أمل أخذ الثأر والانتقام من العثمانيين بالهجوم عليهم مرة أخرى... فحال دون ذلك مرضه ثم وفاته... فلم يطل أمد حياته...

حوادث سنة ٨٧٩ هـ ـ ١٤٧٤ م
وما يليها إلى غاية سنة ٨٨١ ـ ١٤٧٦ م

مرض حسن بيك:

أصاب السلطان مرض. وكان عصى عليه ولده أوغرلو محمد في واقعة الروم، فلما سمع بمرض والده توجه من الروم إلى بلاد أبيه، وجاء إلى أنحاء بغداد طمعاً فيها، وترقباً لما يحتمل وقوعه، فلم يوافقه خليل بيك، فمضى إلى حدود عراق العجم. وفي هذه المدة شفي والده حسن بيك مما أصابه، فأرسل إلى ولده بياندر وأمره بقتله، فقتله في سنة ٨٨٠ هـ[1].

جراد وغلاء:

في هذه السنة هجم الجراد النجدي على الموصل، وأكل الزرع

---

(١) الغياثي ص٣٦٦.

وحصل الغلاء ثم رحل الجراد إلى شهرزور، وعاث في غلاتها فحدثت منه أضرار أيضاً[1].

ولاية بغداد ـ وقائع أخرى:

ثم إن دانا خليل بيك خاف من حسن بيك من جهة ما اغتابوه في أنه كان السبب لمجيء أوغورلو محمد إلى بغداد ولذلك أرسل السلطان شاه علي بيك حاكماً مكانه وأعطاه الحلة فدخل شاه علي بغداد يوم الجمعة ٦ رمضان بعد الصلاة سنة ٨٧٩ هـ ومضى خليل بيك إلى الحلة. وكان ذلك قبل قتلة أغورلو محمد...

وفي غرة جمادى الأولى سنة[2] ٨٨٠ هـ أرسل حسن بيك جماعة لإلقاء القبض على خليل بيك فانهزم من الحلة إلى المولى محسن المشعشع وتفرقت عساكره عنه وتبعه القليل.

وفي ٧ جمادى الأولى سنة ٨٨٠ هـ أقام القائم (كذا) متطلعاً الأخبار. وفي ٢ جمادى الثانية أرسل المشعشع إليه سفناً وحملوه إليه وسيروا دوابه من طريق البر.

وأرسل حسن بيك إلى الحلة حمزة حاكماً عوضاً عن خليل بيك. ومكث خليل عند المشعشع سنة وثمانية أشهر حتى رضي عنه حسن بيك بشفاعة والدته فإنها خالته كما تقدم. فأرسل في طلبه فتوجه إليه من عند المشعشع بتاريخ ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ. وقتل السلطان وزيره شاه علاء الدين لسوء ظن حدث.

---

(١) الآثار الجلية في الحوادث الأرضية.

(٢) جاء في الغياثي سنة ٨٨٩ وهو ظاهر الغلط ومجرى الحوادث يستدعي أن يكون ما ذكرنا.

حوادث سنة ٨٨٢ هـ ـ ١٤٧٧ م

ولاية بغداد ـ تبدلات:

إن شاه علي كان قد مكث في بغداد ثلاث سنوات إلا شهرين فعزل ونصب إبراهيم الوزير في أوائل رجب سنة ٨٨٢ هـ. ثم أرسل عوضه الأمير شيخ حسن حاكماً ببغداد فدخلها يوم الاثنين ١٧ شعبان سنة ٨٨٢ هـ[1].

وفاة حسن الطويل

وفاة السلطان حسن:

في ٢٧ رمضان سنة ٨٨٢ هـ توفي السلطان حسن الطويل كذا في الغياثي، وجاء في منتخب التواريخ أنه توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة، وفي الشذرات والضوء اللامع أنه توفي في جمادى الآخرة أو رجب، ودفن في المدرسة النصرية التي انشأها في بستانه بجوار تبريز، فكانت مدة حكمه على ما جاء في منتخب التواريخ ١١ سنة، وفي الغياثي أنه حكم بعد جهان شاه عشر سنوات.. والعملية حسابية صرفة خصوصاً بعد تعين زمن سلطنته...

ملحوظة:

رأيت في متحفة الأوقاف الإسلامية باستانبول فرماناً يعود لزاوية ماردين وهي زاوية الشيخ كمال الدين أصدره هذا السلطان، وإمضاؤه الواثق بالله الرحمن حسن بن علي بن عثمان، كتب باللغة الفارسية، مؤرخاً في ٧ المحرم سنة ٨٧٢ هـ وخطه قريب من الديواني، ولم أتمكن من قراءته لقدمه وتشوش خطه.

---

(١) الغياثي ص٣٦٧.

ترجمة السلطان حسن الطويل:

كاد يبلغ هذا السلطان ما بلغه أكابر الفاتحين في اكتساح الممالك. وله مزايا يفوق بها غيره وهي رأفته بالأهلين، وعفوه عند المقدرة واعتداله فيما يحرص الآخرون في الانتقام من أجله. وأعماله المعقولة مراعاة الحكمة من جهة والسطوة من أخرى...

نعته مؤرخون كثيرون بخير الأوصاف ونسبوا إليه أحسن الأفعال قال في حبيب السير هو أبو النصر حسن بيك توفي سنة ٨٨٢ هـ وكان من وزرائه شمس الدين محمد بن سيدي أحمد وبرهان الدين عبد الحميد الكرماني ومجد الدين إسماعيل الشيرازي. فقاموا بتقرير العدل ـ كما رغب السلطان ـ خير قيام. وكان في أيامه من أهل التأليف المولى أبو بكر الطهراني كتب تاريخاً في وقائع أيامه وفي أحواله إلا أنه لم يعثر عليه[1].

وفي منتخب التواريخ:

كان ملكاً عالماً وقاهراً صاحب شوكة. محباً لرعاياه وعدله ورأفته قد بلغا النهاية. وأما هيبته وسياسته فإنهما ما لا كلام فيهما ولا يزال (قانونه) مرعياً لحد الآن في استيفاء المال والحقوق وكان يتوصل في مهماته وأحكامه إلى نهج العدل والحق. وإن الشرع قد نال في أيامه رواجاً عظيماً. واكتسب عظماء الإسلام المكانة اللائقة والتوقير التام. وكان يجالس العلماء والفضلاء ويتباحثون بمحضره في التفسير والحديث والفقه. ولم يقصر في توفير السادة والمشائخ وما يترتب من تكريمهم ويعطي الجوائز والمنح. وقد عمل المساجد والمدارس والرباطات...

وفي أوائل دولته انتصر في حادثين مهمين على ملكين شهيرين

---

(١) راجع هذا الكتاب في وصف ديار بكرية.

أحدهما جهان شاه... والآخر السلطان أبو سعيد... وكان لحسن بيك سبعة أولاد منهم أوغورلو محمد توفي في أوائل سنة ٨٨٢ هـ والسلطان خليل. ويعقوب. ومسيح. ويوسف. ومقصود بيك. وهذا قتل بفرمان من السلطان خليل آخر وفاة أبيه. وزينل كان قد قتل في حرب الروم[١] ا هـ.

وجاء في نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي أن حسن بيك... يعرف بالطويل، سلطان العراقين وآذربيجان وديار بكر وما والى ذلك. وقال: أنشدني شاعر العصر شهاب الدين المنصوري لما وجه السلطان الملك الأشرف.. عساكره إليه لقتاله حين خرج وبغى:

هذا الذي ظن الخروج فضيلة
هل تعرفونه باسمه وصفاته
قالوا اسمه حسن فقلت هلاكه
قالوا الطويل فقلت ليل شتاته[٢]

مما يشير إلى أيام الخلاف بين مصر وبين السلطان حسن المذكور وقد طويت غالب أخباره عنا وغابت صفحات كثيرة منها ويهمنا أن نبين أن السلطان حسن قد راعى المجاورين كثيراً خصوصاً المصريين فإنه في سنة ٨٧٣ هـ أرسل قاصداً إلى مصر يحمل هدية للسلطان ومكاتبة تتضمن تملكه العراقين ومعه مفاتيح لعدة حصون وقلاع مبيناً أن كل ما ملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان وأنه النائب عنه فيها. وهكذا فعل مع العثمانيين. وفي سنة ٨٧٩ هـ أرسل قاصده إلى سلطان مصر ومعه مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان وأن ذلك لم يكن باختياره فأظهر السلطان العفو[٣]...

---

(١) منتخب التواريخ ص١٨٧ وحبيب السير.

(٢) كذا راجع صحيفة ١٠٤ وفيها غلط في تاريخ الوفاة وأسماء الأجداد.

(٣) بدائع الزهور وج٢ ص ١٥٠ ج٣ ص٢٥.

ومن هذه يظهر أنه مسالم بالرغم مما رأى من النواب التابعين لمصر وأنه يرغب في تقرير الإدارة وتثبيتها... ولكن المصريين حملوا فعله على التملق.. وهكذا كانت آمال العثمانيين طامحة كثيراً فلا ترضى بالتوقف...

وفي مشاهير الإسلام:

«أنه كان شديد الحرص على بث العلوم والفنون فدعا إليه علماء العراق وإيران وأدباءهما فجعل تبريز مركزاً للكمالات والآداب المختلفة والمنوعة... وفتح المدارس العديدة لتحصيل العلوم وضروب المعرفة وجعل الوظائف للمدرسين وقرر لهم المرتبات.. (إلى أن قال) وكان عاقلاً، عادلاً، شجاعاً، تقياً، محباً للعلماء، صاحب خيرات وكثير الحسنات. وقد بلغ من العمر ٥٤ سنة فتوفي عام ٨٨٢ هـ...) اهـ.

وجاء في تاريخ الغياثي:

«كان عادلاً، خيراً أراد أن يبطل التمغات من أصلها في جميع بلاده فلم يوافقه امراؤه فجعلها درهماً من كل عشرين درهماً على النصف وأقل مما يأخذه السلاطين قبله. وأبطل بيت اللطف (كذا) وتوابعه من الخمر والميسر في جميع بلاده، وأطلق خارج (كذا) المال الذي كانوا يأخذونه من جميع بلاده (الضرائب) وكتب (قانوننامه) في الشكاوى والتخاصم مما يقع بين الناس ويستدعي عقوبة فاعله بالتعزير والتجريم وغير ذلك وأرسلها إلى جميع بلاده ليعملوا بموجبها... ولم يغادر من أمور العدل شيئاً يقدر على فعله.. وكان يحب العلماء والأدباء ويعامل أهل البلاد المفتوحة بأنواع الرأفة والعدل» اهـ ص ٣٦٨.

وفي الضوء اللامع أنه انتزع مملكة بني أيوب بقتله زين العابدين الملقب بالصالح وأخويه بني علي بن محمود بن العادل سليمان وذلك في سنة ٨٦٦ هـ. ومات في جمادى الآخرة أو رجب سنة ٨٨٢هـ.

وفي تاريخ تركية لأحمد حامد ومصطفى محسن: «إن آخر ملوك طرابزون داود قومنن كان قد صاهر حسن الطويل فكان يحاول أن يحميه ولكن تشبثاته ذهبت سدى. ونقل في الهامش عن هامر الألماني أن الأميرة زوجة حسن الطويل هي كاترينة بنت جان أخي داود والمتولي قبله..» اهـ[1].

وقال في بدائع الزهور:

«كان ملكاً جليلاً عاقلاً سيوساً كثير الحيل والخداع اقتلع ملك العراق.. وقتل عمه الشيخ حسن، وانقرضت دولة بني أيوب على يده، ثم قوي على جهان شاه وحاربه حتى قتله وشتت أولاده، وملك تبريز والعراقين، وبلغ مبلغاً لم يصل إليه أحد من أجداده ولا من أقاربه وقد تحرش بابن عثمان ملك الروم.. فما قدر عليه ثم تحرش بسلطان مصر، وجرى له مع الأشرف قايتباي أمور يطول شرحها. وكان الأشرف يخشى سطوته، فلما مات عد ذلك من جملة سعده». ج٣ ص١٤٤.

والحاصل كان حسن بيك من أكابر ملوك الشرق الأدنى وأعاظم الفاتحين وبوفاته بلغت فتوحه مبلغاً عظيماً من السعة يحير العقول ويبهر الفحول.. ويدل على مقدرة وهمة كبيرة وإقدام وروية.. أذعن له من الأقطار ما يصلح كل منها للقيام بحكومة مستقلة، ولو طال به الأمد لتجاوز حد المعقول وفاق أكابر الفاتحين أمثال تيمور في سعة الممالك.. هذا في حين أنه لا يقاس بغيره من أصحاب العسف والجور فهو لم يعدل عن طريق الإنصاف، ولم يتجاوز المألوف مع أكبر أعدائه وخصومه لمجرد حقن الدماء، وافق أن يترك للسلطان أبي سعيد بلاداً كثيرة فعاند في قبول الصلح ولما قتل أسف عليه حتى أنه اشترك مع أمه

(١) تركية تاريخي ص٩.

في البكاء حينما رآها تبكي مما يعين رقة شعوره.. فهو ممن يرجح العفو على الانتقام.. وكان قد عصى عليه إخوته وقارعوه كثيراً فصفح عن زلاتهم وعاملهم بالعفو ما وجد سبيلاً، وكانت آماله أكبر إلا أن الضربة التي أصابته من العثمانيين كسرت غروره، وعرفته نقص تدابيره، وأن لا يجازف هذه المجازفة، أو يخاطر بأمثالها.

السلطان خليل

سلطنته:

ولي السلطنة بعد والده وهو الابن الأكبر المحبوب لأبيه. كان والياً بفارس وولي عهد فجلس على تخت آذربيجان وملك جميع ما ملكه أبوه من البلاد وأثر جلوسه على سرير السلطنة فوض إيالة ديار بكر لأخيه يعقوب بيك، وجعل بغداد لابن عمه مراد بن جهانكير.. إلا أنه لم يهنأ بالملك ولم يتم له الأمر سوى ثمانية أشهر ومن حين ولي أخذ العنف والشدة ديدناً له وقتل كثيراً من الأمراء وقتل أخاه مقصود بيك وخلقاً كثيراً من أقاربه[1] ومع ذلك اشتغل باللهو والملاهي، وكانت الفتن نائمة في أطراف البلاد فأيقظها، ولم يمكن أحداً أن يعرض عليه شيئاً من ذلك لسوء خلقه وشدة جبروته فاتفقوا على خلعه وتولية أخيه الصغير يعقوب بيك[2]...

وفي تاريخ عالم آراي أميني أن السلطان خليل هذا ولي الملك بعد أبيه، واستولى على آذربيجان والعراقين وفارس وكل ما كان بيد والده، وجعل ولي عهده الأمير ألوند، واتخذ من الأمراء حسين بيك قوجه حاجي وكان صاحب تدابير صائبة وقائداً محنكاً، وعاقلاً عادلاً لا نظير

---

(١) منتخب التواريخ والغياثي ص٣٦٨ وحبيب السير وكلشن خلفا.

(٢) القرماني ص٣٣٧.

له... وجعل كاتب الديوان التواجي، أبقاه كما كان، وسير ابنه الأمير ألوند إلى فارس، وصحبه غضنفر بيك وجماعة من آق قوينلو، ومن الأمراء الذين سيرهم معه عباس بيك البايندري ابن يوسف بيك، وبهرام بيك، وپيري بيك، وحمزة حاجي لو، والأمير حاجي بيك من أمراء قراقوينلو، ومهاد بيك الپادت وأمراء آخرون، وأودع بلاداً أخرى في قبضة بكر بيك موصلو فوصل الأمير ألوند ابنه إلى شيراز دار إمارته سنة ٨٨٣ هـ.

حوادث سنة ٨٨٣ هـ - ١٤٧٨ م

الحالة العامة:

لم تتبين الحالة بوضوح خلال السنة الماضية وذلك أن وفاة السلطان كانت في أول عيد الفطر فلم يبق من السنة إلا القليل. وقامت الفتن في الحقيقة في هذه السنة... وارتبكت الأوضاع السياسية، وظهرت الحوادث الحربية بجلاء.. ومن ثم اضطربت أمور الدولة، وتفرقت الرجال إلى أحزاب متعادية...

حكام بغداد: (التشكيلات الإدارية)

كان الأمير شيخ حسن قد ولي الحكم ببغداد ودخلها يوم الاثنين ١٧ شعبان سنة ٨٨٢ هـ وهذا مكث فيها ١٤٦ يوماً فعزل وخرج منها في هذه السنة يوم الجمعة ٨ المحرم سنة ٨٨٣ هـ وولي منصب بغداد عوضه كلابي فدخلها يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الأول سنة ٨٨٣ هـ[١]. وفي هذه الأيام كانت الحالة غامضة والتشكيلات الإدارية في وضع لا يمكن الإطلاع عليه إلا من الحوادث المارة فإن مقصود بيك كان أمير العراق

---

(١) الغياثي.

والحاكم المباشر للإدارة فعزله أبوه من بغداد... ولما آلت السلطنة إلى خليل بيك قتل مقصود بيك وأودعت إمارة العراق إلى مراد بيك بن جهانكير.. ولم نعلم عن الوضع غير ما ذكر من تبدلات. فالولاة كانوا بالوجه المبين وأما الأمراء فإنهم حكام عامون لا يتدخلون في الإدارة المباشرة.

المشعشع:

كان المولى محسن المشعشع قد سمع بوفاة السلطان حسن وحينئذ توجه إلى بغداد وفي أول الأمر جاء نائب الرماحية إلى الجحيش[١] وآل جوذر[٢] في طلب جماعة من الذين هربوا منه فنهبهم وقتلهم وسلب تلك الأنحاء حتى وصل إلى قناقيا[٣] من قرى الحلة ورجع أما حكومة بغداد فإنها مشغولة بنفسها ولا علم لها بما يجري أو لا تريد الالتفات إليه[٤].

مراد بيك - السلطان خليل:

إن مراد بيك بن جهانكير لم يرض بإمارة العراق فعصى على السلطان. وفي صفر هذه السنة نهض لمقارعة السلطان خليل وقتاله فجاء السلطانية فقاتل مع منصور بيك پرناك وكان هذا من أمراء السلطان خليل فتغلب مراد بيك عليه أما السلطان خليل فإنه تأهب لقتاله بنفسه فخرج من تبريز لمقابلته ففر مراد بيك من وجهه وذهب إلى قلعة فيروزكوه وكان

---

(١) الجحيش. قبيلة من قبائل زبيد في أنحاء الحلة ولا تزال تعرف بهذا الاسم ونخوتها (جاحش) وكذا يعد منها من يتنخى بهذه النخوة من القبائل الكثيرة العدد، ولها الكلمة النافذة هناك والتفصيل عنها في كتاب عشائر العراق.

(٢) الجوذر. قبيلة من قبائل الجبور ونخوتها عجم وهي في أطراف الحلة حتى الديوانية ويتكون منها ومن سائر الجبور هناك جموع كثيرة. راجع عشائر العراق.

(٣) وتلفظ اليوم جناجه بالجيم ولا تزال موجودة.

(٤) الغياثي ص٣٦٨.

حاكم هذه القلعة حسين كيا الچلاوي فأخذ مراد بيك ومن معه من الأمراء إلى القلعة. وفي يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول من هذه السنة قتلوا وأرسلت رؤوسهم إلى السلطان خليل في خرقان[1] وفي عالم آراي أميني أن مراد بيك جمع أخلاطاً من الناس من أكراد وغيرهم وأحشام وأتراك فتوجه إلى تبريز فلما سمع السلطان خيل بادر للقضاء عليه ففر، ثم ألقى القبض عليه، فهرب أيضاً، ثم قتل.. وفصل هذا الحادث.

يعقوب ـ قتلة السلطان:

جاءت الأخبار أن يعقوب بك ثار على أخيه السلطان خليل في ديار بكر وسار إلى آذربيجان. أما السلطان فقد تأهب لقتاله وهو في خرقان وتوجه نحو آذربيجان. وفي يوم الأربعاء ١٤ ربيع الآخر من هذه السنة وقعت المعركة عند نهر خوي وبعد جهد انتصر يعقوب وكاد ينكسر، وقتل السلطان خليل، وقطع جسده على فرسه فكانت سلطنته ستة أشهر ونصف[2].

ترجمة السلطان خليل:

مضى ما يبصر بوضعه وهو لم يتمكن من ضبط الأمور والظاهر قام الأمراء في وجهه لتطلبهم السيادة لا لأمور أشيعت عنه ففي هذه المدة لا يتبين سوء الإدارة ولعل الذي ولد النقمة عليه قتله أخاه مقصود بيك فقد جاء في منتخب التواريخ أنه قتل بفرمان من أخيه السلطان خليل بعد وفاة أبيه وكان حاكماً ببغداد إلى حين وفاة والده. كذا. ولعله يقصد أنه كان ولا يزال أميراً وإن غضب عليه والده والحكام الولاة غير الأمراء بمقتضى التشكيلات الإدارية.

---

(١) لب التواريخ ص٢٢٢.

(٢) منتخب التواريخ والقرماني وجامع الدول.

ومن مراجعة نصوص كثيرة علمنا أنه حدث نزاع بين الأخوين السلطان خليل ويعقوب واستحكم العداء بينهما فأدى إلى حرب طاحنة واشتبك القتال بين الفريقين في حدود (خوي) و(مرن) فأسفرت النتيجة عن انتصار يعقوب فقتل أخوه السلطان خليل بضربة من أحد أفراد الجيش.

وأصل النزاع أن السلطان خليل لم يسلك سلوكاً مرضياً فنفرت منه القلوب إلا أن ذلك لم يؤيد بوقائع مادية تحققه. فعصى مراد بيك في العراق وتحارب معه وحينئذ وبناء على تلك النفرة استدعي يعقوب بيك لأمر السلطنة فعزم على الذهاب إلى تبريز وجاء إلى حدود سلماس فقابله السلطان خليل فبدت الهزيمة في عساكر ديار بكر وفي ذلك الحين سقط السلطان من ظهر جواده في المعركة فوافاه جندي من جنود يعقوب بيك فقتله وقطع رأسه[1].

وعلى كل حال لم تعرف مجاري الحزبية بصورة واضحة لتبين الحالة بجلاء وإنما عرفت بعد ذلك وتعينت أوضاع الأمراء وسائر أحوالهم...

سلطنة يعقوب بيك

سلطنته:

هو أبو المظفر السلطان يعقوب جلس بعد قتلة أخيه على سرير الملك في جمادى الأولى لسنة ٨٨٣ هـ في دار السلطنة تبريز وأنعم بما كان قد أجرى عليه أبوه من الإنعامات وقرر المناصب التي فوض بها إلى رجاله.. وأودع مهام الأمور الشرعية والمشيخة إلى القاضي مسيح الدين

---

(١) كلشن خلفا ونخبة التواريخ وغيرهما...



واقعة چالديران

عيسى الساوي ابن الخواجة شكر الله الوزير، واستوزر الشيخ نجم الدين مسعود وهو ابن شقيقة القاضي مسيح الدين عيسى فلم ينحرف هذا قيد شعرة عما يحكم به القاضي. وفي زمنه ظهر الأمن والأمان وانتشر العدل[1].

المشعشع ـ هجومه على أنحاء بغداد:

في يوم الأربعاء ١٩ جمادى الثانية سنة ٨٨٣ هـ عاود المولى محسن الكرة وجاء إلى نواحي بغداد حتى دخل ديالى ومضى إلى الخالص فنهب وقتل وأسر. ثم ارتحل يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الثانية وكان مكثه ثمانية أيام.

وفي يوم الجمعة ٢٨ جمادى الثانية قتل الحاج ناصر القباني وأولاده وحصبوا غلامه شعبان بسبب أنه اتهم بقضية المشعشع قتلهم كلابي المذكور في هذا اليوم[2].

عزل كلابي حاكم بغداد:

في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة لسنة ٨٨٣ هـ عزل كلابي حاكم بغداد وخرج من بغداد ولعل لعزله علاقة بوقائع المشعشع المذكور[3].

تاريخ الغياثي:

إلى هنا وقف تاريخ الغياثي ووقفت به حوادث العراق وهي ناقصة، ضاعت أوراق من هذه النسخة لا يعرف مقدارها. ومن مراجعة كلامه عن الحوادث الأخرى مما لا يخص العراق نجد أن حوادثه تقف

---

(١) منتخب التواريخ ص١٨٧ والغياثي ص٣٦٨.

(٢) الغياثي ص٣٦٩.

(٣) الغياثي ص٣٦٩.

أيام السلطان حسين بايقرا المتوفى عام ٩١٠ هـ فمن المقطوع به أنه كان عائشاً في أيامه وقد انتهى من تأليف تاريخه ولم نستطع معرفة ما انتهى إليه. مما يتعلق بالعراق وللأسف لم نطلع على نسخة كاملة، والنسخة الموجودة ناقصة وأوراقها مبعثرة.. والموجود فائدته كبيرة وفيه جلاء للحوادث مما لم نعثر عليه في كتاب آخر.. إلا أنه يحتاج إلى تمحيص ومقارنة مع التواريخ الأخرى لنعرف درجة صحة مباحثه. والمؤلف من المعاصرين لهذا العهد وكان يذكر السلطان يعقوب بهادر خان ويدعو له بخلود الملك، ويعد قدومه مباركاً على العالم في الأمن وانتشار العدل والإحسان، وكان يترقب حوادث بغداد ويدون عنها. فهو من أجل الآثار المعاصرة للعلاقة ولم أعثر على ترجمة له إلا في المخطوطة المسماة بالأنوار، ولم يذكر فيها تاريخ وفاته ولا زاد عما عرفناه من كتابه. ومراجع تاريخه نظام التواريخ للبيضاوي، وظفرنامه لشرف الدين اليزدي وكتب ابن حجر، فقد نقل منها بعض المباحث حرفياً. وأهميته في الحوادث الخاصة بهذه الأيام وما قبلها.

وجاء في (تذكرة الشعراء) أن المولى غياث توني الأصل، يميل إلى التصوف، ويقضي غالب أوقاته في الكتاب يعلّم فيه، وله ابن هو قطبي، وله من الفضائل ما يفوق به والده توفيا في شهور سنة ٩٣٥ هـ وهل غياثي هذا هو صاحب التاريخ؟ لم نستطع أن نعين العلاقة، كان يلهج بذكر السلطان يعقوب بيك فلعل الوضع ساقه إلى هناك!!؟

حوادث سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

حوادث وثورات:

كان السلطان يعقوب من حين ولي الأمر قد أحسن السيرة، وأظهر العدل ولطف في المعاملة مع أمراء والده، وقررهم على أقطاعهم التي كانت لهم في زمن والده، فخرج عليه في أوائل دولته ابن أخيه ألوند

بيك ابن السلطان خليل في شيراز، والأمير كوسه حاجي من أعيان البايندرية في أصفهان، فسير يعقوب بيك جماعة من الجيش مع أعظم أمرائه بايندر بيك إلى دفع غائلة كوسه حاجي في العراق، فسار بايندر بيك وظفر بكوسه حاجي واعتقله، ثم سار إلى ألوند بيك وأدخله تحت الطاعة بحسن التدبير[١].

قتلة الأمير يشبك:

كان في سنة ٨٨٥ قد وقعت فتنة كبيرة بحماة قتل فيها نائبها ازدمر بن أزبك قريب السلطان (سلطان مصر)، فقد عصى الأمير سيف (أمير آل فضل) وخرج عن الطاعة، فحاربه النائب المذكور، فقتل في المعركة، وقتل معه جماعة أمراء حماة، فانزعج سلطان مصر لهذا الخبر، وفي ربيع الآخر لهذه السنة خرج الأمير يشبك من مصر عليه، ففرح الناس بخروجه، وتفاءلوا بأنه لا يعود إلى مصر أبداً، وكذا جرى. وصاروا يقولون خرج لسيف، فكان هذا شؤماً عليه.

ومن ثم وقعت كائنة أخرى قتل فيها الأمير يشبك الدوادار[٢] وانكسر العسكر قاطبة، وقتل الأكثر منهم، وسبب ذلك أن الأمير يشبك لما دخل إلى حلب كان صحبته نائب الشام ونواب آخرون، فلما استقر بحلب بلغه أن سيفاً أمير آل فضل الذي خرج بسببه قد فر وتوجه نحو الرها. فقوي عزم الأمير يشبك أن يعبر الفرات، ويتبعه في أي مكان كان. وتوجه نحو الرها. فحاصر المدينة أشد المحاصرة، فلما أشرف على أخذها أرسل بايندر وكان أميرها، وهو أحد نواب يعقوب بيك

---

(١) جامع الدول.

(٢) في منتخب التواريخ ورد (باش بك) والصواب ياش بك بالياء، فخفف وصار (يشبك) كما جاء في الكتب المصرية وشاع كذلك وفي لب التواريخ جاء بلفظ (بلش بك) وهذا غلط ناسخ ناشيء من اتصال الشين بالألف.

يتلطف بالأمير يشبك. فأبى هذا لما رأى من كثرة عساكره، فطمعت آماله في أخذها، وأن يزحف على ملك العراق كما حسنوا له ذلك، فزعق النفير وركب العسكر قاطبة، فبرز إليهم بايندر بمن معه من العساكر قاطبة... فأسر الأمير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه، فأتوا به إلى بايندر، وأسر معه نائب الشام قانصوه اليحياوي ونائب حلب ازدمر، ونائب حماة جانم الجداوي، وقتل ما لا يحصى من الأمراء والعساكر... ثم قتل الأمير يشبك في العشر الأخير من رمضان سنة ٨٨٥ هـ.

وإن يعقوب بيك شق عليه ما فعله بايندر من سرعة قتله للأمير يشبك، ولامه وأطلق من كان عنده من الأسرى... فلما سمع سلطان مصر بهذا الخبر سر به جداً، ثم جاء القاصد يعتذر عما وقع، فعفا السلطان[1].

وفي جامع الدول أقطع السلطان يعقوب بايندر بك إيالة أصفهان في مقابلة هذا الفتح..

حوادث سنة ٨٨٦ هـ - ١٤٨١ م

قتلة بايندر بيك:

كان الأمير بايندر بيك أتابك السلطان يعقوب وأمير أمرائه، وقد قام بالأعمال المذكورة مما أوجب سرور السلطان يعقوب، فأقطعه إيالة أصفهان في مقابلة هذا الفتح، ولعل السلطان أراد بذلك أن يكسر الفتنة بينه وبين مصر فنقله إلى الإيالة المذكورة[2]...

---

(١) بدائع الزهور لابن إياس ص١٥٩ - ١٨٣ وأعلام النبلاء في تاريخ حلب ج٣.

(٢) جامع الدول، وبدائع الزهور ج٣ ص١٥٩ وما يليها.

أما بايندر فإنه لم يرق له هذا الإنعام، وكان يأمل أكبر من ذلك، فلما علم بالخبر عصى على السلطان يعقوب، وفي حدود ساوة جرى الحرب معه، وهناك قتل في أواخر هذه السنة. سار إليه السلطان بنفسه لدفع غائلته فهرب منه إلى قم، فتبعه الأمير صوفي خليل، وظفر به بظاهر قم وقتله...

وبهذه الواقعة زالت عنه الغوائل تقريباً لمدة ليست بالقليلة خصوصاً أن السلطان محمد الفاتح العثماني قد توفي في هذه السنة أيضاً، ولكن الحوادث قد يطرقن من حيث لا يتوقع ظهورها فمضت مدة دون أن يكدر الصفو. ومضى الأمر مع العثمانيين بسلام وكانوا يتهادون رسائل المودة والوفاق[١].

حوادث سنة ٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م

قتلة سيف أمير آل فضل:

هو الأمير سيف بن علي من أمراء طيىء. قال ابن إياس في جمادى الأولى جاءت الأخبار بقتل سيف الذي خرج الأمير يشبك بسببه، قتله ابن عمه عساف في بعض بلاد العراق.

وكان سيف هذا حاربه نائب حماة أزدمر، فقتل هذا النائب في المعركة وجماعة من الأمراء، فجهز عليه سلطان مصر الأمير يشبك وهذا بدوره مال إلى الرها وحاصرها، فخرج عليه الأمير بايندر، فقتل. وقد مر ذلك.

أما الأمير سيف فكان قد خرج على عساف ابن عمه المتولي الإمرة، والتف عليه جماهير العرب إلى أن جهز له فداوي، فدخل عليه

---

(١) منتخب التواريخ وكنه الأخبار.

وطعنه بسكين فقتله. وآل الأمر إلى أن قتله ابن عمه عامر بن عجل أخذاً بثأر سليمان بن عساف ابن عم سيف لكونه كان قتله أيضاً. وذلك سنة ٨٨٧ هـ في آخر صفر أو أول الذي يليه[١]...

الكرج:

إن السلطان يعقوب إثر قتلة بايندر بك شتى بقم. وفي هذه السنة سار لتسخير الكرج، ففتح قلعة اخسخة (حصن خاتون) وإنما سمي البلد بهذا الاسم لأن خواتين كبار الكرج كن يودعن حليهن فيه عند هجوم المخالفين على تلك البلاد لكمال حصانته ومناعته. ولما فتح الحصون وغنم الأموال وسبى الذراري، وقتل القاتلين عاد إلى دار ملكه تبريز منصوراً مظفراً[٢].

حوادث سنة ٨٨٨ هـ - ١٤٨٣ م

عمارة هشت بهشت:

في هذه السنة أمر السلطان يعقوب ببناء العمارة المشهورة التي سماها (هشت بهشت) ومعناها (الروضات الثمان)، وكان دأبه أن يصيف بمصيف سهند، ويشتي بتبريز فكانت بدائع الصناعة قد تجلت في هذه العمارة... ومضت أوقات السلطان بالعيش والطرب وصحبة الشعراء والظرفاء وأصحاب النغم، وكان ميله إلى الشعر والشعراء عظيماً، فراج سوق الشعر في أيامه ووفد إليه الشعراء بقصائد بليغة، ونالوا منه صلات جليلة[٣]...

---

(١) بدائع الزهور ج٣ ص١٨٨ والضوء اللامع ج٣ ص٢٨٩.

(٢) (٣) جامع الدول.

حوادث سنة ٨٨٩ هـ - ١٤٨٤ م

أحوال العراق:

المدونات عن العراق في هذه الأيام قليلة، ولعل الحوادث الكبيرة أنست، وتوجهت السياسة إلى تبريز عاصمة السلطنة. ولم تتخذ بغداد عاصمة ليروج فيها سوق العلم والأدب... إلا أن العراق لم يكن في وقت جامداً وإن قلت العناية، ولم يناصر الملوك الثقافة ويساعدوا على تنميتها، فالنزعة تبعث، والتاريخ القومي من أكبر المشوقات.

والعراق لم ير ذلاً في أزمانه السابقة ما رآه في هذه الأيام أهملته الحكومة، ولم تنظر إلى غير الحروب، والتنعم بأموال الغنائم، والبذخ... وقد طمع المجاورون بهذا الإهمال، وقام المشعشع يغزو العراق، وليس في الاستطاعة صده، يسلب ما تيسر منه فكانت وقائعه من أعظم الرزايا، ففي زمن قوة حكومته ينال هذا العناء ويقاسي هذه المحنة... جاء في القرماني:

«في سنة ٨٨٩ هـ بعث يعقوب شاه عسكراً كثيراً إلى بلاد المشعشع فكسروه كسراً شنيعاً، وكان المشعشع يعد نفسه علوياً، ثم تغالى حتى قال انتقلت روح علي بن أبي طالب عليه السلام إليه، واستفحل أمره، واستولى على بلاد ابن علان»[1].

وفي جهان نما لكاتب چلبي:

«تمكن السيد محمد من جمع الناس إليه، فكان أتباعه يضربون بطونهم بالسيوف إلى أن تلتوي... واشتهر أمره في خوزستان، فاستولى عليها، وخلفه ابنه علي فصار حاكماً، وأغار على العراق العربي، فزعم أن روح علي بن أبي طالب عليه السلام قد حل فيه وبقي أتباعه على هذا

---

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص٣٣٨.

الاعتقاد، فخلفه أخوه محسن، وفي زمنه راجت فكرة الاعتقاد بألوهيته من جانب أتباعه، ورفعوا الأركان الإسلامية، وسلكوا طريق الزندقة...» اهـ[1].

وهؤلاء لا يستدعي أمرهم هذا الاهتمام، ولكن التهاون أطمعهم، فترتب من الأخطار ما لا يوصف، وصارت حوادثهم تترى... وفي هذه لم تكن الحرب حاسمة، فلا تزال بقية منهم باقية، ولها مناعتها في ديار الحويزة وما والاها ودام إزعاجها للعراق.

هذا وكانت الحكومة الأصلية في نعيم وراحة...

وفيات

الجمالي ابن نصر الله:

في هذه السنة في المحرم توفي الجمالي يوسف الحنبلي بن الشهابي أحمد بن نصر الله البغدادي قاضي قضاة الحنابلة، وولي تدريس الحنابلة بالمدرسة البرقوقية[2] وقد ذكر أبوه وجده وعمه وللعلاقة أشرنا هنا إلى ترجمته.

حوادث سنة ٨٩٠ هـ ـ ١٤٨٥ م

غزو الكرج:

في هذه السنة غزا السلطان الكرج ودامت الحرب إلى السنة التالية، وقد فصلها صاحب (عالم آراي أميني).

---

(١) جهان نما ص٢٨٨ وما يليها.

(٢) بدائع الزهور ج٣ ص٢٠٠.

حوادث سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م

العودة:

في المحرم من هذه السنة عاد السلطان من غزو الكرج ونزل تبريز ومضت هذه السنة بهدوء وراحة...

حوادث سنة ٨٩٢ هـ - ١٤٨٧ م

مخابرات سياسية وهدايا:

لم يكن للسلطان أمل توسع في المملكة العثمانية، ولا في مملكة مصر ولا في مملكة الجغتاي ولذا كانت السياسة تجري بين هؤلاء على الود والصفاء. ففي هذه السنة كتب السلطان كتاباً إلى ملك مصر قايتباي أرسله مع أخي فرج بيك، وقدم له قرآناً بخط ياقوت. والكتاب عربي العبارة مطول إلا أن ألفاظه معقدة وأجابه ملك مصر بكتاب صحبة رسوله وهو المؤرخ في ١٠ رمضان هذه السنة. وجرت المخابرات السياسية مع السلطان حسين بايقرا ملك الجغتاي مما لا مجال لتفصيله هنا. وفي (عالم آراي أميني) توضيح ذلك، وبيان مجيء قاصد الروم (العثمانيين) في السنة التالية.

حوادث سنة ٨٩٣هـ - ١٤٨٨م

الشيخ حيدر الصفوي - شيروان:

في هذه السنة جمع الشيخ حيدر الصفوي جيشاً على شيروان يقصد افتتاحها وأشاع أنه سائر إلى الجهاد لحرب الكرج في الدربند وكان سلطان شيروان آنئذ فرخ يسار ابن الأمير خليل الله وهذا رأى أنهم قد يمدون أيديهم إلى رعاياه أثناء عبورهم من مملكته ومرورهم منها فاستمد هذا بالسلطان يعقوب وهذا عرف نوايا الشيخ حيدر ورأى لزوم القضاء

عليه وكان أعرف به.. فجهز نحو أربعة آلاف فارس في قيادة سليمان بيك التركماني لمعاونة السلطان فرخ يسر. وفي حدود طبرستان وقع الحرب بين الطرفين فقتل الشيخ حيدر وألقى السلطان القبض على أولاده فسجنهم في اصطخر من فارس. فقضى على نهضتهم ويرى كثيرون أنه كان الأولى به أن يقتلهم ولا يبقي أحداً منهم ولكن المقدر كائن وسوف تظهر للوجود دولة يصفو لها العيش ويدوم لها الحكم[1].. قالوا رأفته ورحمته دعته أن لا يقسو وإلا فقد رآه جمع جموعاً كثيرة بغرض الخروج عليه فأوجس خيفة منه فقتل في طبراق من أعمال شيروان. وكان قد سمع أن المتصوفة قد اجتمعوا في أردبيل حول علي شاه ابنه الأكبر فاختاروه مكانه فعلم السلطان يعقوب ومن ثمَّ أرسل أحد أمرائه لإلقاء القبض عليه وعلى كل من أخويه الصغيرين إبراهيم وإسماعيل ووالدتهم حليمة بيكم وبعدهم إلى شيراز وأوصى حاكم تلك الديار (منصور بيك پرناك) بحبسهم ففعل وسجنوا في اصطخر[2].

وجاء في القرماني:

«وفي سنة ٨٩٣ هـ ظهر الشيخ حيدر وهجم على شروان شاه صاحب شماخي فتغلب عليه واستنجد صاحب شماخي بالسلطان يعقوب وكان بينهما علاقة مصاهرة فاستنجده على الشيخ حيدر بعسكر كثيف فأوقعوا بحيدر المذكور فقتلوه وأعادوا شروان شاه إلى مقر ملك شماخي» ا هـ.

وجاء في جامع الدول:

«استمد منه ـ من السلطان يعقوب ـ فرخ يسار صاحب شروان على

---

(١) منتخب التواريخ وحبيب السير ص٣٣٢.

(٢) منتخب التواريخ وحبيب السير.

الشيخ حيدر الصفوي فأمده بجمع من الجيش مع سليمان بيزن (بزاء فارسية)[1]، فانتصر فرخ يسار بمدده على الشيخ حيدر وقتله بعد قتال شديد في موضع (طبرسران) وكان الشيخ حيدر ابن عمة يعقوب لأن حسن بيك كان قد زوج الشيخ جنيد الصفوي والد الشيخ حيدر بأخته، فولدت له الشيخ حيدر. ومع ذلك إنما أمد يعقوب بيك فرخ يسار عليه لتوهمه منه بسبب كثرة أتباعه. ولما قتل الشيخ حيدر قبض يعقوب على أولاده وحبسهم...» ا هـ.

وفي تاريخ عالم آراي أميني قد بسط القول في وقائع الصفوية، وذكر مجمل مشايخهم إلا أنه تحامل على الشيخ حيدر وبين عصيانه بعد أن أثنى على أسلافه وأورد في مقام التنديد آية **﴿وجعلنا في ذريتهما الكتاب والنبوة فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾** للإشارة إلى ذم هؤلاء الصفوية...

وقائع خوزستان:

كان الأمير محسن المشعشع مستولياً على خوزستان. ولما جاء الأمير زاده إبراهيم بيك إلى شيراز قدم له الطاعة ولكن الأمير محسن أراد أن يستوي على قاعدة خوزستان وهي مدينة (تستر)، فأرسل ولده السيد حسن للاستيلاء عليها ولكن ازدياد سطوة هؤلاء وشيوع بدعتهم... مما لا يرضاه أحد وأن الأمير جابراً أمير العرب هناك وكذا الأمير نصر قد طلبوا المساعدة... وأن أخا الأمير محسن وهو الأمير حسام الدين إبراهيم بن محمد بن فلاح كان قد رفض هذه النحلة والتجأ إلى تبريز إلى السلطان، وأظهر براءته من عقيدة آبائه الكفرة والحق أن هذا السيد كان صاحب فضائل...

---

(١) ورد في لب التواريخ بلفظ بيجن، وكذا طبرسران جاءت بلفظ تبرسران ص٢٢٣.

ثم إن الأمير محسناً أرسل ابنه سفيراً إلى السلطان فنال كل رعاية وأبدى أنه لا أمل لأبيه في الفتح، وذكر أن غرضه أن يجمع العساكر لفتح الجزائر والبصرة إلى حدود الحلة والرماحية... وأن يعرض الأمر للسلطان وينتظر أمره[1]... والظاهر أنها كانت بيد أمراء العرب (المنتفق) عادت إليهم وإلا فلا معنى لفتحها...

وفيات

١ ـ أحمد بن إسماعيل الشهرزوري:

أصله من قرية في كوران. ولد سنة ٨١٣ هـ. حفظ القرآن وتلاه للسبع على الزين عبد الرحمن بن عمر القزويني البغدادي الجلال. وحل عليه الشاطبية وتفقه به، وأخذ عنه النحو والمعاني والبيان والعروض وكذا اشتغل على غيره في العلوم وتميز في الأصلين والمنطق وغيرها ومهر في النحو والمعاني والبيان وغيرها من العقليات وشارك في الفقه، ثم تحول إلى حصن كيفا فأخذ عن الجلال الحلواني وقدم دمشق في حدود الثلاثين فلازم العلاء البخاري وانتفع به وكان يرجح الجلال عليه، وكذا قدم مع الجلال بيت المقدس، ثم القاهرة في حدود سنة ٨٣٥ هـ فأثنى عليه المقريزي ثم خرج من مصر منفياً لما وقع بينه وبين حميد الدين النعماني، ومضى إلى مملكة الروم وما زال يتوصل هناك إلى أن صار في قضاء العسكر... توفي في أواخر رجب سنة ٨٩٣ هـ[2].

٢ ـ الشيخ عبد الله البصري:

هو ابن عبد الواحد بن محمد بن زيد جمال الدين بن زكي الدين

---

(١) عالم آراي أميني. والتفصيل هناك.

(٢) الضوء اللامع ج١ ص٢٤١.

الشيرازي الأصل البصري الشافعي نزيل مكة ولد بالبصرة سنة ٨١٩ هـ، ونشأ بها فقرأ القرآن لعاصم على إبراهيم بن محمد بن أحمد بن زقزق وعلى ابنه محمد وعلى غيرهما وحج سنة ٨٤٨ هـ ثم عاد إلى بلاده في التي بعدها، فدام بها إلى أن امتحن مع الشعشاع (المشعشع) الخارجي في سنة ٨٦٣ هـ ففر منه إلى مكة... وكان إماماً فاضلاً مفنناً عاقلاً ساكناً تام المعرفة بالفرائض والحساب والعروض ذا نظم كثير... صنف (فتح الرحمن في مسألة دور الضمان) توفي ليلة السبت ١٨ صفر سنة ٨٩٣ هـ ودفن بالمعلاة[١].

حوادث سنة ٨٩٤ هـ ـ ١٤٨٩ م

الاستيلاء على بلاد ديار بكر:

وفي هذه السنة تحيل يعقوب شاه بحيلة غريبة حتى استولى على ديار بكر ونزعها من يد الأكراد والتركمان وانتصر عليهم[٢].

حوادث سنة ٨٩٥ هـ ـ ١٤٩٠ م

وفيات

١ ـ سلجوق بيكم:

هذه أم السلطان يعقوب، توفيت في ٢٨ ذي الحجة هذه السنة في مشتى قراباغ وكان السلطان مريضاً، وكذا أخوه يوسف بيك، فكتم عنهما وفاة والدتهما[٣].. وفي كلشن خلفا أن هذه الأم من غير قصد

(١) الضوء اللامع ج٥ ص٣٠.

(٢) أخبار الدول وآثار الأول ص٣٣٨.

(٣) جامع الدول ج٢.

منها أعطت أولادها سماً وهي أيضاً تسممت فماتت هي مع أولادها...
وأن موتها على ما جاء في القرماني كان سبباً لاختلاف أهل البيت، وكان دأبها أن تجمع في كل أسبوع أهل بيت السلطنة بمكان اعتدته لهم، وتتكلم على لسان كل ما يناسب الحال التي فيها اتصال البعض إلى البعض، وإنها لما ماتت انقطع هذا التدبير وتفرقت الكلمة...

وفي كنه الأخبار أن الأم كانت قد أخذت الطريقة من الشيخ عمر الروشني، وبعد وفاتها بثمانية عشر يوماً دس القوم السم لكل من الميرزا يوسف والسلطان يعقوب[1] وعن أحسن التواريخ أرادت أن تسم مسيح ميرزا وسمت غلطاً السلطان يعقوب وأخاه ونفسها...

حوادث سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م

وفاة السلطان يعقوب:

في ١١ صفر توفي السلطان يعقوب في مشتى قراباغ عن ٢٨ عاماً ومدة سلطنته ١٢ سنة وعشرة أشهر وكان قد توفي أخوه يوسف بيك ليلة الجمعة ١٠ محرم، وكذا أمه سلجوق شاه خاتون كما مر. وجاء في كلشن خلفا أن أمه عن غير علم منها أعطته سماً وتناولته هي أيضاً فصادف هلاكهما معاً وتوفيا... وما بينه من أن مدة حكمه ثلاث سنوات فغير صحيح[2].

قال الشاعر المتخلّص ببنائي[3] في وفاته ووفاة أخيه يوسف:

---

(١) كنه الأخبار ج٣ ركن ٣ ص٣٠.

(٢) النخبة وحبيب السير وجامع الدول.

(٣) ورد في جامع الدول بلفظ بياني وليس بصواب فإنه معروف ببنائي من الشعراء في أيام هذا السلطان.

نه أزيوسف نشان ديدم نه أز يعقوب آثاري

عزيزا يوسف اركم شد چه شد يعقوب راباري[1]

ترجمة السلطان يعقوب:

هو أبو المظفر السلطان يعقوب بهادر خان ومن الغريب أن صاحب كلشن خلفا لم يذكر له حادثاً ولا بين علاقته بالعراق بوضوح... وسائر المؤرخين لم يستقصوا أحواله وكل واحد أماط عن صفحة فعرفنا من الكل ما يصور مجمل أيامه ألا أننا عثرنا على تاريخ (عالم آراي أميني) فأطنب في ذكر أخباره إلا أنه أكثر من المبالغات وإظهار القدرة في البيان فشوش الغرض... وإن كان جلا صفحة غامضة، وصار خير صلة تاريخية، وكان لولاها لا يؤمل أن نقف على حوادث هذه الأيام... وإن تعلقت بأصل الحكومة، وتفيد تاريخ إيران أكثر مما تفيد تاريخ العراق...

هذا مع العلم بأن معرفة الوقائع الكاملة عن هذه الحكومة غير متيسرة... وقد تكلمنا على وقائعه في العراق خاصة بقدر ما سمحت لنا المراجع وهي قليلة جداً وكل ما نقوله إن هذا السلطان لا يقل عن والده حسن الطويل من حب العلماء، وتقرير العدل، ورواج الشعر والأدب، مضى زمانه براحة وطمأنينة تقريباً ويعزى الفضل في ذلك إلى وزيره وقاضيه فإنهما كانا عضده في كافة أموره وسائر أحواله.. ولم يكدر صفو الراحة إلا بعض الوقائع وقد مضت بسلام ونجاح...

وفي أحسن التواريخ أنه بنى قصراً سماه (هشت بهشت) في تبريز، وقال: توفي في سنة ٨٩٦ هـ مسموماً وذلك أن أمه سلجوق شاه بيكم أرادت أن تسم مسيح ميرزا بن حسن الطويل، وبالغلط تناول السم...

---

(١) حبيب السير ص٣٣٢ جزء ٤ جلد ٣ وجامع الدول.

وكانت وفاته في ١١ صفر من السنة المذكورة وعمره ٢٨ سنة وسلطته ١٢ سنة وشهران. ثم إن صوفي خليل موصلي من أمرائهم جعل ابنه بايسنقر ملكاً...

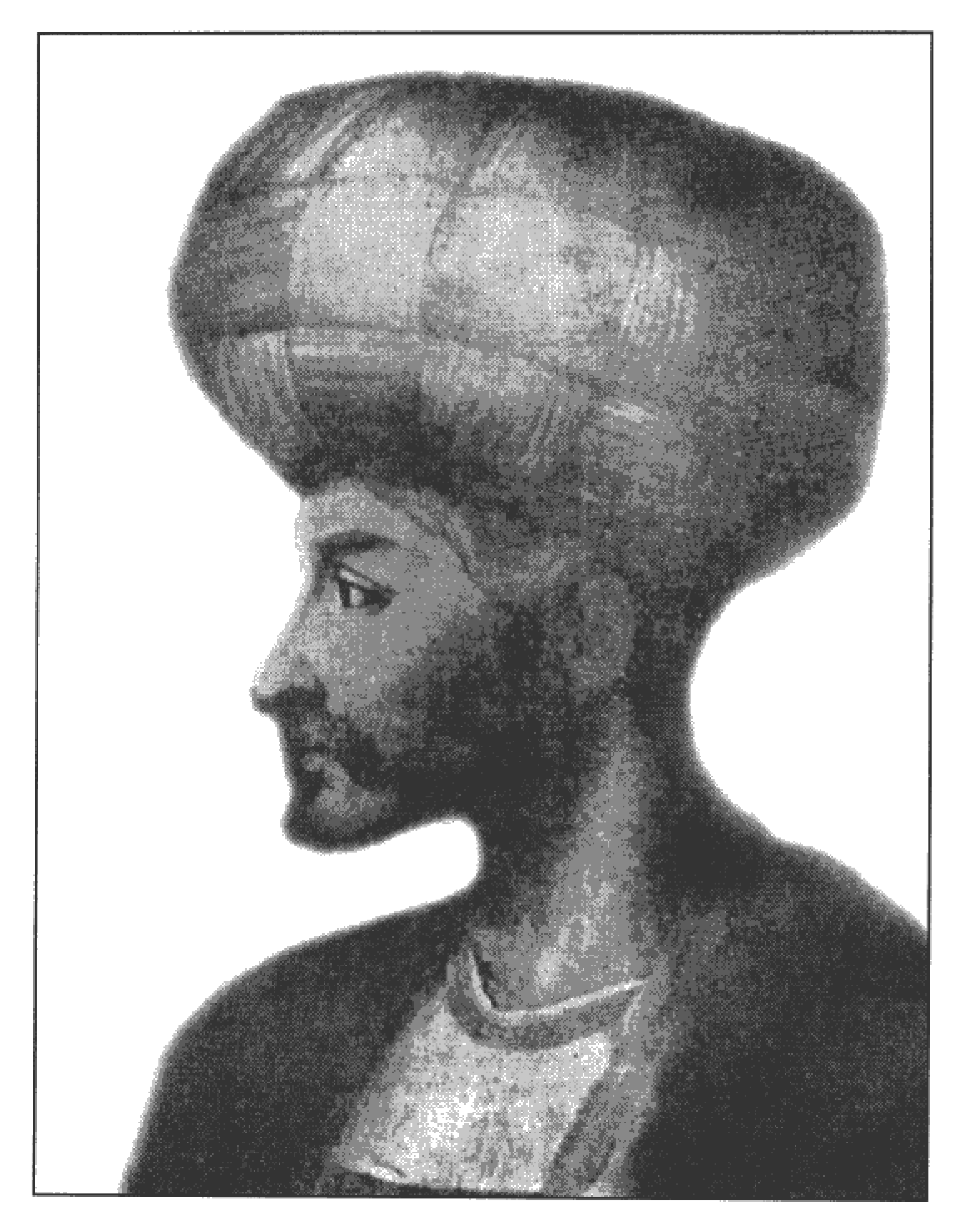
وفي الضوء اللامع:

«أبو المظفر صاحب الشرق وسلطان العراقين، وعم حسين ميرزا ابن محمد اغرلو المقيم في القاهرة، قتل أخاه أبا الفتح خليلاً. واستقر في السلطنة... اهـ»[1].

وفي حبيب السير:

«بعد قتلة سلطان خليل اتفق الأمراء والأعيان على سلطنة يعقوب، فعلا سعده، وعلت عظمته... تابعه كل من يوسف، ومسيح، وبايعوه على الطاعة... فجلس على تخت الملك، ومضى من ميدان الحرب إلى تبريز فاتخذها عاصمته... ومن ثم أراد استمالة الخلائق فمضى بهم على ما كان عليه والده من قواعد، ومال إلى الرأفة بالرعايا واللطف بهم، وسعى السعي الحثيث لتمكين الشريعة الغراء في نفوس القوم فأنعم على القضاة والسادة والعلماء بإنعامات وفيرة كما هو المقرر... وقد نصب القاضي مسيح الدين عيسى الساوي بن الخواجة شكر الله الوزير لمنصب الصدارة العليا والحكومة في الأمور الشرعية وكان هذا أستاذه ففوض إليه تمشية أمور الملك والمال مما يتعلق بواردات الدولة وبذلك وصل إلى قمة الجاه والإجلال ونال أوج الكمال والاعتبار... وأما الوزارة والنيابة في أمور السلطة فقد أودعها إلى الشيخ نجم الدين مسعود وهذا هو ابن أخت القاضي عيسى وفوض الشؤون المذكورة إليه، وجعل كافة الأمراء والوزراء، وأركان الدولة طوع أمره،... لحد أنه أعلن أن

(١) الضوء اللامع ج١٠ ص٢٨٣.



الشاه إسماعيل

لا يطاع لأحد أمر ما لم يوقع منه... وصير قيادة الجيوش مودعة إلى سليمان بيك وكانت في عهدة خليل موصلي الصوفي...

وبذلك لمعت أنوار رأفته وانتشرت مراحمه على مقربيه وعلى سائر الناس...» اهـ[1].

ثم أطنب في أوصاف الوزير والقاضي، وأورد أن اقدام السلطان على الشيخ حيدر الصفوي مما دعا إلى تغير نياته وبالنتيجة إلى دمار ملكه وزوال سلطنته... وهكذا فعل صاحب منتخب التواريخ ولب التواريخ والقضية لا تخلو منممايلة... لأن هؤلاء من مؤرخي الدولة الصفوية وفي كنه الأخبار بين أنه يقدر الرجال ويعدل في الحكومة، وصاحب كرم، ووقار واحتشام يقرب الشعراء ويتعهدهم... وله طبع في النظم التركي والفارسي إلى أن قال، إن الشعراء يقرون بلطف طبعه ويميلون إلى تتبع ما قاله من الأشعار وله هذا المطلع اللطيف:

سوختم جندانكه برتن نيست ديكر جاي داغ

بعد ازين خواهم نهادن داغ وبالاي داغ[2]

يقصد احترقت فلم يبق من بدني ما لم يمسه الحرق ومع هذا أحاول أن أحرق ما احترق، وهكذا.

وله من الأولاد بايسنقر، وسلطان مراد وهذان من زوجته كوهر سلطان خانم بنت فرخ يسار الشيرواني، وحسن بيك وأمه بيكي جان خانم بنت سليمان بيك بيجن وتولى السلطنة بعده لده بايسنقر[3]...

ومن الشعراء في زمنه:

---

(١) ص٣٣١ الجزء الرابع من المجلد الثالث.

(٢) كنه الأخبار ركن ثالث جزء ثالث ص٣١ وجامع الدول.

(٣) منتخب التواريخ.

١ ـ أمير همايون: من سادات أسفرايين خراسان، شاعر لطيف القول، رقيق النظم. في أوائل شبابه جاء العراق وبسبب رقة طبعه صار من ندماء السلطان يعقوب ومن أهل مجلسه فنال مكانة رفيعة. وكان يدعوه السلطان (خسرو كوجك) أي خسرو الصغير وكان ممن استأسره العشق وذكر له صاحب تذكرة[١] الشعراء جملة من شعره.

٢ ـ المولى شهيدي: دعاه السلطان يعقوب (ملك الشعراء) والمعروف عنه أنه فخور بنفسه، معجب بها، ولا يعدل عن رأي ارتآه، ولم يتدخل في شؤون الشعراء غيره... شعره جميل، مرغوب فيه. وفي أواخر أيامه رحل من خراسان إلى العراق ومن هناك توجه إلى الهند فسكن إحدى مدن كجرات. توفي عام ٩٣٥ هـ وبلغ من العمر نحو مائة سنة وذكر له صاحب التذكرة جملة أبيات من مختاراته.

٣ ـ درويش دهكي: وهذا ممن نال مكانة لدى السلطان يعقوب وحصل على جاه ولازم مجلس السلطان. ويقال إن جامي استحسن بعض مقطوعاته...

٤ ـ مير مقبول: أصله من الترك، أقام في بلدة قم فاشتهر بالقمي. وفي أوائل أمره كان سباهياً لدى السلطان يعقوب وترقى هناك. وفي أيام شيخوخته ترك وانصرف إلى العزلة... ولم يعرف تاريخ وفاته.

٥ ـ حبيبي: من تركمان آذربيجان. دخل في خدمة السلطان يعقوب... وسماه الشاه إسماعيل ملك الشعراء وصار يؤم مجلسه... ولقبه كرز الدين بيك...

٦ ـ سوسي: من تجار آق قوينلو... وله أشعار[٢]...

٧ ـ القاضي مسيح الدين عيسى.

---

(١) هذه نسخة محفوظة عندي قصة الأول وغالباً في أيام السلطان يعقوب.

(٢) تذكرة الشعراء.

٨ ـ الشيخ نجم الدين مسعود الوزير.

٩ ـ المولى بنائي: كان والده معماراً فتلقب بذلك وكان مشهوراً في الخط والموسيقى وله بيان ملتهب شرراً وهو في الأصل مقيم في هراة ولأمر ما فر من أمير علي شيرنوائي وجاء إلى السلطان يعقوب فكتب له (بهرام وبهروز)، ثم عاد إلى هراة وبعدها مضى إلى محمد الشيباني أمير ما وراء النهر وهذا لقبه (بملك الشعراء) توفي سنة ٩١٨ شهيداً في وقعة أمير نجم. وكان البيت المذكور في وفاة السلطان وأخيه له...

وهناك شعراء كثيرون وإنما ذكرت هؤلاء لبيان درجة تعلق السلطان بالشعر وحبه له وانهماكه في احترام أهله... وفي أيامه علماء عديدون منهم الدواني.

اضطراب الأحوال:

إثر وفاة السلطان يعقوب حدث اضطراب كبير وقامت الفتنة على قدم وساق فتشعبت الحزبية بين رجال التركمان وأكابر أمرائهم وقد قتل في الفتنة القاضي مسيح الدين عيسى الساوي قتله خليل الصوفي لأنه كان قد انتزع الإمارة منه وبعده هلك الوزير نجم الدين مسعود فكان أكبر ضياع... ومن ثم التهبت نيران الثورة واندلعت إلى الأنحاء والأمراء لا يقفون عند حد وأحزابهم لا تنقطع وتنافسهم مستمر...

وفيات

١ ـ القاضي مسيح الدين عيسى الساوي: (ترجمته)

هو ابن الخواجة شكر الله الوزير، كان أستاذ السلطان يعقوب نصبه للصدارة العليا والحكومة الشرعية. وهذا القاضي كان صاحب كمالات

وافرة وفضائل جمة، والمعروف من حاله أنه متمسك بالدين، متحل بآدابه، وأعماله الجميلة قد نقشت على ألواح القلوب... يأمر السلطان، والأمراء، والعسكر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا تأخذه في الحق لومة لائم فلا يبالي بأحد... ولا يتأخر عن النصح ولزوم العمل بمقتضاه وقد سمع عن القاضي ضياء الدين نور الله كان قد ورد سفراء من مصر والروم لمواجهة السلطان يعقوب وهذا لبس الكسوة الذهبية وظهر بمظهر الأبهة والإجلال وجمع مجلسه وأبدى العظمة والحشمة الزائدة واعتلى العرش وكان هؤلاء السفراء واقفين أمامه كل في محله. وحينئذ دخل القاضي ورأى السلطان في ذلك اللباس فقدم إليه وقال:

«إن الكسوة الذهبية محرمة شرعاً على الرجال» وحينئذ أمر السلطان مرافقة (ملازمة) سراج الدين فأخذ هذه الكسوة التي كانت عليه فأبدلها فراعى السلطان جانب القاضي وأطاع أمره فلم يتأثر لما نهاه عنه ولا لما عمله من الاحتساب، ولا زال القاضي يأمر برفع الأمور المخالفة للشرع ويسعى للجهات الخيرية ويحض على الأعمال المبرورة وأن السلطان يرى وجوب مراعاة ما يأمر به أو ما ينهى عنه... وقد استشهد هذا القاضي إثر وفاة السلطان بسبب الفتنة الحاصلة كذا في حبيب السير وكان قد قتله خليل الصوفي. وله الشعر الكثير الذي ينطق بمقامه الأدبي وعلو كعبه... وقد أورد جملة صالحة منه صاحب اتشكده وقال عنه إنه كان أعلم العلماء في عهده، نال المكانة الرفيعة لدى حسن بيك وابنه يعقوب بيك كما إنه سبق لوالده خدمات في الديوان وهو شكر الله المستوفي، علم السلطان يعقوب وله ديوان في الغزل والعشق في ألف بيت[1]...

---

(١) آتشكده ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ طبع في الهند سنة ١٢٩٩ هـ ومؤلفه الحاج لطف علي بيك المعروف بـ آذر من أصفهان ولد في سنة ١١٢٣ هو كتابه تذكرة شعراء فارسي من نوع دمية القصر، وتذكرة دولتشاه. طوف في بلاد كثيرة منها العراق والشام، والحجاز.

ونرى إدريس بن حسام الدين البدليسي قد مدحه في مقدمة (مجمعة نظم) مدحاً زائداً وجمع فيها المقدار الوافر من شعره ورتبه مجموعاً من شعره وشعر الوزير الشيخ نجم الدين مسعود ونعت القاضي نفسه بعيسى في كافة القصائد التي قالها وأوردها البدليسي مما تمكن على جمعه والعثور عليه. . . وقال في المقدمة إنه لا يستطيع إبداء ما يستحقه الممدوحان (القاضي والوزير) في كافة أوصافهما فهذه ما لا يكاد يحصيها استقصاء ولو بذل جهوده ليلاً ونهاراً إلا أن الروابط المعنوية، والأخوة في الله وخصوصية السوابق في المؤانسات الروحانية. . . مما دعا أن يلهج بذكر جميلهما، ويبدي بعض فضائلهما مما أكسبه من روابط الاختلاط، والألفة ودوام المرافقة فقد كانا ركنين للإسلام ركينين، قوّما أساس الملك في مراعاة الدين وتقوية الشرع المبين فكانا متلازمين معاً وساهرين لإقامة نواميس الشرع، وإمضاء الأحكام السلطانية فلم يغفلا لحظة. . .

هـذا لـرفـع الـجـهـل عـقـل مـشـخـص
وذاك لـفـيـض الـفـضـل روح مـجـرد
وذاك لـقـانـون الـمـمـالـك حـافـظ
وهـذا لـكـانـون الـمـظـالـم مـخـمـد

وهذا ما جاء في نعت القاضي في مجمعة النظم قال:

«إن القاضي صفي الدين عيسى في حسن شمائله كأنه نازل من الملأ الأعلى في صورة جسم هيولاني تمثل في هيكل جسماني وكان له كمالات وأساليب في فنون العلوم، وفهوم العقل الكلي، ونراه قد أكمل النفوس الناقصة في إنسانه الكامل الهيئة، بليغ المقال، صادق اللهجة. . فكأنه علم في تربية أرباب الحق واليقين أو هو روحاني مهذب. . وحدث عن بيانه ونظمه نثراً وشعراً ولا حرج سواء في العلوم العربية وآدابها؛ أو لطائف وقائعه ومحاضراته بفصاحة ليس وراءها وهكذا قل

عن تبحره في القوانين الأدبية...

كـلـم كـأن الـشـهـد مـن ألـفـاظـهـا
جـارٍ وإن الـطـيـب مـنـهـا سـائـر

فـكـأن أنـفـاس الـمـسـيـح نـسـيـمـهـا
إذ مـن شـذاهـا كـل مـيـت نـاشـر

عـن كـل لـطـف فـيـه مـعـنـى كـاشـف
فـي كـل مـغـنـى مـنـه حـسـن بـاهـر

بـحـر ولـكـن الـطـفـاوة عـنـبـر
مـزن ولـكـن الـغـيـوث جـواهـر

عـقـد تـسـمـى نـظـم در دونـه
نـظـم الـثـريـا عـنـده مـتـنـاثـر

ولم يتأخر أيام قضائه من مراعاة الشرع في كافة الأنحاء الإيرانية فكان موفقاً في أعماله بمزيد التوفيق، أعلى منار الشرع أيام السلطان المؤيد إلى عنان السماء، وأعلن للعالم اسم ذلك السلطان فصارت تتجدد ذكراه بالخير والوصف الجميل ونال الشرع في أيامه نصابه ذلك ما أدى أن يقتدي به سائر الملوك والأمراء في الرجوع إلى أحكامه وصاروا يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه.

أسـدى إلـيـه أولـو الألـبـاب فـاخـرة
قـلائـد الـمـدح مـن عـجـم ومـن عـرب

فـيـمـمـوه وفـازوا مـن مـكـارمـه
بـكـل مـا قـد تـمـنـوه مـن الأدب

فاعتز به الشرع وارتفع الملك بما نفذه من العدل فصار الاثنان يفتخران.. وكان له مجمع مؤلف من أصحاب الدين والدولة ومحفل من أرباب الخلافة وهكذا مجالس الأعيان والأفاضل... مما زاد في رونق المملكة وعلو شأنها...» اهـ إلى آخر ما جاء.

ملحوظة:

في الضوء اللامع ج٥ ص٨٦ ذكرت ترجمة عبد الملك بن علي الساوجي خال القاضي عيسى وأنه نال مكانة كبيرة في أيام ابن أخته المذكور وبعد موت القاضي امتحن بالتعذيب حتى مات في أوائل سنة ٨٩٦ هـ.

بايسنقر

سلطنته:

هذا هو ابن يعقوب بيك تسلطن بسعي أتابكة الأمير صوفي خليل موصلي فإنه لما يئس من صحة يعقوب بيك قبض على علي بيك ابن السلطان خليل يوم الاثنين غرة صفر من هذه السنة وحبسه ولما توفي يعقوب بيك قتله، ثم قبض على كل من توهم منه الخلاف مثل القاضي عيسى صدر فقتله، وصفا له الأمر أياماً. وكانت البايندرية تحسده على استبداده بالأمر مع كونه من الموصليين[1] وبدأت الفتنة.

النزاع على السلطنة:

من مراجعة النصوص التاريخية العديدة نرى النزاع على السلطنة كان شديداً وهو في الحقيقة نزاع بين الأمراء أو تنازع على السلطة وبدأ من تاريخ القبض على علي بيك ابن السلطان خليل، وبعد وفاة السلطان يعقوب ركن كل أمير إلى أحد أفراد بيت السلطنة والأسرة المالكة ونهض بالمطالبة، فوقع بين هؤلاء الأمراء عدة حروب فصاروا جماعات كل جماعة منهم اختارت واحداً من أهل بيت الملك ومالت إليه[2] وقتل الكثير من هؤلاء الأمراء فبعد أن كانوا قوة كبيرة يرهبون أعداءهم

(١) جامع الدول.

(٢) القرماني وكلشن خلفا وحبيب السير.



الشاه طهماسب

ومجاوريهم عادوا بينهم تلتهمهم نيران الفتنة وتأكلهم فصاروا حطب جهنم الغوائل.. وذلك أنه لما توفي السلطان يعقوب اتفق الأمير صوفي خليل وأمراء موصللو وپرناك على إصعاد الأمير بايسنقر[1] بن يعقوب وكان صغيراً، ومال قسم من القوم إلى تولية علي بيك بن خليل بن حسن الطويل وكان أمير الديوان السلطاني فنهض في وجههم خليل الصوفي فقتله ومن معه في الليلة التي توفي فيها يعقوب بيك وصار يناضل عن بايسنقر[2]. وجماعة من القوم رأوا الكفاءة:

١ ـ في مسيح بيك أخي يعقوب بن حسن الطويل وأعني بهم أمراء البايندرية فاختاروه للسلطنة فاشتد الخلاف بين الفريقين فلم يروا بداً من الالتجاء إلى سل السيف والاحتكام إلى قضائه فكانت النتيجة ان قضي على الأمير مسيح وظهرت علامات الاستقلال لبايسنقر فأعلن سلطنته بأبهة وإجلال[3] وقتل في المعركة أكثر البايندرية.. وحينئذ سار الأمير بايسنقر إلى تبريز فجلس على سرير الحكم وهو لم يبلغ العشر سنوات من العمر فاستولى خليل الصوفي على إدارة الملك والمالية فعلا سعده. وصار صاحب الأمر والنهي وعزم أن يحقق ما كان أضمره لسائر الأمراء ممن كان في خدمة السلطان الراحل فبادر في القتل، وصار يلتمس الوسائل للوقيعة بهؤلاء الواحد بعد الآخر.. ومن هؤلاء القاضي عيسى[4] فقد أودى بحياته. أما الشيخ نجم الدين مسعود فقد تمكن من إنقاذ حياته خلال هذه الأحوال[5].

---

(١) ورد في القرماني باي سنقر وكذلك جاء عن جهانشاه ومنهم من يكتب هذه الألفاظ ككلمة واحدة ولكل وجهة.

(٢) لب التواريخ.

(٣) كلشن خلفا وحبيب السير.

(٤) مضت ترجمته.

(٥) حبيب السير.

٢ ـ أما محمود بيك بن أوغورلو محمد ابن الأمير حسن الطويل فقد انهزم يوم قتلة عمه مسيح بيك من المعركة وذهب إلى شاه علي پرناك وكان آنئذ حاكم العراق فالتحق به وادعى الاستقلال هناك فبايعه شاه علي ومن تحت إمرته فاستولى على أكثر بلاد العراقين وجمع ما لديه وسار إلى دركزين. فلما وصل خبره إلى تبريز قام في وجهه بايسنقر بتدبير من خليل الصوفي فتوجه إليه بجموعه فالتقى الفريقان في رباط أتابك من حدود دركزين فكانت الغلبة للسلطان بايسنقر بعد قتال شديد وحاول محمود بيك الهرب فتمكن السيد نعمة الله الهمداني من القبض عليه في طاحونة هناك وسير مهاناً إلى الأمير بايسنقر فقضى عليه.. وفي هذه الحرب قتل شاه علي پرناك أيضاً[١].

٣ ـ وفي هذا الحين ظن خليل الصوفي أن قد خلا له الجو فزاد تجبره وعتوه وتجاوز حد المعقول وعبث بالأمراء وأقصى الأيدي التي كانت تدبر الملك وترى شؤونه.. ذلك ما دعا سليمان بيك بيجن التركماني والي ديار بكر آنئذ أن ينهض للقراع ويجرب طالعه لما رآه من التقتيل بأمراء آذربيجان واتفق مع سائر أمراء ديار بكر فجمع جيشاً سار به نحو تبريز فعلم الصوفي بذلك وسار لمقاومة الثائر فاجتمع الفريقان في حدود وان.

ومن الغريب أن القوم حينما تقاربوا من بعضهم وكانوا على أبواب الحرب مال دفعة واحدة كل من كان يضمر الخلاف للصوفي من أمراء آذربيجان (أمراء البايندرية) وألقوا القبض على بايسنقر ميرزا وجاؤوا به طوعاً أو كرهاً إلى سليمان بيك بيجن فاحتفظ به واشتبك جيش سليمان بيك في القتال مع خليل الصوفي فانكسر جيش الصوفي وقتل هو أيضاً مع جمع من الموصلية. وفي جامع الدول غدروا به عند اشتباك القتال

---

(١) حبيب السير ومنتخب التواريخ وجامع الدول.

ومضى سليمان بيك مع بايسنقر إلى دار السلطنة، ولم يتعرض للسلطان بايسنقر بل ناصره وصار هو ولي الأمر، وأتابك السلطان. وقبض على المهام المتعلقة بالإدارة وسائر أمور المملكة... وذلك في أواخر سنة ٨٩٦هـ[١].

عالم آراي أميني:

في أيام السلطان بايسنقر قدم إليه هذا التاريخ، وكان قد كتب في أيام والده. مر وصفه في هذا الكتاب. وقد ذكر الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني في المجلد الثالث من تاريخ (جهانكشاي جويني) وجود نسخة منه في المتحفة البريطانية.

حوادث سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩١م

فرار بايسنقر - سلطنة رستم بيك:

كان رستم بيك بن مقصود بيك بن الأمير حسن بيك لما قتل مسيح ميرزا في المعركة السابقة ألقى خليل الصوفي القبض عليه وسجنه في قلعة آلنجق وصار خليل الصوفي أمير الأمراء... ولكن بعد قتلة خليل هذا تعاهد قرق سيدي علي[٢] حاكم قلعة آلنجق وجماعة من التركمان على أن يسلطنوا رستم بيك فأطلقوه من السجن لتخليص آذربيجان والعراق فخرجوا من القلعة ونهض معهم أبيه[٣] سلطان فجهزوا الجيوش

---

(١) حبيب السير ومنتخب التواريخ وجامع الدول.

(٢) ورد في الكتب الفارسية غرق سيدي علي وفي التركية قرق سيدي علي وهو الصحيح...

(٣) في كلشن خلفا آينة سلطان والمعروف الشائع أبيه سلطان وهو أخو نور علي بيك البايندري وفي جامع الدول اشتهر بالله قلي سلطان وأصل اسمه إبراهيم بيك بن دانا خليل.

العظيمة نحو بايسنقر فاستقبلهم الأمير سليمان بيك مع بايسنقر للمقاتلة ومن ثم وقبل التحام الجيوش صار يفر جيش بايسنقر أفواجاً ويلحق بأعدائهم لحد أنهم بقوا وحيدين.

ولما كان الوضع بهذه الحالة اضطر بايسنقر أن يذهب إلى صهره شاه شيروان باتفاق من حسن علي بيك والشيخ نجم الدين مسعود فساروا إليه في أواخر رجب سنة ٨٩٧ هـ وسار سليمان بيك إلى ناحية ديار بكر. أما رستم بيك فإنه مضى في التاريخ المذكور إلى تبريز وهناك استقر حكمه وأذعنت له بالطاعة كافة الأنحاء وجاءته الوفود من العراقين وفارس وكرمان ولرستان وقدموا له الهدايا وأجروا مراسم الإذعان كما أنه أنعم بإنعامات وافرة على البايندرية بصورة لم يسبقه أحد إليها فإنه لم يدع واحداً منهم محروماً...

أما بايسنقر فإنه رحب به شاه شيروان وهو جده لأمه (فرخ يسار) فأكرم مثواه وأن نجم الدين مسعود قد سمه بعض الأمراء هناك عند تقديم الطعام له فجنى عليه وانتقل هو إلى رحمة ربه، وإن سليمان بيك وصل ديار بكر وهناك صار يعقد الأماني والآمال إلى أن قتل. وسبب قتله أن سليمان بيك كان قد قتل في إبان سطوته أخا دانا خليل فلما رجع في حال نكبته إلى ديار بكر سنحت الفرصة إلى نور علي بيك بن دانا خليل أن ينتقم لعمه فانتهز حالة وجوده في الحمام المسمى حسين كيف وقت السحر فضربه وأرداه قتيلاً. ونور علي بيك هذا بايندري أخو أبيه سلطان فلما بلغ خبر ذلك إلى رستم بيك فرح وأرسل خاله قاسم بيك والياً إلى هناك فوصل إلى المدينة وقام بأمر العدل فيها[1].

(١) حبيب السير ص٣٣٣ جزء ٤ جلد ٣. ومنتخب التواريخ صحيفة ١٨٩.

وفيات

١ ـ حسين بيك بن أوغرلو محمد بن حسن الطويل:

كان قد قتل والده على يد بايندر قاتل الدودار الكبير أحد أمراء أبيه لخروجه عليه ففر حينئذ هذا وأخوه أحمد. أما أحمد فذهب إلى ملك الروم فأقام في ظل سلطانه، والمترجم فرّ لمملكة مصر فأقام بها في ظل سلطانها، واستقدم له ابنة عمه وكان لتزويجه بها ما كان... ثم رجا من السلطان ما وعده به من القيام معه في مملكة العراق فأدركته المنية في المدينة المنورة في ١٥ ذي الحجة سنة ٨٩٧ هـ ودفن بالبقيع. وكان له ذكاء وفطنة وميل إلى الأدب والتاريخ مع حسن عشرة[١]...

٢ ـ الوزير نجم الدين مسعود: (ترجمته)

«وهذا رحمه الله كان متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ولطف الطبع وجودة الذهن، يراعي العدل في إدارة المملكة وأمورها المالية. ويزرع في قلوب الأهلين بذور العاطفة الطيبة والإحسان، وكان يختار لأمور الدولة وأمرائها من له كفاءة على القيام بالمهمات المودعة ومن هو بصير بها... ويسعى جهده لإرضاء الأكابر والأداني وينصف الجميع... وقد مضت الأمور على هذا الديدن مما أدى إلى عمارة المملكة بأطرافها...» ا هـ. كذا في حبيب السير. وقال إن هذا الوضع قد تبدل بتغير نيات السلطان نحو الصفوية... فكان ذلك داعية انقراض هذه الحكومة... والرجل من مؤرخيهم وتحامله ظاهر في إرضائهم.

وجاء في اتشكده ما نصه «اسمه الشيخ نجم الدين وأصله من بلدة ساوه وهو ابن عم القاضي مسيح الدين عيسى، نال منصباً لدى السلطان

---

(١) الضوء اللامع ج٣ ص١٦٦.

حسن بيك وكذا عند ابنه السلطان يعقوب حتى حصل على الوزارة.. وذكر له بعض الغزل من شعره[1].

وقد نعت نفسه في شعره بالشيخ وذكر ذلك في كل قصيدة فيه في الديوان الذي جمعه له وللقاضي مسيح الدين عيسى الأديب الفاضل إدريس البدليسي وله فيه مختارات من النظم جمعها له البدليسي لا تقل عن مقاطيع أكابر الشعراء... وهي باللغة الفارسية. وأساساً إن سوقها آنئذ رائجة والاعتبار بها كبير والشعراء قاطبة في أيام الميرزا يعقوب من العجم... والعلاقة والارتباط بإيران زائد جداً...

ومما قاله فيه أنه لا يحصي صفاته وجميل خصاله لفظ، ولا تنبىء عنها عبارة فهي لا تعد ولا تحد... فعن شفقته وحبه لرجال الله حدث ولا حرج فهو مقبول عندهم كحظوته لدى الشاه وجيشه، وعدله مع أرباب الحكومة والرعايا لا منازع فيه... هو الوزير محرم الأسرار، والنديم الروحي ليعقوب خان، ومرجع الخلق في حسن الإدارة... فلا يضارعه في كافة أوضاعه نِدّ... وأصله ينتمي إلى نسب عريق ونجار شريف فهو يتصل بقطب العارفين الشيخ شرف الملة والدين محمد الدركزيني قدس الله روحه يمت إليه بقربى العصوبة... وكان ملاذاً للفقراء، ومرجعاً للفضلاء ولم يقصر في تأييد قوانين الدين، وتمهيد قواعد الشرع المبين فهو نعم المعين للقاضي صفي الدين عيسى بل لم يأل جهداً في حسن إدارة البلاد، وسلوك الهداية والإرشاد... (إلى أن قال) وبعد ارتحال السلطان عمت الفتن، والتهبت نيران الإحن فاستشهد القاضي ثم زادت نيران المصائب اشتعالاً حتى أودت بالوزير:

طـواه الـردى طـيَّ الـرداء فـأصـبـحـت
مـعـانـيـه مـا فـيـهـن مـنـه سـوى الـذكـر

---

(١) آتشكده ص٢٢٧.

يــوســـع صـــدري بـــالـــزفـــيـــر ادكـــاره
عـــلـــى أن ذاك الـــوســـع أضـــيـــق لـــلـــصـــدر

هذا وقد أطنب في المدح والإطراء وقال جمعت هذه القصائد من بعض الأوراق المتناثرة، والصحف الشاردة والألسنة والصدور... مما كان يتغنى به القوم... حتى تكونت لي هذه المجموعة...

ودعاها (مجمعة النظم) إلا أنه فصل بين أشعار القاضي وبين أشعار الشيخ فجعلهما في ديوان واحد فقدم أشعار القاضي عيسى ثم ذكر نظم الشيخ نجم الدين...

إدريس البدليسي ـ مجمعة نظم:

هذه المجموعة كان قد جمعها إدريس بن حسام الدين البدليسي وكان من أمراء الكرد، ومن المؤرخين، والأدباء... فر من الشاه إسماعيل الصفوي والتجأ إلى الدولة العثمانية فنال حسن التفات وصار مظهر قبول من السلطان بايزيد خان الثاني فكتب باسم السلطان تاريخه المعروف بـ(هشت بهشت) كتبه باللغة الفارسية وسماه أيضاً الصفات الثمانية في أخبار قياصرة العثمانية ومنه نسخة في مكتبة نور عثمان في الأستانة تحت رقم ٣٠٨٢ وترجمه إلى التركية عبد الباقي سعدي بن أبي بكر الواني بأمر من السلطان محمود الأول عام ١١٥١ هـ ومنه نسخة في المكتبة الحميدية تحت عدد ٩٥٨.

وقد رأيت الكتاب في المكتبة العامة في استانبول وفيه أنه أمر بالترجمة عام ١١٤٦ هـ أوله: بنام خداوند جان آفرين الخ والكتاب في مجلد ضخم وقف به مترجمه ومؤلفه عند مناقب السلطان بايزيد فلم يتجاوزها.

وعلى الأصل ذيل لابن المؤلف البدليسي وهو أبو الفضل محمد

أفندي[1] كتبه بالفارسية أيضاً منه نسخة في مكتبة أسعد أفندي عدد ٢٤٤٧.

وفي تحفة الخطاطين أنه كان كاملاً في الثلث والنسخ والتعليق وأنه كان كاتب الديوان لدى بعض أمراء العجم وشاعراً (الظاهر أنه يقصد السلطان يعقوب) وفي فتنة الأردبيلي (الشاه إسماعيل) التجأ إلى الحكومة العثمانية فأكرمه السلطان بايزيد الولي ومن آثاره تاريخ جامع قوجة مصطفى باشا في أعلى بابه وهو بخطه (التحفة ص ١١١) وخط وخطاطان ص ٥٩.

وفي تاريخ أنجمني ترجمة ابنه فضل الله وترجمته أيضاً. . .

وفي أيام السلطان سليم خان سير إلى كردستان فسعى لإدخال ديار بكر والموصل وكردستان في حوزة العثمانيين فكانت جهوده في هذا السبيل بليغة. . . وفي عودته إلى العثمانيين حصل على كل الإعزاز والتكريم. وفي عام ٩٢١ هـ توفي في الأستانة وتربته في جوار أبي أيوب الأنصاري وله دار سبيل هناك، وإن زوجته زينب خاتون دفنت في مسجد لها بالقرب منه. . .

وله ترجمة في قاموس الأعلام[2].

وقال في الكواكب السائرة[3]: «إدريس بن حسام الدين العالم

---

(١) كان من أهل الكمال أيضاً وهو دفتري في الحكومة وبنى جامعاً في طوبخانة يقال له دفتردار جامعي ودفن فيه توفي سنة ٩٧١ وتاريخه فضل أولدي وله عدا الذيل على هشت بهشت نظيره على ديوان حافظ ر: تحفة خطاطين ص١١١ وزاد في كتاب خط وخطاطان هو صاحب تاريخ الأكراد، ومختصر هشت بهشت وكل في بلاد الصفوية قد تربى وتوفي في الأستانة وكان دفترياً فيها ر: ص٥٩.

(٢) قاموس الأعلام ج٢ ص٨١١.

(٣) الكواكب السائرة في رجال المائة العاشرة. منه نسخة مخطوطة رأيتها في الظاهرية بدمشق.

الفاضل المولى البدليسي العجمي ثم الرومي الحنفي كان موقعاً لديوان أمراء العجم (البايندرية) ولما حدثت فتنة ابن أردويل (شاه إسماعيل الأردبيلي) ارتحل إلى الروم فأكرمه السلطان أبو يزيد (بايزيد) غاية الإكرام وعين له مشاهرة في مسانهة وعاش في كنف جماعته عيشة راضية وأمره أن ينشي تواريخ آل عثمان بالفارسية فصنفها وكان عديم النظير، فاقد القرين بحيث أنسى الأقدمين ولم يبلغ إنشاءه أحد من المتأخرين وله قصائد بالعربية والفارسية تفوت الحصر، وله رسائل عجيبة في مطالب متفرقة وبالجملة كان من نوادر الدهر ومفردات العصر توفي في أوائل سلطنة السلطانة سليمان خان رحمه الله ا هـ[١].

وأما مجمعة النظم فإنها مما جمعه من نظم القاضي والوزير وفاء بحق الصحبة للموما إليهما وأولها:

چون أي حسن تودر آينه روح بديد
أزذكر لبت جان سخن را تجديد
عيسى نفسان بيادلعلت جان بخشي
وصاف جمال توشده شيخ ومريد

عندي نسخة مخطوطة من (مجمعة النظم) المذكورة وفيها بعض النقص على ما يظهر... وفي الحقيقة هذا الديوان تاريخ حي، ناطق بمقدرة القاضي والوزير... ومقدمته تعين مكانتهما وليس فيها طمع أو أي أمل نحو الممدوحين فهي صفحة صادقة من لسان عارف بهما وصديق حميم لهما[٢]... والظاهر من وصف تحفة الخطاطين، وكتاب خط وخطاطان أن النسخة من مجمعة النظم بخطه وهي تعليق ونسخ معاً وخطها جميل جداً وزمنها يقدر بزمنه.

---

(١) ورقة ٢٦ ـ ١.

(٢) نفس الديوان وقاموس الأعلام وحبيب السير...

حوادث سنة ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م

بديع الزمان:

وفي أوائل أيام رستم بيك عزم بديع الزمان ابن السلطان حسين بايقرا من أبناء السلاطين في خراسان أن يستولي على العراق (عراق العجم) فجهز جيوشه وفي يوم الأربعاء من المحرم لسنة ٨٩٨ هـ سار حتى وصل (ورامين) فنزلها. وقد مضت بضعة أيام من توجه أمراء آق قوينلو نحوه فأصابه الرعب فعاد إلى أنحاء خراسان قبل الملاقاة فلم يقع ما يكدر الوضع[١]...

كوسه حاجي البايندري - عصيانه:

قد مضت مدة سنة على سلطنة رستم بيك وكان ملكاً جواداً كريماً وفي هذه الأيام إثر وقعة بديع الزمان عصى كوسه حاجي البايندري حاكم أصفهان وكان من أمراء السلطان رستم بيك وحينئذ سار السلطان إلى العراق وجهز بعض الأمراء لدفعه وإخماد غائلته وذلك أنه سير عليه قراپري الطواشي (التواجي) وفي المعركة بحدود قم قتل وأرسل رأسه إلى رستم بيك فقضى على عصيانه وأخمدت ثورته[٢]...

كيلان - الحروب معها:

إن بادشاه كيلان كاركيا ميرزا علي قد ظهرت منه بعض المخالفات. وإن أحد أمرائه مير عبد الملك حسين سيفي كان قد قتل بعض البايندرية في الري وقزوين وكان هذا من سادات قزوين ومقدمي أمراء كيلان. ولم يكتف بهذا وإنما سار إلى السلطانية فأغار عليها

---

(١) جامع الدول.

(٢) منتخب التواريخ ص١٩٠ وحبيب السير ص٣٢٣.



السلطان سليم الياوز

وعاث في الأمن هناك... وحينئذ أرسل السلطان رستم أبيه سلطان (الله قلي سلطان) مع جيش من القاجار إلى أنحاء كيلان فنزل أبيه سلطان في موقع من أنحاء قزوين في كورة لاره يشم في منزل يقال له (دريادك) فلما سمع عبد الملك بذلك فر من وجهه وأن جيش القاجار قد استولى على تمام قطر (رودبار) وكان هذا تابعاً إلى مملكة كيلان وقتلوا تقتيلاً كبيراً في جيش كيلان وذلك في رمضان سنة ٨٩٨ هـ فعمل من رؤوس القتلى منارات فتم تنكيله بهم[1].

عودة بايسنقر ـ قتلته:

وفي هذه الأثناء عاد الأمير بايسنقر من شيروان وسار على آذربيجان بقصد الاستلاء عليها فلم يأمن السلطان رستم غائلته فأراد أشغال شاه شيروان لئلا يمد بايسنقر فأطلق أولاد الشيخ حيدر من السجن في اصطخر وهم سلطان علي پادشاه ابن الشيخ حيدر الصفوي وإخوته ليكونوا في صحبة أبيه سلطان ويقاتلوا بايسنقر فجرت بينهم الحروب مرتين. وفي المرة الأخيرة كانت الحرب في موقع يقال له كنجه ويردع فألقي القبض على بايسنقر فقتل بعد أن كان قد ملك سنة وثمانية أشهر وكذلك قتل أخوه حسن بيك بن يعقوب بيك وبهذا نال رستم بيك مأموله فانتصر على عدوه[2]...

السلطان علي الصفوي ـ رستم بيك:

وإثر تلك الواقعة صار السلطان رستم بيك يحذر من السلطان علي ابن الشيخ حيدر الصفوي فأراد الغدر به، ذلك ما دعا أن يذهب السلطان علي إلى أردبيل لما علمه من تغير نوايا السلطان رستم بيك عليه

---

(١) منتخب التواريخ ص١٩٠ وجامع الدول.

(٢) كلشن خلفا والقرماني وحبيب السير ص٣٢٣ وجامع الدول.

وبالتعبير الأصح رأى منه نزوعاً إلى الملك، دخل المدينة بأبهة وسطوة لكون أكثر أهلها بل كلهم من أصحاب أبيه وجده فزاد خوف السلطان رستم من أوضاعه وصار يحسب له الحساب ومن ثم جهز جيشاً عظيماً بقيادة أبيه سلطان وأرسل معه ابن خاله حسين بيك عالي خاني (علي خاني) فمضوا بقوتهم إلى أردبيل فتقاتلوا مع السلطان علي الصفوي في أنحاء البلد فقتل السلطان علي مع إخوته.. أما شاه إسماعيل فإنه في هذا الحين مال إلى كيلان كان جماعة من أصحاب السلطان علي حملوه إلى هناك فاستقبله كاركيا ميرزا علي بتعظيم زائد وأخلص له الود والإعزاز... وحينئذ أرسل رستم بيك قصاداً متوالين وبصورة مكررة إلى كاكيا ميرزا علي في طلب شاه إسماعيل أما هو فقد شاور مير عبد الملك حسين سيفي من مقدمي أمراء كيلان وممن يطيع الشاه أمره فقرروا لزوم الاحتفاظ به فقطع العلاقة... وسير القصاد إلى رستم بيك مبدياً أنه لا يستطيع إنفاذ مطلوبه[1].

وفيات

١ - ابن زقزق البصري:

هو إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن أحمد البصري، نزيل مكة قطنها وراه السخاوي فيها سنة ٨٩٣ هـ، وكذا جاور المدينة سنين. وإخوته محمد وإسماعيل كانوا في مكة أيضاً. وكان أبوه وأخوه محمد من علماء البصرة، وهو من الصلحاء توفي في رمضان هذه السنة (سنة ٨٩٨ هـ).

وأما أخوه محمد فكان ممن اشتغل ببلده وبالشام وتميز في الفقه والعربية وغيرهما وشرح الجواهر مختصر الملحة شرحاً جيداً مختصراً.

---

(١) منتخب التواريخ ص١٩١.

ومن أخذ عنه وعن أبيه عبد الله البصري صاحب البرهاني بن ظهيرة.

وهكذا ذكر صاحب الضوء اللامع أباه أيضاً[1].

حوادث سنة ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م

وفاة علاء الدين البغدادي:

في هذه السنة توفي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن البهاء البغدادي الحنبلي الإمام العلامة الفقيه المحدث ولد سنة ٨٢٢ هـ تقريباً في العراق وقدم إلى دمشق سنة ٣٧ وأخذ الحديث والعلم عن جماعة وصار من أعيان الحنابلة أفتى ودرس وصنف (كتاب فتح الملك العزيز بشرح الوجيز) في خمسة مجلدات وتوجه إلى القاهرة فاجتمع إليه حنابلتها وقرأوا عليه وأجاز بعضهم بالإفتاء والتدريس وزار بيت المقدس وباشر نيابة القضاء بدمشق وكان معتقداً عند أهلها وأكابرها ورعاً متواضعاً على طريقة السلف توفي بها يوم السبت ٢٣ جمادى الآخرة[2].

حوادث سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٥ م

بقية أحوال رستم بيك - وفاته:

اعتقد رستم بيك أن قد صفا له الجو وخلا من منازع. . وكان رستم هذا مغرماً بحب النساء مغلوباً، ليناً فاستولت كل واحدة منهن على أمور المملكة وأركانها فاختل نظام الملك. . . ومن ثم أرسل الأمراء وراء السلطان أحمد بن أوغورلو محمد ابن السلطان حسن الطويل في بلاد الروم (مملكة العثمانيين) يدعونه للقيام ويتعهدون بمناصرته. . . وكان قد هرب من عمه يعقوب بعد قتل أبيه فالتجأ إلى السلطان بايزيد

---

(١) الضوء اللامع ج١ ص٧ وص١٢٩ وج٦ ص٢٧٤.

(٢) الشذرات.

خان العثماني فصاهره السلطان وزوجه ابنته فوصل إلى بلاد العجم بعد أن كان قد بقي لمدة بضع سنوات عاش فيها براحة وهناء ففي السنة السادسة من حكومة رستم ميرزا استأذن من السلطان وفي رواية نخبة التواريخ بلا إذن وساق جيوشه الكثيرة من تركمان وغيرهم إلى آذربيجان. وفي شاطىء نهر أرس (أراس) قارع رستم ميرزا. ولما كان أمراء العراق وأذربيجان راعوا شروط الحزم والحيطة لم يروا بدأً من التسليم، ورفع كلفة القتال فقبضوا على رستم ميرزا وسلموه إلى أحمد پادشاه فقتل في الروم في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٢ هـ وجلس أحمد پادشاه على سرير الحكم[١].

وجاء في جامع الدول: «خرج.. كوده أحمد سنة ٩٠٢ هـ، وقدم أذربيجان من جهة الروم في جمع عظيم. ولما وصل الخبر إلى حسين بيك علي خاني بالعراق وثب على عبد الكريم لله (بفتح اللامين) وقتله في حدود السلطانية، وخطب لأحمد بيك في بلاد العراق في غرة رمضان هذه السنة. لأن حسين بيك كان متزوجاً بأخت أحمد بيك، وانحرف منه مدبر أمره الله قلي سلطان (أبيه سلطان) إلى جانب أحمد بيك، فجرت بين رستم وأحمد الحرب لمرتين فانكسر رستم في الثانية فهرب وعبر نهر أرس إلى جانب بلاد الكرج ثم قبض عليه بعد أيام فقتل.. وتولى أحمد..» اهـ.

حوادث سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م

سلطنة أحمد بادشاه - قتلته:

إن هذا السلطان لم يطل أمد حكمه أكثر من ستة أشهر فقام عليه

(١) كلشن خلفا والقرماني وحبيب السير وفي كلشن أن هذه الوقعة كانت عام ٩٠٣ هـ وليس ذلك بصواب.

الأمراء وبينهم أبيه سلطان فأورده حتفه.. وذلك أنه على ما جاء في القرماني:

«رام أن يجري في تلك البلاد نواب الشرع وساسة الملك على ما شاهده في الروم (الحكومة العثمانية) فلم يعجب ذلك أمراء تلك البلاد المطبوعين على الظلم وإراقة الدم فثقل عليهم ذلك واتفقوا على خلعه فأرسلوا إلى مراد بن يعقوب شاه فجاء وقاتل أحمد ميرزا وهزمه ثم ظفر به فقتله وكانت مدة ملك أحمد نحو سنة» ا هـ[1] ويعرف بكوده أحمد بيك لقصر فيه وتعني بحتر وفي سنة ٩٠٣ توفي أحمد بيك ابن اغورلو ابن حسن الطويل، وكان محباً للرعية ومنع شرب الخمر، وسعى في تنظيم العلماء[2].

وقال في منتخب التواريخ:

«إنه تمكن في السلطنة بعد قتلة رستم بيك وكان رؤوفاً برعاياه. وفي أيامه قد سدت أبواب الإخراجات (الضرائب) لحد أنه لا يسوغ لأي أحد أن يستوفي شيئاً من الأهلين ما قل وكثر بلا وجه حق، وكان يتجنب النواهي والملاهي والخمور وجل آماله أن يسعى لتقوية الأحكام الشرعية والمطالب الدينية، وكان يعظم العلماء والفضلاء ويلتزم جانب سيد شيخي المعروف بـ(نقطه چي أوغلي) وأن أحمد بيك قد وافق رغبته فلا يتجاوز مشورته وتدبيره إلا أنهما كان من طبعهما البخل والإمساك سواء الشيخ والسلطان وقصروا في أمر الإنعامات على ما هو المعتاد ذلك ما دعا أن يطلبوا بإلحاح ويحرجوهما في الطلب... وهذا ما انتج الضرر عليهما بسبب أن الحكومة لم تتمكن من الاستقرار بعد فكانت العاجلة في القضاء على هذه الحكومة وأدت إلى انقراضها...

---

(١) ص٣٣٨.

(٢) دول إسلامية وغيرها.

إن أحمد بيك لم يأمن من غدر هؤلاء الأمراء وكان من أكابر أمرائه والمقدمين لديه كثيراً حسين عالي خاني الذي هو صهره ولما ارتاب منه قتله وذلك في شهر ذي الحجة لسنة ٩٠٢ هـ مما أسخط عليه القوم...

وفي هذه الأثناء فوض إلى أبيه سلطان إيالة كرمان. وهذا اتخذ ذلك فرصة سانحة فاستأذن في الذهاب وسار إليها من تبريز وذهب إلى فارس. وهناك اتفق مع حاكم تلك الديار قاسم بيك پرناك فعصوا. فاطلع السلطان على جلية الأمر ومن ثم جهز جيشاً في الشتاء وسار إلى العراق وقاموا هم أيضاً من شيراز في عدة قليلة وساروا إليه. وفي حدود خواجة حسن يوم الأربعاء ١٨ ربيع الثاني سنة ٩٠٣ هـ التقت الكتائب فكانت الحرب قد أسفرت عن قتل السطان أحمد بيك والشيخ المشهور بنقطه چي أوغلي مع خواص أحمد بيك...

وفي جامع الدول:

«كان ـ السلطان أحمد بيك بعد قتلة رستم بيك ـ متوهماً من الأمراء، لا سيما مدبر أمره وصهره على أخته حسن بيك علي خاني، فقبض عليه وقتله في ذي الحجة سنة ٩٠٢ هـ، ثم قتل مظفر بيك ابن منصور بيك أيضاً من أعاظم الأمراء، فتوهم منه سائر الأمراء، واستأذنه الله قلي سلطان في المسير إلى أقطاعه كرمان فأذن له في ذلك، فخرج الله قلي سلطان من تبريز وسار إلى فارس وحرك واليها قاسم بيك پرناك على العصيان فاتفقا على الخلاف. ولما وصل الخبر إلى أحمد بيك خرج إلى صوب العراق لدفع غائلتهم، وسار الله قلي وقاسم بيك أيضاً من شيراز إلى جانب العراق فالتقى الجمعان في حدود خواجه حسن من نواحي أصبهان يوم الأربعاء ١٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٣ هـ فقام القتال فغدر الأمراء بأحمد بيك... فقتل مع شيخه ومستشار دولته الشيخ

الشهير بنقطه چي أوغلي في جمع من خواصه، وكان هذا من ابنة السلطان محمد خان سلطان الروم وكان مشهوراً بكوده لكونه قصير القامة واليدين والرجلين... وكان رحمه الله ملكاً عادلاً حسن السيرة، رفع المظالم من جميع بلاده، وكان متشرعاً متورعاً... وكان معظم همه مصروفاً في العدل... وكان يكرم العلماء والفضلاء، ومجلسه معموراً بالمباحث العلمية وكان معتقداً في شيخه نقطه چي أوغلي (ابن نقطة چي) اعتقاداً بالغاً... لا يصدر إلاّ عن رأيه... ومع ذلك كان هو وشيخه ممسكين بخيلين، وقطعا الإدرارات التي كانت من زمن حسن بيك وضيقا على الأمراء في اقطاعاتهم، فآل أمرهما إلى ما ذكر. وكانت مدة ملكه نحو ستة أشهر» ا هـ.

وهذا ما جاء في حبيب السير وفيه توضيح قال:

«إن أحمد حينما جلس على سرير الحكم قرر قواعد العدل وأقام لواء الشريعة الغراء وأمر بلزوم متابعتها ورفع التكاليف الديوانية وغيرها مما كان يؤخذ سابقاً فعفا عن كافة الطوائف من أداء الضرائب المذكورة كما أنه ألغى رسوم الإخراجات ومنع من المصادرات (شلتاقات) فأبطل كل ذلك وكذا الإنعامات والأعطيات السلطانية الأخرى ومنع من شرب الخمور والملاهي... إلا أنه لم يرق ذلك لأرباب المطامع ففوجئوا في أوائل السلطنة بإبطال هذه وأن لا يخالف أمر قاضي الشرع فلم تكن في أوانها وتفصيل الخبر أنه في أوائل سلطنته قام في وجهه أبيه سلطان وقاسم پرناك فرفعوا راية الخلاف وتحاربوا معه فقضوا عليه وذلك أن أحمد كان في مقدمة رجاله حسن علي خاني وله قوة زائدة وشوكة عند السلطان أكثر من سائر الأمراء وأركان الدولة وله ميزة عليهم مما دعا أن يظهر ما أضمره من العداء لمظفر پرناك فناصبه العداء لحد أنه قضى على حياته فوصل خبر ذلك إلى قاسم پرناك (أخيه) وكان حاكماً في شيراز فاتخذ هذه الوقعة وسيلة للقيام بشق عصى الطاعة وفي هذه الأثناء قد

فوض أحمد إيالة كرمان إلى أبيه سلطان وهذا سار من أذربيجان إلى أنحاء كرمان وبعد أن قطع عدة مراحل جاءته الرسائل من قاسم پرناك كان أرسلها إليه وفيها حرضه على طلب دم أخيه واتفقا على ذلك وتأكدت العهود بينهما وفي الحال اتصل قاسم پرناك وجيشه بأبيه سلطان فسمع أحمد بالخبر عن هذه الحادثة فجمع جيشه وسار لدفع غائلة أولئك فالتقى الفريقان في أنحاء أصفهان فاستعرت نيران المعركة فكانت الوقعة دامية جداً وقد كتب النصر فيها لأبيه سلطان وقاسم پرناك وقتل أحمد بعد أن قضى نحو ستة أشهر في سلطنته... ا هـ[١].

هذا وصفوة القول أنه بعد قتلة أحمد بيك صارت دولة آق قوينلو سائرة إلى الدمار فاتفق القوم على الباطل وزاد النفاق بينهم... ولم يبق من نسل حسن بيك سوى ثلاثة أطفال وكل واحد منهم في ناحية. فمن هؤلاء سلطان مراد بن يعقوب كان في شيروان، وألوند بيك ابن يوسف بيك في أذربيجان، وأخوه محمدي في يزد. ومن ثم صارت البايندرية إلى ثلاثة أحزاب كل حزب منهم مع واحد فأعلن السلطنة فتقاتل الأمراء فيما بينهم، وسعى كل منهم في القضاء على الآخر وعادت الممالك خراباً... إلى أن ذهبت السلطنة منهم فانقرضت على ما سيجيء شرح ذلك...[٢].

ألوند بيك:

لما قتل أحمد بيك لم يكن لدى أبيه سلطان، من الأسرة المالكة من هو أهل للقيام بأمور المملكة فكانت الخطبة تقرأ في العراق باسم السلطان مراد. وتضرب السكة باسمه، وتصدر الأوامر والمراسيم

---

(١) حبيب السير.

(٢) منتخب التواريخ ص١٩٢ وجامع الدول.

موشحة باسمه... فذهب أبيه سلطان إلى أذربيجان...

وقبل وصوله إلى تبريز رأى أن دايه (دايي) قاسم الذي كان حاكماً في ديار بكر قد اتفق مع سيدي غازي بيك ابن يوسف البايندري حفيد شبلي بيك ابن حاجي بيك ابن طور علي بيك على نصب ألوند بيك ملكاً كما أن جماعة أخرى كانوا قد أخرجوا السلطان مراد من شيروان وكان عند جده فرخ يسار وخالفوا أبيه سلطان وهذا لم يتوان في الأمر وإنما تحارب معهم وتغلب عليهم وقبض على السلطان مراد وسجنه في قلعة روئين (رويين) وتزوج بأمه كما أنه ائتلف مع ألوند بيك وأعوانه وأتى به إلى تبريز. وفي أواخر شهور سنة ٩٠٣ هـ أجلسه على سرير السلطنة وسيأتي ما آل إليه أمره في خلال بيان أحوال السلطان مراد.

حوادث سنة ٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م

محمدي بن يوسف بيك:

اتفق جمع من الأمراء وجعلوه سلطاناً على العراق وبعد الاستيلاء على أصفهان تحاربوا في فارس مع قاسم بيك فانهزم منهم قاسم بيك وتحصن في قلعة اصطخر وبعد أن تم الاستيلاء على شيراز رجعوا.

أما أبيه سلطان فإنه مع ألوند بيك قصدا مقارعة هؤلاء فتحركوا من آذربيجان إلى العراق. وعند وصولهما إلى حدود الري اختار محمدي الفرار وذهب إلى قلعة أسنا عند حسن كيا الجلاوي فشتى أبيه سلطان مع ألوند بيك في قم وعينوا بعض الأمراء في ورامين لدفع محمدي وهذا في أواخر الشتاء وبالاتفاق مع حسن كيا الجلاوي باغت الأمراء الذين كانوا مرابطين في ورامين وفرقهم ثم ذهب أبيه سلطان مع ألوند بيك إلى أذربيجان فأخذ محمدي يتقوى شأنه في العراق والتف حوله جيش عظيم من الترك وغيرهم ووقعت المحاربة بينه وبين أبيه سلطان وألوند بيك في

موضع يقال له عزير كندي في شهر شوال سنة ٩٠٤ فكان الفوز في جانب محمدي وأن أبيه سلطان قد قتل في هذه الحرب.

وكان أبيه سلطان من أمراء البايندرية واسمه إبراهيم بن دانا خليل بن كور محمد بيك بن قرا عثمان البايندري. ثم اشتهر بالله قلي سلطان وكان ملكاً شجاعاً وذا صولة إلا أن طالع آق قوينلو أخذ بالتحسن وطمع الخصوم في الملك. وسارت الدولة إلى الانقراض وبدت فيها علائم الموت.. من جراء قتلة هذا الأمير[1]..

حوادث سنة ٩٠٥ هـ - ١٤٩٩ م

تفصيل ما جرت إليه الحوادث:

بعد قتل أبيه سلطان ذهب ألوند بيك إلى حدود ديار بكر ونزل محمدي في تبريز وكان في هذه الأثناء أخرج أخو أبيه السلطان مراداً من قلعة (روئين) وأسرعوا في استصحابه إلى فارس وذهبوا به إلى قاسم بيك پرناك وهناك نصبوه سلطاناً.

أما محمدي فإنه تحرك من آذربيجان إلى العراق قاصداً دفع هؤلاء وكذلك تحرك السلطان مراد من فارس متوجهاً نحو العراق فتلاقى الفريقان في حدود أصفهان ووقعت بينهما معارك دامية في أواسط سنة ٩٠٥ هـ فأسفرت النتيجة عن قتل محمدي وكانت مدة سلطنته سنة واحدة[2].

السلطان مراد بن يعقوب بيك:

فلما قتل محمدي ظهر السلطان مراد غالباً منتصراً وتمكن من

---

(١) جامع الدول ولب التواريخ.

(٢) منتخب التواريخ ص١٩٣ وجامع الدول.

الاستيلاء على فارس والعراق.. أما ألوند بيك فإنه لا يزال في آذربيجان معلناً سلطنته. وفي الأثناء خرج عليه امرؤ دعا نفسه السلطان حسين وزعم أنه ابن جهان شاه ابن قرا يوسف وصار يطلب السلطنة في آذربيجان فجمع جيشاً كبيراً. وحينئذ لم ير ألوند بيك بداً من مكافحته ففي شهور سنة ٩٠٥ هـ جرت معركة بينهما فتغلب ألوند وألقى القبض على السلطان حسين فقتله... وإثر هذه تأهب السلطان مراد لمقارعة ألوند بيك.

حوادث سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م

الحرب بين السلطان مراد وألوند بيك:

في أوائل هذه السنة وبعد وقعة ألوند بيك مع السلطان حسين تأهب السلطان مراد لحرب ألوند بيك فتصافت الجيوش في حدود أبهر وقزوين فتدخل بعض المصلحين في أمر الصلح على أن يكون العراق وفارس للسلطان مراد، وأن تترك آذربيجان وديار بكر لألوند بيك فرضي الطرفان وذهب كل من المتنازعين لمملكته...

أما السلطان مراد فإنه في جمادى الثانية من السنة المذكورة جاء إلى قزوين فأقام هناك لمدة أسبوع وسار ألوند بيك إلى تبريز.

حوادث سنة ٩٠٧ هـ - ١٥٠١ م

الحالة في هذه الأيام:

جاء في منتخب التواريخ أن الحالة بعد هذه الحرب قد اضطربت، وانحلت الأمور فصار النهب والغارة، والظلم والتعديات في أطراف المملكة ديدناً ومعتاداً فانسدت الطرق وقلت الحركة. وقد بدت علائم الخلاف والاختلاف وذلك أن قاسم بيك پرناك كان قد حكم سنين عديدة

في شيراز كما أن والده كان أيضاً حاكمها. وفي صفر سنة ٩٠٧ ألقي القبض عليهما وأرسلوا إلى اصطخر، وبعدها نقلوا إلى أصفهان وهناك قتلوا في يوم السبت ١٠ صفر المذكور وقتل أيضاً يار علي بيك البايندري وجاء أبو الفتح بيك البايندري إلى شيراز وكان حاكماً في كرمان وكان يعقوب جان بيك قد اقطع فارساً في رمضان هذه السنة فوثب عليه صاحب كرمان أبو الفتح بيك ابن أخي حاجي بيك البايندري فهرب يعقوب جان (أخو أبيه سلطان) من شيراز فاستولى أبو الفتح على فارس ودخل شيراز وبقي حاكماً مستقلاً نحو ستة أشهر حتى سقط من قمة جبل من جبال فيروز آباد في الصيد فمات يوم الأحد ٨ شعبان هذه السنة.

والحاصل أن المملكة في أيام هذه الحكومة قد نالها الخراب والدمار وكثرت المجاعات فمات الكثير من الأهلين جوعاً وبسبب الطواعين والأوبئة تفرق الباقون شذر مذر وتركوا أوطانهم، ولا تزال الأوضاع في ارتباك، والشاه إسماعيل الصفوي لم ينم عن هذه الأحوال وإنما كان يتطلع إليها ويترقب الفرصة استفادة من الوضع وانحلاله[1]..

ومما قيل آنئذ في تصوير حالة الشرق:

إذا شئت أن تلقى دليلاً إلى الهدى
لتقفو آثار الهداية من كاف
فخلِّ بلاد الشرق عنك فإنها
بلاد بلا دال وشرق بلا قاف[2]

شاه إسماعيل ـ الوند بيك:

اغتنم الشاه إسماعيل فرصة الخلاف والضعف وتذبذب الحالة

---

(١) لب التواريخ وجامع الدول.

(٢) بدائع الزهور ج٣ ص١٦٩.

فجمع كتائب كثيرة في أوائل شهور هذه السنة (سنة ٨٠٧ هـ) فتقارع مع ألوند بيك في حدود نخجوان فنكل بألوند ومن معه من أمراء البايندرية تنكيلاً مراً وفرق جموعهم شذر مذر فاستولى الجيش الصفوي على مملكة أذربيجان... وأساساً أن الأهلين ضجروا من ظلم آق قوينلو وسائر من معهم من التركمان فعدوا ذلك خلاصاً لهم مما نالوه... فابتهجوا بهذا النصر وكانوا في أمل أن يستريحوا من العناء...

وبقي ألوند مدة متحيراً يتجول هنا وهناك إلى أن طوحت به الحالة إلى ديار بكر وكان قد مر ببغداد فلم ير له بها مستقراً والحاكم في هذه الأنحاء دايي قاسم بيك بن جهانكير بيك (ابن أخي حسن بيك) وليها مدة وكانت السلطنة باسمه، وهذا تحارب مع ألوند في حدود ماردين فتغلب ألوند عليه وتسلطن هناك...

قضى هناك مدة وتوفي في شهور سنة ٩١٠ هـ[١].

حوادث سنة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م

السلطان مراد - الشاه إسماعيل:

بعد أن أخرج الشاه إسماعيل ألوند بيك من أنحاء آذربيجان نظم إدارته وقرر ملكه فمضت سنة على حكمه وحينئذ عزم على حرب السلطان مراد فسار إلى أطراف العراق وفي يوم السبت ٢٤ ربيع الأول سنة ٩٠٨ هـ[٢] تحارب في حدود همذان مع السلطان مراد فانتصر عليه وعلى هذا مضى السلطان هارباً إلى أنحاء شيراز ومن هناك سار إلى بغداد إلى باريك بيك پرناك حاكم تلك الديار فاستقر في الحكم هناك[٣]...

---

(١) منتخب التواريخ وجامع الدول.

(٢) في جامع الدول قاتله يوم الاثنين ٢٥ ذي الحجة.

(٣) لب التواريخ.

وفيات

جلال الدين الدواني:

في هذه الأيام زاد انهماك الناس بالسياسة فصدتهم عن الالتفات إلى العلوم والتبرز فيها، وتركوا النظر، أو اهملوا التدريس وصار لا يلتفت إلى العلوم... فكانت السياسة من جهة والحروب العنيفة من جهة أخرى، مما شغل الأهلين، وألهى غالبهم عن الانصراف للعلوم، والتطلع للفلسفة، أو الحرص الزائد في طلبها... وفي الوقت نفسه مال الأمراء بكليتهم للحروب والسياسة فلم ينظروا للعلوم ولا لرجال العلم.

ومترجمنا يعد من فلاسفة عصره، ومن مشاهير المتكلمين، استهوته (الأفلاطونية الحديثة)، والغالب عليه أنه مال إليها من جراء توغله في الكلام، ومناظراته.. فرأى مباحثها أوفر تفسيراً لما عنده، وكان التصوف والشعر الفارسي مما جره إلى ناحيتها.

وكانت الآراء السياسية، والآمال الحربية، والثورات الكبيرة، والطغيان والاضطراب مما أثر تأثيره على الآراء العلمية والثورة عليها، وكانت حالة العصر في تحول عظيم وانتقال فلا يبعد أن يستهوي التصوف هذا الرجل، فيعتنق فكرة مثل ما جاء في رسالته الزوراء.

والرجل يعد من أقطاب الفلسفة القديمة كان في عصره ذائع الصيت.

ومن مشاهير العلماء في أيام الدولة البايندرية، انتشر خبره في الأقطار وهو حي، وعرف بالعلم الجم والفضل الكبير... كان شافعي المذهب، وأصله من قرية دوان التابعة لكازرون، وكان قاضياً بإقليم فارس، أخذ عن المحيوي اللاري وحسن بن البقال، وتقدم في العلوم سيما العقليات وأخذ عنه أهل تلك النواحي، وشد إليه الرحال كثيرون

من مدن قاصية من الروم وخراسان وما وراء النهر واستقر به السلطان يعقوب في القضاء... وغالب أيامه قضاها بشيراز.

وله تصانيف كثيرة: (منها)

١ ـ أخلاق جلالي، ويسمى (لوامع الإشراق في الحكمة العملية والمنزلية والمدنية في مكارم الأخلاق)، فارسي مختصر أوله: افتتاح كلام بنام واجب الإعظام الخ... وهذا كتبه للسلطان حسن الطويل، وقدمه إليه.

٢ ـ شرح على شرح التجريد للطوسي. عم الانتفاع به.

٣ ـ شرح هياكل النور.

٤ ـ إثبات الواجب القديمة، أولها سبحانك ما أعظم شأنك الخ وعليها شروح وتعليقات وعندي نسخ مخطوطة منها، قدمها للسلطان يعقوب بهادر خان وجاء في بعض المخطوطات أنه قدمها للسلطان بايزيد العثماني وليس بصواب. وكان تأليفها في ١٤ رجب سنة ٨٨٩ هـ. كذا محرر في نفس الرسالة.

ونعت السلطان بمزيد العلم والدين، وفي حمى بيضة الإسلام من إفساد الكفرة الطغام، وحرس حوزة الإيمان عن مفاسد أهل الشرك والطغيان... ذكر الناس بعدالة أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أنسى الناس خلافة بني العباس بشامل الجود وكامل السطوة وعظيم الباس... فهو الذي أنار مصابيح العلوم بعد انطفائها ونضر رياض الحكم عقب ذبولها وذهاب روائها، وأصلح أركان الفضائل والمعالي بعد فسادها، وروج أسواق الأفاضل والأعالي إثر كسادها حتى جلبوا بضائع العلوم إلى حضرته من كل فج عميق، وجنوا ثمرات باسقات عرائس الفهوم إلى سدته من كل بلد سحيق فوسمتها باسمه العالي المكتوب على جباه السماوات العوالي رسماً لخدمته وأتحفت نسخة منها إلى عامر خزانته الخ.

٥ ـ إثبات الواجب الجديدة، وعليها شروح وتعليقات أيضاً.

٦ ـ الزوراء. يذكر أنه ألهم بها في حضرة الإمام علي‌عليه‌السلام. وكثيرون يقطعون في أنها لم تكن له وهي مختلقة، لما فيها من عقائد وآراء فلسفية مثل الأعيان الثابتة غير مجعولة. وهي مطبوعة مع ذيلها. كتبها ـ على ما يقال ـ ببغداد فكانت سبب تسميتها، فقد ألفها أو ألهمت إليه.

٧ ـ ذيلها (هتك الأستار). له. طبعت.

٨ ـ الأنوار الشافية.

٩ ـ شرح العقائد العضدية. فرغ من تأليفه في ربيع الأول سنة ٩٠٥ هـ ببلدة جيرون وهو آخر مؤلفات الجلال كما قيل. ذكر ذلك في كشف الظنون. وبهذا عرف أنه لا يزال على عقيدته الأولى وأن الزوراء مدسوسة عليه ومن كتبه (أخلاق جلالي) ويعد من الآثار المعتبرة، نال شهرة كبيرة، وترجم للانجليزية وله مهارة في الشعر أيضاً. ومما قاله فدعا للتقولات:

درد خمار دارم ودود مان من ميست
مي ده كه مي زبهر مداوا حرام نيست

وأجابه بعض الشعراء:

بهارست دركشي مي ارغواني
بفتواي ملا جلال دواني

ويطول بنا الآن الكلام على مؤلفاته، وقيمتها الفلسفية، ومكانة عقيدته منها... خصوصاً رسالة الزوراء وهتك الأستار، فإن لها موطناً غير هذا، وهو التاريخ العلمي والأدبي... والملحوظ أن أهل الأبطان حاولوا الاستفادة من شهرته فنسبوا إليه الزوراء وهتك الأستار...

ولد سنة ٨٣٠ هـ، وتوفي سنة ٩٠٨ هـ[١].

حوادث سنة ٩١٣ هـ ـ ١٥٠٧ م

حكومة مراد في بغداد:

قضى السلطان مراد في العراق نحو خمس سنوات ونصف وهو في حالة اضطراب وتشوش لا يدرى مصيره تجاه عدو قاهر استولى على أكثر بلاد إيران وصار لا ينازع في سلطته وقهره.. مضت هذه المدة ولم تظهر حوادث تستحق التدوين في حين أننا نرى الشاه إسماعيل ينسق إدارته ويقرر حكمه وينظم شؤونه ويتأهب للقضاء على البقية الباقية من حكومة آق قوينلو.. وهو في هذه الحالة يعلو سعده وتنقاد له الأقوام طوعاً أو كرهاً وقد مل الناس الحروب وصاروا في رغبة شديدة إلى الراحة، وإلى حاكم قاهر يقضي على أرباب الفساد والشغب[٢].

حوادث سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨ م

شاه إسماعيل وفتح بغداد:

وفي سنة ٩١٤ هـ توجه الشاه إسماعيل نحو العراق للوقيعة بالسلطان مراد وتفصيل الخبر أن الشاه إسماعيل كان قد احتفل بمناسبة استيلائه على كيلان وفي هذه الأثناء سمع أن السلطان مراد قد سار إلى علاء الدولة من دلغادر (ذي القدر) والتحق به تاركاً بغداد، وأن علاء الدولة قد زوج ابنته إلى السلطان مراد فاتفقوا وتكاتفوا على القيام في وجه الشاه إسماعيل وتوجهوا بجيش جرار ومضوا به إلى ديار بكر بقصد

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ج٧ ص١٣٣ وقاموس الأعلام ج٣ ص١٨٢٤ وتاريخ إيران لعبد الله الرازي الهمذاني ص٥١١ وكشف الظنون ونفس مؤلفاته...

(٢) جامع الدول ومنتخب التواريخ.

الاستيلاء عليها واشتعلت نيران الفتنة هناك فعلم الشاه بكل ذلك وحينئذ عزم على دفع هؤلاء وجهز جيشاً لجباً لهذه الغاية والقضاء على هؤلاء وجعل وجهته آذربيجان.

فلما اطلع علاء الدولة على جلية الأمر ونوايا الشاه انسحب من ديار بكر التي كان قد استولى عليها فتركها وأبقى فيها بعض أعوانه ومعتمديه ومضى إلى البستان أما الشاه إسماعيل فإنه سار إلى ديار بكر واستولى عليها ومزق جيش علاء الدولة فعين محمد بك استاجلو حاكماً في تلك الأنحاء ورجع الشاه إلىٰ مدينة خوي فأقام بها.

ثم إن علاء الدولة رفع لواء الحرب مرة أخرى وبعد مدة وجيزة جاءت البشرى للشاه بانتصار محمد بيك استاجلو عليه وتمزيق شمل جيشه وهربه إلى ديار الروم (الأناضول) فقتل هناك.

وفي جامع الدول: «هرب السلطان مراد إلى بلاد قرمان، ثم رجع والتجأ إلى الأمير علاء الدولة من ذي القدرية (دلغادر) فأكرمه علاء الدولة وزوجه بابنته فولدت له ولدين يعقوب بيك وحسن بيك وبقي السلطان عند الأمير علاء الدولة إلى أن توجه سلطان الروم (العثمانيين) السلطان سليم ياوز إلى قتال شاه إسماعيل في سنة ٩٢٠ هـ فسار السلطان مراد في جمع إلى تسخير ديار بكر ملك آبائه وأجداده فقاتل القزلباشية المستولية على تلك الديار وكان مقدمهم دورمش بيك قورجي باشي شاملو فانكسر السلطان وقتل قبل عيد الفطر بيوم من السنة المذكورة وحمل رأسه إلى الشاه إسماعيل. وكان مولده ليلة السبت ٣ رمضان سنة ٨٩٥ هـ وعمره (٢٥) سنة ومدة حكمه ٩ سنين وهو آخر ملوك البايندرية» ا هـ.

أما بغداد فإنها كانت من حين ذهب السلطان مراد عنها بيد الحاكم بها وهو (باريك بيك) استولى عليها وكان ينزع إلى السلطنة والاستقلال

ولم يخضع لنفوذ الشاه وفي خريف سنة ٩١٤ بينما كان الشاه في ربوع همذان عزم أن يستولي على بغداد بإخضاع صاحبها فأرسل لهذه المهمة أحد قواده المشهورين خليل بيك يساول وهو من المحنكين المجربين فتوجه إلى مدينة دار السلام بصفته رسولاً من جانب الشاه بغرض أن يقف على الحالة ويختبر الأمر مباشرة....

فلما علم صاحب بغداد بقدوم رسول الشاه بعث لاستقباله جماعة من خيرة رجاله فاستقبلوه بعز واحترام وجاؤوا به إلى بغداد فاجتمع بالوالي (باريك بك) في بستان ميرزا پير بوداق فأدى للرسول مراسم التكريم والاحترام وأبدى الوالي الخضوع للشاه وأنه طائع منقاد... وأرسل الوالي أحد أمرائه وهو إسحاق الدباس السيرجي[١] ومعه تحف وهدايا برسم تقديمها للشاه ويظهر الطاعة له. فغادر أبو إسحاق بغداد ومعه خليل بيك رسول الشاه فوردوا إليه وقدم أبو إسحاق الهدايا من سيده وقال له إنه أذعن بالطاعة...

إن الشاه كان يأمل أن يجيء إليه باريك بيك بنفسه ولذا لم ينظر إلى الهدايا بعين الرضى ولكنه أبدى لأبي إسحاق لطفاً وكرماً وأذن له بالانصراف وأن يبلغ سيده باريك بيك أنه لا حاجة له بالهدايا وإنما يريد أن يأتيه باريك بيك طائعاً لينال كل عاطفة وإلا فإنه إذا توسل بالخداع وعكر فسوف ينال العقوبة الصارمة فانصرف أبو إسحاق من الشاه وعاد إلى بغداد فعرض لسيده مطالب الشاه[٢].

أما باريك فإنه أبدى في أول الأمر طاعته بصورة ظاهرية وبعد مدة أخذ يتأهب ويستعد لبناء القلاع وجمع الأرزاق والمؤونة وفرض على

---

(١) ورد شيرجي أيضاً، والأكثر بالشين.

(٢) في أحسن التواريخ أن الهدايا وقعت موقع الاستحسان، ورخص أبا إسحاق بالعودة إلى بغداد، ثم سار هو...

الأهلين ضرائب ثقيلة وأمر بأخذ ما عندهم من حبوبات وأطعمة تأهباً للطوارئ بحيث تجمع لديه ما يكفي إعاشة الجيش لمدة ثلاث سنوات. . .

وكان نقيب بغداد ومن أشرافها السيد محمد كمونة[1] الذي ورث النقابة أباً عن جد وكان متهماً بإخلاصه للشاه فأمر باريك بالقبض عليه وزجه في السجن. .

وأما الشاه فإنه حينما انصرف أبو إسحاق الدباس منه عزم على فتح بغداد وعين لهذه المهمة أحد قواده وهو حسين بيك (لله) (لالا) أرسله مع الجيش مقدماً ثم تحرك هو بعده متأخراً فسمع باريك فاضطرب وفضل الفرار على الكفاح والنضال فعبر على ظهر جواده من جسر بغداد ليلاً وتوجه نحو مدينة حلب. وجاء في جامع الدول «أن باريك ذهب إلى العثمانيين وبقي في خدمة السلطان سليم ثم ولده السلطان سليمان ثم عرض إليه عمى فاستأذن السلطان في المجاورة بمكة المكرمة فأذن له في ذلك، وسير إليها مكرماً وبقي فيها إلى أن توفي» ا هـ.

وعند الصباح اجتمع الأهلون ببغداد وجاؤوا إلى الجب الذي سجن فيه السيد محمد كمونة المذكور فأخرجوه منه وسلموا إليه مقاليد الأمور ببغداد. وهذا يعد بمثابة طاعة منهم للشاه. . . وفي هذه الأثناء تبينت طلائع الجيش الإيراني يوم الجمعة يقدمهم لالا بيك وجاؤوا إلى أطراف بساتين بغداد وفي يوم الجمعة المذكور صعد السيد محمد كمونة المنبر وخطب باسم الشاه إسماعيل وأدى كمال الإخلاص والطاعة وبعد الصلاة خرجوا من البلدة لاستقبال لالا بيك والاحتفال بقدومه. . .

أما لالا بيك فإنه راعى التعظيم والتكريم اللائق في حق السيد

---

(١) لا تزال هذه الأسرة إلى اليوم ومعروفة بهذا الاسم وهو نقيب النجف.

محمد كمونة وعطف عليه عطفاً لا مزيد عليه فذهب السيد محمد كمونة وحسين بيك لالا إلى الشاه وبشروه بفتح بغداد وسلم إدارة المدينة لخلفا بيك وهذا كما قال صاحب حبيب السير أمير عادل، أتى بغداد قبل موكب الشاه فأمن حقوق الناس.

دخول الشاه بغداد وزيارته مراقد الأئمة:

وإثر ذلك، وبتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ وافى الشاه إسماعيل بغداد وقد فرح به السواد الأعظم وقدموا له الذبائح واحتفلوا بقدومه. نزل بستان پير بوداق فالتجأ الناس إليه وزاد الشاه في رتبة السيد محمد كمونة...

وفي اليوم التالي ذهب إلى زيارة كربلا المشرفة وصنع الصندوق المذهب للحضرة ووقف فيه اثني عشر قنديلاً من ذهب وفرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة... واعتكف هناك ليلة ثم رجع في اليوم التالي متوجهاً إلى الحلة ومنها ذهب إلى النجف الأشرف لزيارة الإمام علي عليه السلام وقدم النوادر الفاخرة والهدايا الجزيلة لسكان المدينة وأنعم بإنعامات وافرة.

ثم رجع إلى الحلة ومن هناك توجه نحو البادية إلى (قبيلة غزية) النازلة في البادية[1] فأخضعها وعاد إلى بغداد ومن هناك مضى لزيارة الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد وكذلك أنعم على من هناك بأنواع الإنعام...

ثم توجه إلى زيارة (علي النقي) و(حسن العسكري) الإمامين في سامرا وبعد أن أتم زيارته رجع إلى بغداد ونزل في البناية التي أوصى

---

(١) قبيلة عراقية من أشهر قبائل المنتفق.

ببنائها في أول مجيئه إلى بغداد قرب باب (قراقپو) في فسحة هناك فاستراح. . .

ثم ذهب إلى (طاق كسرى) للفرج ومن هناك توجه إلى أجمة السباع للصيد في الجزيرة المجاورة فهجم سبع عليهم وحينئذ قتله الشاه بنفسه ورجع إلى بغداد وعين رواتب إلى خدام الأعتاب المقدسة وأمر بجمع نجارين ومهندسين من أطراف الممالك ليصنعوا ستة صناديق منقوشة بنقوش خطائية أو أسلمية (سليمية) في غاية الإتقان والإبداع ليضعها على المراقد المشرفة ويرفع الصناديق العتيقة.

ثم عين بولاية بغداد (خليفة الخلفاء) وكان قبل هذا يدعى (خادم بيك) فلقبه بخليفة الخلفاء وكناه بأبي منصور وأوصاه بتمشية الأمور والعناية بمراقد الأئمة وأنعم عليه بأنواع الخلع ثم توجه إلى الحويزة[1].

وبهذا انقرضت حكومة البايندرية من العراق. . .

انشثات آق قوينلو:

يعد أكثر المؤرخين السلطان مراداً آخر ملوك آق قوينلو. وأن وقعة بغداد سنة ٩١٤ هـ هي تاريخ انقراض هذه الحكومة إلا أن مراداً سار قبلها إلى علاء الدولة دلغادر وبقي عنده. . . وفي رواية أنه فر إلى مصر. والمعول عليه ما تقدم. وفي أثناء الحرب مع إيران قد ولي قيادة فرقة من الجيش العثماني وذهب للاستيلاء على ديار بكر هناك قتل في رمضان سنة ٩٢٠ هـ فانتهى أمرها تماماً.

وفي القرماني ما نصه:

«في سنة ٩٠٨ هـ قصد الشاه إسماعيل الصفوي بغداد وبها السلطان

---

(١) حبيب السير. وتاريخ إيران.

مراد، وكانت قد ضعفت دولتهم وقويت شوكة الأردبيلية وكانوا قد استولوا على غالب بلادهم التي بأيديهم فلم يطق مراد المقاومة فترك بغداد وأتي الروم مستغيثاً مستجيراً، فلم ينل بها قبولاً، ثم ذهب والتجأ إلى علاء الدولة بن ذي الغادر وأخذ منه مدداً وذهب إلى بغداد واستردها واستقر على سريرها وكان إسماعيل مشغولاً بحرب بعض الملوك ثم قضى أربه وهجم علي مراد المذكور ببغداد وطرده عنها واستولى عليها واضمحل حال مراد ولم يعلم له خبر وهو آخر من ملك عراق العجم من أهل هذا البيت» ا هـ.

ولكن هذا لم يؤيد من مؤرخين آخرين.

وفي كتاب الدول الإسلامية وغيره ذكر النقود لأكثر ملوك آق قوينلو وأنها موجودة ويشاهد فيها عنوان (سلطان). وفي المسكوكات الإسلامية لأحمد توحيد المطبوع سنة ١٣٢١ قد ذكر بين أسماء ملوكهم زينل بن أحمد بن أوغورلو محمد وحسن الثاني بن يعقوب إلا أنه لم يعين المرجع الذي عول عليه... وعلى كل إن فروع هذه الحكومة في آذربيجان وآمد وماردين إلا أن التفصيلات عنها لا تزال غامضة وقد ذهبت أخبارها فلم يبق إلا القليل وفي أنحاء الموصل تركمان عديدون ولكن لا يفرق بينهم أو عاد لا يعرف لهم كيان خاص.

فهم الآن يعيشون أشتاتاً ومتفرقين أو كتلات ضعيفة وصغرى...

سلاطين آق قوينلو:

١ ـ بهاء الدين قرا عثمان ٨٠٦ ـ ٨٣٩.

٢ ـ جلال الدين علي ٨٣٩ ـ ٩٤٢.

٣ ـ نور الدين حمزة ٨٣٩ ـ ٨٤٨.

٤ ـ معز الدين جهانكير ٨٤٨ ـ ٨٧٥.

٥ ـ أبو النصر حسن بيك الطويل ٨٧١ ـ ٨٨٢.

٦ ـ خليل ٨٨٢ ـ ٨٨٣.

٧ ـ يعقوب ٨٨٣ ـ ٨٩٦.

٨ ـ بايسنقر ٨٩٦ ـ ٨٩٨.

٩ ـ رستم بيك ٨٩٨ ـ ٩٠٢.

١٠ ـ كوده سلطان أحمد ٩٠٢ ـ ٩٠٣.

١١ ـ محمدي ٩٠٣ ـ ٩٠٥.

١٢ ـ ألوند ٩٠٣ ـ ٩١٠.

١٣ ـ سلطان مراد ٩٠٣ ـ ٩١٤.

١ ـ ملحوظة:

إن الذين جاؤوا قبل حسن بيك كانت إمارتهم قبائلية وضربت أحياناً النقود بأسمائهم.. وإن حسن بيك أكسبها شكل حكومة منظمة واتفقت كلمة المؤرخين على أنه أول ملوكهم.. والثلاثة الأخيرون تنازعوا السلطة ولم يصف الأمر لواحد والأخير منهم انتزعت بغداد منه في سنة ٩١٤ هـ وبقي متجولاً، قتل عام ٩٢٠ هـ.

٢ ـ ملحوظة:

لا نرى أسماء ولاة بغداد متسلسلة ومطردة.

آخر القول في هذه الدولة:

مضى هذا العهد بتفصيلاته وخير أيامه زمن حسن الطويل وابنه يعقوب بيك فإنها من أحسن الأدوار دامت فيها بعض المواهب العلمية، والكفاءات الصناعية إلى مدة.. فنرى ظهور بعض الشعراء والعلماء. إلى

أن جاءت النوبة إلى الحكومة الصفوية. فلم تنقطع الصلة بين الماضي والحاضر. ولكن الفتن الأخيرة جعلت أمراء هذه الحكومة وسلاطينها في ريب من وضعهم. وقد اشتدت الحزبية حتى بلغت حدّها وكثرت الفتن فكانت أشد مما هي عليه في عهد دولة قراقوينلو.

كانت المجادلات بين أمراء هذه الدولة أنفسهم وصار الملوك ألعوبة بأيديهم فلم يستقر حكم. ثم زاد في الطين بلة (ظهور الصفوية وقيامهم، فلم يبق أمل للناس في الراحة، والطمأنينة. وضعف العراق وتذبذب أمر إدارته فلم تدع الغوائل طريقاً للنهوض ولا كانت الفرصة سانحة للاستفادة من شدة الخلاف والاختلاف بين الأمراء وبين الناهضين الجدد.

وكل المدونات عن هذه الحكومة أو غالبها يخص حالتها العامة، ووضعها الشامل فلا تجد بحثاً خاصاً عن العراق ومستمراً إلى آخر أيام هذه الدولة وليس فيها ما يوضح الحالة الاجتماعية وما عرض لها من أوضاع. فهي في غموض نوعاً.

والحالة العشائرية متبدلة ولم نر للعشائر ذكراً في أيام هذه الدولة إلا قبيلة واحدة هاجمتها الحكومة الصفوية وهي قبيلة (غزية) وهذه كانت صاحبة الصولة في هذا الدور وكذا جاءت الإشارة إلى الجوذر والجحيش... وكأن هذه العشائر اعترتها بهتة من هذه التبدلات.

أما المدارس فلا نجد واحدة من مؤسساتهم بل لا نرى لها ذكراً فإن الحالة كانت تدعو للقلق فلم ترج سوق العلم إلا بقدر الحاجة والتنوع في ضروبه يكاد يكون مفقوداً ذلك ما دعا أن يندثر. والبقية الباقية لا تزال تظهر مواهبها في واحد بعد آخر. فلم يعدم القطر من علماء والاطراد والمجرى العلمي المعروف من أكبر العوامل على البقاء أو بالتعبير الأصح التشكيلات آنئذ تدعو أن لا يفقد العلم وإن كان فقد

من يدون عنه، أو عاد لا ترى له قيمة تجاه العظمة السابقة والعلم المعروف نقله تواتراً كابراً عن كابر.

ولا قول في أن الناس عباد الجاه والسلطة... وأن رغبة الحكومة مصروفة إلى الآداب الفارسية... مما دعا أن تنحط العربية، أو أنها لا تنال المكانة ما لم تقرن بالفارسية التي حلت مكانتها ورسخت... فاضطر الناس أن يتعلموهما معاً وبرز النوابغ في الشعر الفارسي والعربي معاً ووجدنا من حمى العلم والعلماء، أو راعى الروح الأدبية والفنية وإتقان الصناعة... فراج الخط وظهر خطاطون عظام خصوصاً في التعليق وفي النستعليق.. مما بلغ الغاية حتى ظهر مير عماد... ومن نحا على هذا النحو.. كما أن النسخ بلغ غاية ليس وراءها..

وهكذا لم ينعدم النقش والتزويقات الكمالية، والتجليد فنرى نماذج فاخرة وفخمة إلا أنها متفرقة ومشتتة في مختلف الأقطار.. ومن مجموعها ما يشعر بأن الروح العلمية والأدبية والصناعية..لم تندثر وإنما انتشرت في مناطق أخرى وتجولت بالنظر للرغبات العلمية والصناعية.. إلا أنها لم تكن بشكلها العام الشامل ونرى أفراداً قليلين قد نبغوا فاشتهروا ولم يعدموا التقدير..

وفي عصورنا هذه قد وقف كل صنف من صنوفها على فرعه وجمد عليه فلم يحصل احتكاك في الأفكار فالواحد لا يدري عن عمل الآخر ولم يلتفت إلى العلاقات..

وجمع المعلومات المتفرقة تتوقف على الحصول على الوثائق من كافة النواحي وأما الوجهة السياسية والحربية فهذه قد يتعرض لها في بعض المواطن وتهمل أخرى.. ذلك ما صعب مهمة بحوثنا، والاعتراف بالعجز في أكثر المواطن، ولزوم التكاتف للمباحث والتناصر على جمعها وعرضها للعموم...

والحاصل أن هذه الحكومة قد طمس الكثير من آثارها، واندثر العظيم من تاريخها ولولا التحري ورجاء العثور، وأمل التناصر لقطعنا في مجهولية غالب هذا التاريخ...

تصحيح مهم:

لقد ورد في هذا المجلد عبارة «پير بوداق يرلغندين أبي النصر يوسف بهادر نويان سهوزمير»، وإن كلمة (سهوزميز) خطأ، وصوابها (سوزميز)، ويتلفظها الأتراك الآن سوزمز، ويراد بها (قولنا) وتعني (فرماننا، ومنشورنا) أو (اراداتنا)، وتكتب عادة كتوقيع في صدر فرامين أكثر الدول التركية، كالتيمورية، وقراقوينلو، وآق قوينلو حتى إنها تذكر في وقفياتهم، وفي خزانة الأوراق في استانبول فرمان للشاه رخ فيه جملة (شاهر خ بهادر سوزميز) وفي فرمان آخر للسلطان حسن الطويل مصدر بـ(سلطان حسن بهادر سوزميز) ويعبر عنها العثمانيون بعبارة (فرمان عالي شان حكمي) ويقابلها عندنا عبارة (أمرنا بما هو آت) وهذا الإيضاح والتصحيح للأستاذ الفاضل (البروفسور مكرمين بيك خليل) أستاذ التاريخ في الجامعة التركية باستانبول ونحن نشكر له هذا الاهتمام واللطف لما تفضل به مقدرين له جهوده العظيمة للتاريخ.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٣

الدولة الصفوية

(من ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ ـ ١٥٠٨م
إلى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١هـ ـ ١٥٣٤م)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدولة الصفوية
في العراق

نظرة عامة

هذه صفحة أخرى من صفحات تاريخ العراق، تتعلق بحكومة نشأت خارج العراق واستولت عليه، في ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨ م ولا تزال معروفة لدينا، ووقائعها باقية إلى أيام نادر شاه لما قامت به من حروب ومناضلات بينها وبين الدولة العثمانية في التنازع على السلطة في العراق بصورة متوالية وكانت مؤلمة جداً مما دعى أن يقول العوام في أغانيهم (بين العجم والروم بلوى ابتلينا) وهذه وإن كان موردها غرامياً تعني التألم والتوجع مما جرى فقد احترق الأهلون بين نيران الاثنين المتحاربين.

ولو لم يقولوا شيئاً فإن ذكرى الحوادث مما يحزن ويستدعي الكره لهذه الحالة فالمتغلب منهما يحاول القضاء على كل نزعة لمخالفه ويسعى لتدميرها واستئصالها والآخر يراعي عين العملية بلا رحمة ولا شفقة... فكأن القوم لا هم لهم غير اجتثاث ما من شأنه أن يبقى أثراً للآخر... وكل يعلن نصرته للدين، وانتصاره لجماعته المتقين... والسياسة أصل الفعل، تقمصت بقميصه، وظهرت بمظهره...

والمغفلون يعتقدون صحة ما ذهب إليه كلٌّ فيجري المفعول بلا شفقة ولا رحمة.. ولا تسل عما أصاب من هلاك في النفوس وتدمير في الأموال، أو في العلوم والآثار، أو في الثقافة.. والواحد لا يترك أثراً للآخر، أو علاقة إلا أتى عليها فلم يجد العراق من راحة أو هناء، ولا طمأنينة وسكون.. يخرجون من حادث ليترقبوا آخر، فالمصائب تترى، والوضع غامض، لا يعرف القوم مصيرهم، ولا ماذا سيحل بهم.. وسيأتي ما يبصر بهذا من وقائع مثبتة، وحوادث مزعجة لا تقف عند هذا العهد وإنما تمتد إلى ما بعده.. وإن خيرات البلاد مكنت الناس من المقاومة نوعاً ما وحافظت على البقاء.

وفي هذا الدور الوثائق قليلة جداً من ناحية التعريف بالمحيط، والاطلاع على أحواله الخاصة ووقائعه الصحيحة.. وما وصل إلينا غالبه جاء من طريق الحكومات المسيطرة وفيه ترويج سياستهم ومراعاة وجهة نظرهم وخطتهم في فتوحهم وإدارتهم.

ومن مقارنة النصوص تتوضح لنا الحالة وتبدو ناصعة إلا أن ما يهم السياسة مدون، أو ما يتعلق بالحروب مع أعدائهم، أو مع أهل المملكة معروف. وما سواه مما يميط اللثام عن الشعوب ومكانتها، أو علومها وآثارها، أو علاقتها الاعتيادية.. لا يزال في خفاء وغموض أو قليل التمحيص والتنقيب.. وقد استنطقنا مؤرخين عديدين لنستخلص ما يجب الوقوف عليه لجلاء الغامض..

حوادث سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م

فتح بغداد:

استولى الشاه إسماعيل على بغداد بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية ٩١٤هـ وقد ذكرنا حادث دخوله فلزم أن نعين أصل هذه الحكومة وتكونها...

أصل الصفوية إلى توليها الحكومة:

هذه الحكومة ليس لها ماض في الحكم والإدارة، وإنما كانت معروفة بتصوفها ومؤسسها فاتح بغداد الشاه إسماعيل ابن السلطان جنيد ابن الشيخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ خواجة علي ابن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفي الدين أبي إسحاق ابن الشيخ أمين الدين جبرئيل بن الشيخ صالح ابن الشيخ قطب الدين ابن صلاح الدين رشيد بن محمد الحافظ بن عوض الخاص بن فيروز شاه زرين كلاه بن محمد بن شرف شاه بن محمد بن حسن بن محمد بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الأعرابي بن أبي محمد القاسم بن أبي القاسم حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. هكذا ساق نسبه صاحب لب التواريخ وقد رأينا الإيرانيين اليوم يبرهنون بأدلة كثيرة على أن الصفويين لم يكونوا سادة[1]... وهكذا وجدنا الدكتور رضا نور صاحب (تاريخ الترك) يعين أنهم من الترك، ويستدل بأنه رأى ديواناً لشاه إسماعيل باللغة التركية ومنه نسخة في استانبول وأخرى في طهران وأقول إنه يلقب نفسه في شعره بخطائي ولعل استدلاله مبني على أنه من الخطا... وإلا فالتركية لا تعني بطلان السيادة. وديوانه معروف ولكن هؤلاء لم يعينوا المراجع القطعية في تحقيق نسب هؤلاء ولم يبرهنوا على صحة نسب آخر يؤيد بوثائق معتبرة ولا يهم هذا كثيراً في نظرنا فقد قاموا بما قاموا به وصاروا في عداد دول إيران والعراق... وليكن الشاه إسماعيل مبدأ نسبه، ومؤسس دولته... توسل اعداؤهم بشتى الوسائل للطعن في نسبهم[2].

ومهما يكن فإن هذه الحكومة نهضت من سجادة الإرشاد إلى

---

(١) آينده مجلة فارسية في مقالة منها تذكر ذلك تحت عنوان (صفويها سيد نيست).

(٢) كلشن خلفا ص٥٥ ـ ٢.

كرسي السلطنة من طريق التصوف واستهواء الناس من ناحية الدين باتخاذ المريدين وتشكيل جيش منهم... وليس هذا بالمستبعد ولا بالغريب في وقائع التاريخ وماضيهم الإرشادي هو أن بعض هؤلاء قد اشتهر بسلوكه المقبول ونال مكانة محترمة أعني به الشيخ صفي الدين الجد الأعلى كان درويشاً صوفياً، ملازماً تكيته في أردبيل وقد تلقى الطريقة بوسائط عن الإمام الغزالي ولما توفي خلفه في إرشاده ابنه صدر الدين وبعده ابنه الشيخ علي في تلقين الطريقة وبوفاته جاءت النوبة إلى الشيخ إبراهيم فصار صاحب الإرشاد وخلفه في المشيخة ابنه الشيخ جنيد... وهذا كثر مريدوه وذاع صيته وتزايدت شهرته في أنحاء إيران... أيام السلطان جهان شاه من ملوك قراقوينلو.

ولما علم الأمير جهان شاه أنهم قد توسعوا إلى هذا الحد أَوْجَسَ منهم خيفة وحاذر أن يخرجوا عليه فأمر بطردهم من أردبيل سواء المرشد منهم والمسترشد، فأجلاهم جميعاً. فوردوا ديار بكر فرحب بهم حاكمها آنئذ (حسن الطويل) من آق قوينلو وتلقاهم بالإكرام الزائد على خلاف ما قام به الأمير جهان شاه ولم يكتف بذلك بل زوج أخته خديجة بيكم من الشيخ جنيد وابنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد فنالوا رعاية واعتباراً...

إلا أنهم لم يطل أمد بقائهم كثيراً، دعاهم حب الوطن فلم يطيقوا صبراً على الإقامة، فعاد الشيخ جنيد إلى أطراف أردبيل ورحل إلى تلك الأنحاء. ولكنه لما كان صهراً لحسن الطويل علا مكانه وارتفعت منزلته وكبر جاهه...

ومن حليمة بيكم هذه ولد الشاه إسماعيل بتاريخ (٨٩٠ هـ) وقال في جامع السير ولد سنة ٨٩٢ هـ وإن الشيخ جنيد أيضاً توفي فقام الشيخ حيدر مقام والده. وهذا جعل مريديه صنفاً خاصاً ووضع لهم كسوة رأس

ليمتازوا عن سائر الناس فكانت علامتهم لبس (التاج الأحمر) من الجوخ وفيه اثنا عشر لوناً على عدد الأئمة الاثني عشر. ومن ثم سموا بين الناس بحمر الرؤوس (قزلباش)[1]. فكان شعارهم الذي يعرفون به عند الترك وغيرهم.

وأثر ذلك توجه المريدون إلى دربند شيروان بقصد غزو بلاد الكرج ولكن حاكم شيروان وهو شيروان شاه مانعهم واشتبك في القتال معهم فلم يدعهم يدخلون بلاده ودام النزاع بينهما. وفي المنتهى تقاتلوا في أنحاء المنزل و(طبرستان) فسقط الشيخ حيدر قتيلاً في المعمعة. ومن نجا من مريديه بايع ولده الشيخ علياً في أردبيل وصاروا يحرضونه على الانتقام وأخذ الثأر...

أنهي هذا الخبر من جانب ميرانشاه إلى السلطان يعقوب فأوجس خيفة وصار في ريب من أمر هؤلاء ورأى أن رفع غائلتهم أمر ضروري ولذا أمر سليمان بيك فقتل الشيخ علياً وجاء برأسه وأمر أيضاً أن يقتل باقي أولاده إلا أن أخت حسن الطويل عارضت في ذلك ومنعت من إيصال الأذى بهم فاكتفى بحبسهم في اصطخر (وفي جامع السير في قهقهة) مع خديجة بيكم.

وبعد أن توفي السلطان يعقوب حدث نزاع على السلطنة بين ابنه بايسنقر ومسيح ميرزا وأن أتباع السلطان يعقوب انقسموا إلى قسمين كل فريق مال إلى واحد من المطالبين بالسلطنة. وفي هذه الحروب قتل مسيح واستقل بايسنقر بالسلطنة، إلا أن محمود بيك بن أوغورلو محمد بن حسن الطويل من أتباع مسيح قد هرب إلى جهة بغداد وكان الحاكم فيها شاه علي باريك. وهذا قد اهتم في إجلاسه على سرير

---

(١) قزلباش لفظة تركية تعني أحمر الرأس.

السلطنة وجهز للمرة الأخرى صوفي خليل بن محمود بيك وشاه علي فتحركوا على بايسنقر وأثاروا الحروب في أنحاء دركزين وفي هذه الحروب قتل كل من محمود بيك وشاه علي ولم تمض مدة حتى قام لمحاربة بايسنقر ابن عمه رستم بن مقصود بن حسن الطويل ونازعه السلطنة حتى تمكن من الاستيلاء على آذربيجان فجعلها منقادة له. ولذا اضطر بايسنقر إلى الفرار إلى حاكم شيروان وهو صهره. ولكن رستم لم يأمن من حركة بايسنقر هذه وحاذر من شاه شيروان أن يمد بايسنقر فأراد إشغاله فأطلق أولاد الشيخ حيدر من سجن اصطخر ليشوشوا عليه إلا أن ذلك قليل الجدوى ولم يفد هذا التدبير فإن بايسنقر تقدم إليه بجيوش جرارة فلم ير بداً من مقارعته. وفي أثناء الحرب معه قتل بايسنقر في ساحة القتال ونال رستم ما كان يأمله ومن ثم أكرم أولاد الشيخ حيدر وأرسلهم إلى أردبيل. وبهذه الصورة نال أبناء الشيخ حيدر لطفاً من رستم[1].

وفي حدود سنة ٨٩٨ هـ اختل الأمر وانقلب هذا الحب إلى بغضاء وجفاء فأرسلت الحكومة على الشيخ علي جنداً فقضوا عليه فاضطر كل من ابنيه إبراهيم وإسماعيل أن يفرا إلى أنحاء كيلان بحالة يرثى لها ولم يستقرا إلا في بلدة لاهجان من مضافات كيلان فإنهما قد لاذا بحاكمها كاركيا ميرزا علي فآواهما واحتميا به.

وبعد سنة ضاق صدر إبراهيم من الإقامة في لاهجان فترك التاج الموروث من أبيه وسلمه إلى أخيه إسماعيل وغير لباسه وعمامته وترك أمه وأخاه وتجرد من الكل وعزم على السياحة إلى محل مجهول ولم يعلم ما آل إليه أمره وما وصل إليه حاله ولم يدوّن عنه شيء في كتب التاريخ[2].

---

(١) كلشن خلفا ص٥٥ ـ ٢ ولب التواريخ.

(٢) كلشن خلفا ص٥٤ ـ ٢.

الأسرة الحيدرية في بغداد

من بيوت العلم المعروفة في بغداد، تنتسب إلى إبراهيم أخي الشاه إسماعيل، وكان قد تغيب، وترك الطريقة إلى أخيه، وذهب لحاله، لا يدرى أين طوح به الزمان... وقد عرفنا إبراهيم فصيح الحيدري أنه ذهب إلى ما وراء النهر، وعاش هناك، ومن أحفاده محمد بن حيدر پير الدين ابن الشيخ أمين الدين بن پير الدين بن إبراهيم المذكور كان أول الواردين من وراء النهر إلى العراق، كان يتكلم باللغة التركية الجغطائية، وهذا قد ولد ابنه حيدر في العراق وكان أول أجداده الذين عرفوا به (أسرة الحيدرية). ومن ثم توالى علماؤهم في العراق، واشتهر من بين أفرادها علماء عديدون، منهم صبغة الله الحيدري برز في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وتراجم علمائهم مدونة في كتب عديدة، في سلك الدرر، وفي شمامة العنبر، وفي الروض النضر، ومطلع السعود، وفي عنوان المجد. وكل ما يقال عنهم أنهم خدموا العلم في العراق، وقاموا بالتدريس والتعليم، فبقي لهم الذكر الجميل، وسنعود للموضوع عند الكلام على علمائهم الواحد تلو الآخر... وأرى مكانتهم العلمية فوق النسب، والأسرة يذكر فضلها بما أسدته للمملكة من خدمات صادقة، وثقافة قويمة... وهذه قامت من ذلك بنصيب ونرى معالي داود الحيدري في زمن وفاة والده المرحوم السيد إبراهيم الحيدري قد عين أن أصلهم من الكرد، فلا مانع ولا تضاد في الأمر عاشوا في العراق ببلاد الكرد، ثم مالوا إلى بغداد، فإذا قلنا كرد فذلك صحيح وإذا قلنا بغداديون فلا نعدو شاكلة الصواب... ولا تنكر هذه العلاقات ببغداد والكرد، وغيرها... أعضاء فعالة ونافعة جداً إلى أن تحولت الثقافة في أيامنا هذه. فقد كان الطريق العلمي والديني انتهى بمعالي الشيخ إبراهيم فقد نال مكانة علمية معروفة أيام الترك العثمانيين وفي عهد الحكومة العراقية وسنتعرض لمكانته ومؤلفاته في محلها من كتابنا، واليوم تحولت الثقافة، ومالت الفكرة إلى ثقافة جديدة...

الطريقة الصفوية:

كانت من الطرق المعروفة، ولها منزلة مهمة في قلوب أتباعها، انتشرت انتشاراً هائلاً بين قبائل التركمان، والبلاد التي يقطنونها مثل أذربيجان وبلاد كثيرة... ورأس هذه الطريقة ومؤسسها الذي عرفت به هو الشيخ صفي الدين أبو إسحاق، أحد أجداد الشاه إسماعيل، ومن شيوخ طريقته الشيخ تاج الدين إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة ٧٠٠ هـ في سيارود من كيلان وتتصل طريقته بالغزالي وتنتهي في سلسلة شيوخ هذه الطريقة بالإمام عليﷺ. وكان الشيخ صفي في زمانه قد ولي الإرشاد ونال الموقع اللائق في قلوب المريدين... وعرف بذلك أيام المغول ولهم الاعتقاد التام به، وكثير من أقوامهم ارتدعوا عن إيذاء الخلق، والتجاوز على الناس بسببه كما جاء ذلك في تاريخ كزيدة[1]. وكتب كثيرون في مناقبه، وبيان طريقته ومجاهداته... ومن أهم هذه الكتب وأوسعها كتاب (صفوة الصفا)[2]، وهذا الكتاب سمعت أنه طبع في الهند. ورأيت كتاباً يسمى (المناقب الصفوية) باللغة الإيرانية في التصوف، ولا أدري ما إذا كان عين (صفوة الصفا) أو غيره، وهو في مناقب صفي الدين في مجلد ضخم جداً يطنب في أوصافه وكراماته، وسائر أحواله من ابتدائها إلى انتهاء أيامه، وهو يساعد كثيراً لمعرفة طريقته...

والكتاب في مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٩٩ وأعتقد أن هذا الكتاب فيه كفاية وغناء عن غيره لمعرفة هذه الطريقة. ومع هذا لا تزال معروفة وفيها مدونات ورسائل تعين هذه الطريقة، وتسمى طريقة (شاه صافي)، ومن كتبها التي رأيتها مخطوطة (هداية) و(مرشد) و(ويويرق) و(حسنية)

---

(١) توفي سنة ٧٣٥ هـ.

(٢) لب التواريخ ص٢٣٦ وكلشن خلفا.

مكتوبة باللغة التركية الأذرية[1] مما تيسرت معرفته. وكلها لا تخرج عن مختصرات في التعريف بهذه الطريقة أو بيان مناقب الأئمة ولكنها لا تخلو من غلو أو تغالٍ.

توفي رأس هذه الطريقة الشيخ صفي الدين في ١٢ المحرم سنة ٧٣٥ هـ في أردبيل ودفن بدار الإرشاد التي قام بتأسيسها ابنه الشيخ صدر الدين موسى. وإن الشاه إسماعيل هو ابن حيدر بن جنيد بن إبراهيم ابن الشيخ علي ابن الشيخ صدر الدين موسى المذكور.

والملحوظ هنا أن أصحاب هذه الطريقة والمنتسبين إليها قد تفادوا في سبيل نصرة مرشديهم وأولادهم حتى نالهم ما نالهم في حبهم، لحد أن قسماً كبيراً منهم تجاوز في الحب، وغلا في الاتباع... ولا أمضي دون أن أذكر بعض النصوص لتعرف درجة ما ساقت الحزبية إليه، وما أدت المفاداة بسببها... فصار ينعت صنف من الناس من أصحاب هذه الطريقة (بالقزلباشية)، ويقولون بمراعاة هذه الطريقة بحيث صاروا اليوم لا يعلمون من العقائد والدين سوى ظواهر الطريقة، ودخلهم الغلو، وتجاوزوا حدود الشريعة بل أهملوها، وظنوا النجاح في الدار الآخرة في اتباع مراسم هذه الطريقة وأنه كاف وواف بالغرض، بل صار يقطع في أنه الموصل إلى النجاة...

خلفه في الإرشاد ابنه صدر الدين موسى وهكذا توالوا في طريق الإرشاد إلا أن هؤلاء قد دخلتهم أفكار جديدة أيام الشيخ جنيد، فقد كان هذا يحمل فكرة السلطنة والتسلط استفادة من نفوذه الديني ومكانته في المشيخة من مريديه وأتباعه.. ولما شعر جهان شاه بذلك طرده وأتباعه من مملكته، فذهبوا إلى حلب، ثم إلى ديار بكر وهنا نالوا

(١) من هذه المخطوطات حسنية كتبت بالعربية وترجمت إلى الفارسية والتركية وعندي نسخها المخطوطة.

احتراماً من حسن الطويل، فأكرمهم وأعزهم... وتصاهر معهم، فنالوا مكاناً أكبر.. وذلك للخلاف بين جهان شاه والسلطان حسن الطويل، فأراد أن يستفيد من مريديه[1]..

وكان الشيخ جنيد أيام وجوده في أنحاء حلب ـ على ما جاء في كنوز الذهب[2] ـ يرمى بأنه شعشاعي المذهب (كذا. والصواب مشعشع)، وأنه تارك للجماعة، ونسبت إليه أشياء أخرى... وقد سكن كلز (كلس) وبنى فيها مسجداً وحماماً. وللناس فيه اعتقاد عظيم بسبب أبيه وجده، ويأتمرون بأمره ولا يغفلون عن خدمته، ويثابرون على لزوم بابه، ويأتيه الناس من الروم والعجم وسائر البلاد، ويأتيه الفتوح الكثير. ثم سكن جبل موسى عند أنطاكية هو وجماعته وبنى به مساكن من خشب. وفي الجملة كان على طريق الملوك لا على طريق القوم.

وإن ما نسب إليه دعا أن خرج إليه الناس إلى الجبل، فاقتتلوا، وأسفرت الوقعة عن قتلى من الفريقين، فانسحب من الجبل إلى جهة بلاد العجم وأقام هناك ثم خرج على بعض ملوكها فقتل. (وأراد هنا (بالشعشاعي) محمد بن فلاح الذي ظهر بالجزائر) وقتل الناس وحملهم على الرفض وترك الجماعات ونكاح المحارم ويعرف بالشعشاع[3].

---

(١) لب التواريخ ص٢٣٨.

(٢) كنوز الذهب مخطوط منه نسخة في مكتبة أحمد تيمور باشا وجزء في مكتبة كامل الغزي وهو ذيل در الحبب تأليف الشيخ الإمام المحدث موفق الدين أبي ذر أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي وتوفي سنة ٨٨٤ هـ بحلب ويعد من معاصري الشيخ جنيد (راجع أعلام النبلاء).

(٣) أعلام النبلاء بتاريخ الشهباء ج٣ ص٥٦ والتفصيل هناك نقلاً عن كنوز الذهب راجع وصفه في ج١ ص٢٦ وج٣ ص٩ وفيه بحث مهم عن نسيمي راجع ج٣ ص١٥.

وقد مرّ ذكر الشيخ جنيد وأخلافه، ومن هنا علمنا أن فكرة السلطنة تولدت من هذا التاريخ ومن النصوص التالية ما يتوضح أن الغلو حصل من الأتباع، وكان الشاه إسماعيل لم يرض به... وفي (تاريخ عاشق باشا زاده)[١] كلام لبعض رجاله مما يدل على الغلو فيه... في حين أنه حارب الغلاة مثل المولى المشعشع وسنتعرض لترجمته في تاريخ وفاته، ونعين ما قيل فيه...

وكل ما نقوله هنا أن هذه الطريقة تصوفية في أصلها، وتعدّ الأئمة الاثني عشر رجال طريقتها وأولهم الإمام عليعليه السلام. وأهلها يسمون بـ(القزلباشية). وهؤلاء منتشرون في العراق وغيره ودخلهم الغلو ولا سبب له إلا دخول المبالغات في أشعار المدح للآل، ثم انتشار شعر الغلاة فتمكنوا في الغلو، وهم الآن بعيدون عن عقائد المسلمين وفروضها الدينية، ودخلتهم فكرات غريبة من هؤلاء الغلاة. وقد فصلنا هذه الطريقة في رسالة على حدة تعين أوضاعها ومختلف تطوراتها.

الشاه إسماعيل:

وهذا أقام مدة في لاهجان وتربى هناك، تلقن مذهب الشيعة وبالرغم من صغر سنه حول وجهته نحو أردبيل فكون جيشاً من مريدي أبيه وجده هناك. وبقي في أردبيل وآذربيجان مدة...

وفي حدود سنة ٩٠٥ هـ جمع من العساكر ما كان يأمله وتوجه نحو شيروان فسقى حاكمها كأس المنون فانتقم للشيخ حيدر. وكان ألوند يحرق الأرم على الشاه إسماعيل، وكان يخشى أن يبطش به فاستعد لحربه في صحراء نخجوان، وفي هذه الأثناء علم الشاه إسماعيل بما دبر عليه فتوجه إلى تلك الناحية وعند اشتداد المعركة لوى ألوند عنان فرسه

---

(١) تاريخ عاشق باشا زاده ص٢٦٦ وما يليها.

إلى جهة آذربيجان وفرّ وأصابت جيوشه كسرة هائلة لا رجعة وراءها.

وفي سنة ٩٠٦ وجه عزمه نحو تبريز فافتتحها بلا منازع فجلس على سرير السلطنة وهناك أكمل قواه وأبدل الخرقة والتاج بالحرير والديباج...

أما ألوند فإنه حاول أن يجمع شمله ويجهز جيوشاً من آذربيجان لمناضلة الشاه مرة أخرى فنهض هذا لمقارعته فلم يطق ألوند المقاومة ففر إلى بغداد ومنها إلى ديار بكر وهناك توفي وقد أوضحت وقائعه...

وبعد أن قضى الشاه إسماعيل على آمال ألوند وأزال غائلته تماماً خلال سنة ٩٠٧ لم يبق له معارض فوجه عزمه إلى همذان للقضاء على قوة السلطان مراد بن يعقوب.

وقد ترتبت الصفوف قرب همذان وتقارعت الجيوش وفي المعركة لم يطق السلطان مراد المقاومة ففر من ساحة القتال واختفى. وبهذهِ الصورة نال الشاه إسماعيل مملكة فارس بلا عناء. ثم استولى على كاشان وأكثر بلادالعجم ونصب فيها حكاماً ونواباً عنه.

وفي حدود سنة ٩٠٨ هـ استولى على كيلان وفي سنة ٩٠٩ هـ جاء إلى آذربيجان بقصد الحصول على مريدين كثيرين. وفي سنة ٩١٢ هـ كان السلطان مراد قد فر من ميدان المعركة وتوجه إلى بغداد وبعد أن استراح مدة قليلة سار إلى دلغادر (ذي القدرية) جاء إلى حاكمها علاء الدولة والتجأ إليه بأمل أن ينال مرغوبه وقد صاهره. أما علاء الدولة فقد جمع جيوشاً كثيرة ومضى نحو ديار بكر وقد انتزع بعض قلاعها. فسمع الشاه فوافاه نحو البستان فتقابل الجمعان في ساحل النهر فدام الحرب بينهما لمدة يومين وفي اليوم الثالث بعد العصر ولى جيش دلغادر (القدرية) الأدبار وانتصر عليهم القزلباشية.

ومن ثم استولى الشاه على ديار بكر وأودع أمر إدارتها إلى محمد خان الاستاجلو.

وفي هذا التاريخ ولي بغداد السلطان يعقوب بعد أن تركها السلطان مراد وفي زمانه كان الوالي عليها باريك البايندري فإنها بقيت في حكمه إلى أن استولى عليها شاه إسماعيل سنة ٩١٤ هـ بواسطة قائده لالا حسين فافتتحها وأن باريك فرّ إلى حلب فاستقرت بغداد لحكم لالا.

وعقب ذلك جاء الشاه إلى بغداد وخرب مشاهد الأئمة والمشايخ وقتل الكثير من أهل السنة. وبعد ذلك ذهب لزيارة مشهد الحسين، ومشهد الإمام علي عليه السلام.

وقد مر ذكر النهر الذي حفره عطا ملك الجويني وأجرى ماءه إلى النجف فيما سبق. ولكن النهر قد اندرس بمرور الأيام وتخرب فلم يصل ماؤه. ولذا أمر الشاه بتجديد حفره وإتمامه فاشتهر (بنهر الشاه) وأرصد ريعه لخدام المشهدين الشريفين وقفاً عليهم. وكذا باشر تعمير مشهد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في هذا التاريخ وأحال ذلك إلى أمير الديوان (خادم بيك). وحينئذ عاد إلى إيران[1]. كذا في كلشن خلفا.

وقد نقل نصوصاً أخرى عن كتاب (جامع السير) لا يخرج عما تقدم ولم يفصل حادث بغداد بأزيد مما ذكره سائر المؤرخين ولعل الاختصار الذي التزمه حال دون البيان. . .

تفصيل حادثة بغداد:

قص علينا صاحب حبيب السير أن الشاه إسماعيل أثر استيلائه على كيلان سمع أن السلطان مراد من ملوك آق قوينلو لم يستقر في بغداد ولحق بعلاء الدولة ملك ذي القدرية (دلغادر) وهذا زوج ابنته من السلطان مراد. فاتفقا على مقارعة الشاه ولزوم مناضلته فتوجها بجيش جرار لتسخير ديار بكر فاشتعلت نيران الفتنة في تلك الديار واضطرب

---

(١) كلشن خلفا.

الأمن... وعلى هذا جهز الشاه جيشاً لجباً للقضاء عليهم وجعل وجهته آذربيجان. ولما علم علاء الدولة بذلك انسحب من تلك الأنحاء ومن ديار بكر فاستولى الشاه عليها ومزق جيش علاء الدولة وعين محمد بيك استاجلو حاكماً على تلك الأنحاء. فانهزم علاء الدولة إلى البستان ورجع الشاه إلى مدينة خوي.

ثم إن علاء الدولة نهض مرة أخرى إلا أن محمد بيك استاجلو انتصر عليه وفرق جيشه وهرب هو إلى ديار الروم (الأناضول). وكانت لعلاء الدولة غضاضة مع سلطان الروم. وهذا أرسل عليه جيشاً فقتله.

وفي خريف سنة ٩١٤ هـ كان الشاه في همذان. وكان حاكم بغداد (باريك) وهذا بقيت بغداد بيده وكان المتولي عليها بعد ذهاب السلطان مراد ولحوقه بعلاء الدولة... وهذا الوالي كان شجاعاً، ينزع إلى السلطنة والاستقلال في بغداد ولم يخضع لنفوذ الشاه...

أما الشاه فإنه فكر في أمر تسخير بغداد وأرسل لهذه المهمة أحد قواده المشهورين خليل بيك (يساول) وهو من متميزي رجاله والمعترف بمقدرته فانتدبه ووجه به إلى بغداد بصفة رسول...

ولما علم صاحب بغداد بقدوم رسول الشاه أرسل جماعة من خيرة رجاله فاستقبلوه في غاية الاحترام والأبهة وجاؤوا به إلى بغداد فاجتمع بالوالي (باريك) في بستان پير بوداق وأدى الوالي مراسم التبجيل والترحيب للسفير المومأ إليه وأظهر الخضوع والانقياد للشاه وأرسل أحد أمرائه وهو أبو إسحاق الدباس (السيره جي) فذهب هذا مع خليل بيك الرسول إلى الشاه فجاؤوه في همذان فقدم أبو إسحاق واجب الإخلاص مع الهدايا من سيده لجانب الشاه...

ولما كان الشاه يأمل أن يأتي باريك بنفسه لم يلتفت إلى الهدايا وأبدى لأبي إسحاق لطفاً وكرماً وأذن له بالانصراف وأن يبلغ سيده بأن الشاه في

غنى عن هداياه وإنما كان يأمل أن يأتي بنفسه ويظهر طاعته فإن فعل نال كل عطف، وإن أبى وتوسل بالخداع فسينال جزاءه. فانصرف أبو إسحاق راجعاً من جانب الشاه. واجتمع بباريك وعرض عليه مطالب الشاه.

أما باريك فإنه أبدى ظاهراً طاعته للشاه. وبعد مدة أخذ يعد القوة ويستعد للطوارىء ببناء القلاع وجمع المؤونة. وضرب على الأهلين ضرائب ثقيلة في بغداد وحواليها وأخذ ما عندهم من حبوب وأطعمة (شعير وحنطة) وكانت هذه تكفي لإعاشة جيشه لمدة ثلاث سنوات.

وكان من أشراف بغداد آنئذ نقيبها (نقيب النجف) السيد محمد كمونة وكان قد ورث هذا المقام الجليل أباً عن جد. وكان متهماً بإخلاصه للشاه وتحزبه له. فأمر باريك بالقبض عليه وزجه في جب مظلم...

أما الشاه فإنه لما انصرف منه أبو إسحاق الدباس عزم على فتح بغداد. وعين لهذه المهمة أحد قواده حسين بك لالا (لاله) فجعله مقدماً على جيش كبير ثم تحرك هو متأخراً عنه ولما سمع باريك اضطرب أمره ولم يقر له قرار ففضل الفرار على الكفاح وعبر على ظهر جواده من جسر بغداد ليلاً وتوجه إلى مدينة حلب.

وعند الصباح اجتمع الأهلون ببغداد وجاؤوا إلى الجب الذي سجن فيه السيد محمد كمونة فأخرجوه منه وكان نحيفاً ضعيفاً من ظلمة السجن وسلموا إليه مقاليد الأمور ببغداد وبهذا أبدوا طاعتهم للشاه.

وفي هذه الأثناء ظهرت طلائع الجيش الإيراني. وفي يوم الجمعة قارب الطلائع بساتين بغداد. وقد صعد السيد محمد كمونة المنبر في أول جمعة وخطب خطبة باسم الشاه إسماعيل وأدى كمال الإخلاص والطاعة. وبعد أداء الجمعة ذهب الأهلون إلى خارج المدينة لاستقبال لاله بيك والترحيب به.

أما لاله بيك فإنه راعى غاية التعظيم والتكريم للسيد محمد كمونة وعطف عليه خير عطف. وذهب السيد محمد كمونة وحسين بك لاله معاً إلى الشاه إسماعيل وبشروه بفتح بغداد. وسلمت إدارة المدينة وقيادتها إلى خلفة بيك.

وهذا أمير عادل. أتى بغداد قبل ورود موكب الشاه.

وفي هذه الأيام جاء الشاه إسماعيل إلى بغداد. وقد فرح السواد الأعظم بقدومه وكان ينتظر بفارغ الصبر. وأخذ الأهلون يقدمون القرابين والذبائح إكراماً له واحتفالاً بوروده وبتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ نزل الشاه بستان پير بوداق والتجأ الناس إلى عدله وزاد في رتبة السيد محمد كمونة وأعلى مقامه.

وبذلك تم (فتح بغداد).

ما جرى بعد الفتح:

وفي اليوم التالي ذهب الشاه لزيارة كربلا المشرفة فأدى الزيارة وأنعم على مجاوري الروضة المطهرة بإنعامات جزيلة. وأمر بعمل أنواع الزينة والزركشة الذهبية، وبصنع الصندوق المذهب للحضرة وأن ينقش ببدائع النقوش وقد وقف الشاه في الحضرة ١٢ قنديلاً من ذهب. وفرش رواق الحضرة بأنواع السجاد الثمين واعتكف ليلة هناك.

ثم رجع إلى الحلة. ومنها ذهب إلى النجف الأشرف للزيارة أيضاً. وقدم للحضرة هدايا جزيلة ونوادر فاخرة وأكرم سكان المدينة المشرفة وأنعم عليها بوافر العطايا.

ثم رجع إلى الحلة. ومنها توجه إلى البادية إلى (أعراب غزية) فأخضعهم ورجع إلى بغداد إلى آخر ما مر بيانه...

نصوص موضحة ـ وقعة بغداد:

ولا نمضي دون بيان أعمال الشاه في بغداد ووقعتها ونقدم النصوص فقد جاء في كلشن خلفا:

«في سنة ٩١٤ أرسل الشاه إسماعيل جيوشاً لا تحصى تحت قيادة لاله حسين للاستيلاء على بغداد فهرب باريك منها إلى أنحاء حلب فدخلها اللاله وفي عقبه وافى الشاه وهذا خرب المدينة التي هي مهد مراقد أئمة الدين والمشايخ المصطفين، وقتل في أهل السنة وأتقياء الأمة ومن ثم توجه لزيارة النجف وكربلا وأمر بحفر النهر وتجديده وهو النهر الذي حفره وأتمه عطا ملك إلا أنه بمرور الأيام قد اندثر فجدده الشاه ومن ثم سمي بنهر الشاه ووقف ريعه على خدام المشهدين الشريفين، وفي هذه السنة شرع في بناء حضرة الإمام موسى الكاظم(رض) وفوض حكومة بغداد إلى أمير الديوان خادم بيك وعاد هو إلى إيران...» اهـ[1].

وفي منتخب التواريخ قال:

«وفي سنة ٩١٤ هـ عزم الشاه على السفر إلى عراق العرب وكان والي بغداد آنئذ باريك بيك برناك فلما سمع بورود رايات الشاه فر إلى حدود الروم والشام فافتتحت بغداد وسائر بلاد العراق العربي ودخلت تحت حوزتهم وقضى على الكثير من المخالفين في تلك الديار بسيوف الغزاة فجرت دجلة بدمائهم بدل الماء، وصالت الجيوش العظيمة على أعراب البادية فانتهبوهم وتسلطوا عليهم فحصلوا على غنائم وفيرة وإبل كثيرة لا تعد ولا تحصى، وإن الإيالة والحكومة في العراق العربي دخلت بتوابعها وملحقاتها في حوزة العجم وفوضت إدارتها إلى خادم

---

(١) كلشن خلفا ص٥٥ ـ ٢.

بيك أمير الديوان ولقب هذا بخليفة الخلفاء، وأنقذ السيد محمد كمونة من أكابر السادات والنقباء من الجب الذي كان قد ألقاه فيه باريك بيك برناك ونال توجهاً وإنعاماً وأودعت إليه إدارة بعض الولايات وتولية النجف الأشرف وأحسن إليه بعلم وطبل. وبعد أن استولى الشاه على الديار تشرف بزيارة المشاهد المقدسة لحضرات الأئمة الأطهار... وعين لها حفاظاً ومؤذنين وخداماً وقدم أنواع القناديل من ذهب وفضة والمفروشات اللائقة، والصناديق.. وأنعم بالذهب والفضة على سائر الناس... ثم توجه نحو خوزستان وافتتح تستر والحويزة...» اهـ[1].

وفي تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب السادة الفاطمية الأطهار لابن شدقم ما يؤيد تدوينات مؤرخي الأتراك عن شاه إسماعيل قال ما نصه:

«فتح بغداد وفعل بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نبش موتاهم من القبور. ثم توجه إلى الأهواز وخوزستان وشوشتر ودزفول وقتل من فيهم من المشعشعين والغلاة والنصيرية واستأسر منهم خلقاً كثيراً. ثم في سنة ٩١٤ توجه إلى شيراز... الخ» اهـ[2].

ونظراً لما أصاب الأهلين نرى الأسرة الكيلانية هربت من الجور وتفرقت قال صاحب قلائد الجواهر عن هذه الوقعة وأثرها في النفوس.

«ـ بعد أن عدد ذرية الشيخ عبد القادر ـ قال ـ وببغداد جماعة بمقام الشيخ عبد القادر يدعون أنهم من ذريته. ولهم جاه وحرمة عند الخاص والعام. ولهم رزق ومرتبات برسم الفقراء والمترددين على

---

(١) منتخب التواريخ ص٢١٠.

(٢) تحفة الأزهار ص٢١٧.

الزاوية. ولما ملك بغداد الشاه إسماعيل سلطان العجم خرب الزاوية وشتت شملهم وتفرقوا في البلاد وحضر جماعة منهم أنزلناهم بمنزلنا» إلى آخر ما جاء.

وهؤلاء نددوا طبعاً بحكم الشاه وذموا أفعاله وحكوا ما نالهم وهذا يعد من دواعي غزو بغداد من قبل السلطان سليمان القانوني.

وكذا يقال عما فعله في مشهد الإمام أبي حنيفة رض وانتهاكه حرمة مقابر المسلمين ومشاهدهم مما أدى إلى كرهه أكثر. وإنما فعل ما فعل تقوية لسياسته في حينه[1].

ونحن نقول هنا أن الداعي لهذه الأعمال من تعمير مراقد الأئمةﷺ وتخريب مشاهد الآخرين لا يقصد به إلا تفريق الأمة العراقية وأضعاف قوة مقاومتها ولم يكن غرضه الحرمة الدينية والخير للأمة.

وهنا نرى أن لا معنى لارتكاب فظائع لمجرد المخالفة في العقيدة وسفك هكذا دماء مع الاعتراف بأن العراقيين سلموا له، وأن الأمة تركت السلاح واحتفلت بدخوله. فكان عمله مما لا يأتلف والأخلاق الفاضلة ولا مع روح الإسلام في القرآن الكريم.. ويوضح ذلك بصورة قاسية القتل العام في ذرية خالد بن الوليد(رض) لمجرد انتسابهم إليه دون جريرة ارتكبوها أو مخالفة قاموا بها وذلك عام ٩١١ هـ[2].

ولا يهمنا بيان أمثال هذه بأنواعها والتفصيل عنها مما لا يخص وقائع العراق وفي الإشارة ما يكفي، والعراق ابتلى ببلاء عظيم بين ناري حكومتين تتنازعان السلطة هذا مع العلم بأن العثمانيين راعوا عين الطريقة في القتل والطعن بنسب هؤلاء، أو الفتوى بقتلهم، أو حرق

---

(١) تاريخ بجوي ج١ ص١٨٥.

(٢) منتخب التواريخ ص٢٠٧.

موتاهم بعد نبشهم قبور موتاهم ما عدا الشيخ صفي وما ماثل من الفظائع[1].. فلا يعذر هؤلاء أيضاً سواء كان ذلك بطريق المقابلة بالمثل أو ابتداء إلا أن هؤلاء كانوا أوسع صدراً من غيرهم في الحرية المذهبية.. وأكثر تساهلاً..

والمعروف عن الاثنين الحرب للملك والاستقلال به فاتخذ الدين ذريعة بل آلة للوقيعة بالآخر والقضاء على سطوته فمحا الواحد قوة الآخر إلى أن هلكا معاً.. والعراق ينتصر مرة لهذا وأخرى لذاك، فصار مسرحاً لمطامع الطرفين.

هذا ولم يعلم عن الإدارة وما أجراه الشاه فيها من تغيير في حكومة العراق، ونصب الوالي لا يعني ماهية الإدارة.. فصارت بغداد تابعة لإيران منقادة لها وحال البلاد دول.. كان الأهلون يأملون الراحة ولذا لم يحرك لهم ساكن. ولا ثاروا استفادة من ضعف الحكومة السابقة وهجوم الحكومة الجديدة.. ولا يفسر هذا إلا بما نالهم من ضعف وما أصابهم من قسوة.. فعادوا يخضعون لكل قائم.. ويذعنون لكل ثائر.. ظنوا في هذا خيراً فنالهم منه ما نالهم.

توجه الشاه إلى الحويزة:

قال في حبيب السير: «ثم توجه الشاه إلى جهة الحويزة فالأعراب القاطنون هناك وفي باديتها تسمى إمارتهم بإمارة المشعشع وكانوا قائلين بألوهية علي بن أبي طالب عليه السلام والمنقول عنهم أنهم ـ حين اشتغالهم بالعبادة ـ يرتلون أذكاراً خاصة تجري على ألسنتهم هي (علي الله)[2].

وفي أكثر الأوقات كان يترأسهم سادات يعرفون بالموالي وكان

---

(١) كنه الأخبار ص٦ ركن ثالث جزء ثالث.

(٢) مر البيان عن عقائد العلي اللهية وعلاقة هؤلاء بهم...

رئيسهم أثناء فتح بغداد (السلطان محسن». وعند توجه الشاه إسماعيل إلى جهتهم أتاه خبر وفاة السلطان محسن وجلوس ابنه «السلطان فياض» مكانه.

وكان سلاطينهم يعتقدون بألوهية علي وينادون بنسخ الشريعة المحمدية ويسلكون سبل الضلال.

فلما سمع الشاه بهذا تهيأ لدفعهم وإيصالهم إلى طريق الهداية والصواب، ولما كان الشاه في منتصف الطريق أتاه خبر حاكم لورستان (الملك رستم[1]) أنه لم يذعن بالطاعة فأرسل عليه نجم الدين مسعود وبيرام بيك القرماني وحسين بيك لاله وجهز معهم نحو عشرة آلاف جندي وسيرهم لإخضاعه.

أما هو فتوجه بنفسه إلى الحويزة مقر المشعشع فسمع السلطان فياض أمير آل المشعشع وحينئذ استعد للقتال فرتب الشاه جيوشه إلى ميمنة وميسرة. وصار يقود القلب فوقعت معركة دامية وهائلة أسفرت عن اندحار المشعشعين. وتم الاستيلاء على الحويزة. ونصب الشاه أحد أمرائه حاكماً (لم يسمه) ثم توجه نحو دسفول فأبدى له حاكمها الطاعة وجعل أحد معتمديه هناك فصار حاكماً عليها ثم اكتسح شوشتر، فتم له الاستيلاء على قطر خوزستان جميعه.

وأما الجيوش التي أرسلت لإخضاع (حاكم لرستان) فإنه حين سمع بمجيئهم أحس بضعفه فهرب مع بعض ملازميه وتحصن بجبال منيعة. أما الأمير نجم الدين مسعود فإنه رجع بناء على الأمر الوارد إليه من جانب الشاه واهتم القائدان الآخران في إخضاع حاكم لورستان...

وبعد العناء والجهد الجهيد لم ير بداً من التسليم فسلم نفسه وأتى

---

(١) هو أمير الفيلية.

لجانب الشاه. ولما رأى اضطراب حالته عفا عنه وشمله بلطفه...

وبقي مدة ملازماً الموكب الشاهي إلى أن نال حاكمية لرستان بطريق الوراثة وبذلك أكمل الشاه فتوح هذه النواحي وتوجه إلى شيراز». انتهى[1].

وفاة المولى محسن بن محمد المهدي: (المشعشع)

في أثناء وجود الشاه في بغداد جاءت الأخبار بوفاة المولى محسن المشعشع (سنة ٩١٤ هـ).

وفي آثار الشيعة الإمامية أن المولى محسن توفي عام ٩٠٥ هـ ولم يعين سنداً لهذا القول في حين أن صاحب حبيب السير يذكر أن وفاته حدثت حين فتح بغداد. وقد مضى البحث عن حوادثه مع العراق مفصلاً وما جاء في كتاب آثار الشيعة الإمامية أن صاحب كتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب قدم مؤلفه إليه فغير صحيح لما جاء في مقدمة نفس الكتاب[2].

وقال عنه ابن شدقم: إن المولى محسن ولي بعد أخيه (المولى علي) وكان ذا جأش وقوة، بنى البلدة المعروفة بالمحسنية فسكنها. وهي الآن (عام ١٠٨٣ و١٠٨٥) مسكن نسله وبها حصار مصون تنزله القزلباش من عسكر الشاه سلطان العجم[3]... ونقل عن الشيخ عبد علي بن فياض بن عبد علي عن الشيخ محمد بن يحيى الحلي ما نصه:

«كان بيني وبين المحسن صحبة وعشرة ومودة من الصغر وألفة فأصابني عسر وشدة فمضيت إليه، وتمثلت بين يديه وهو جالس وحوله

---

(١) حبيب السير. وفي تاريخ الفيلية استوفيت الكلام عليه.

(٢) عمدة الطالب.

(٣) تحفة الأزهار ج٣.

جماعة جلوس فسلمت عليهم فلم يجبني أحد منهم قط بسلام ولا أمرت بالجلوس فحزنت لذلك وندمت على فعلي ولم أزل واقفاً على أقدامي... حتى بلغ الديوان ثمانمائة من ولد الشيطان وهو يحدثهم ثم ضربوا بالدفوف، ولم يوقنوا بالمحشر والوقوف، ويضعون سيوفهم في بطونهم وإذا رموها أو غيروها في الشط قالوا لها بسر علي عودي عودي فتعود إليهم. فلم يزالوا هكذا وهكذا حتى أخذتهم سكرة، فلم يزالوا في غفلة إلى أن أتتهم سفرة الطعام فأكلوا وانتشروا عن المحسن وانصرفوا فلم أزل واقفاً انتظر من الله سرعة الفرج وأنا حزين كئيب إذ أتتني أمة وهمزتني من خلفي قائلة لي اتبعني فقلت ما الاسم ومن الطالب فقالت سر وعليك أمان أبي طالب فلزمت أثرها على غير درب معهود وبالصرايف مسدود وهي تشق صريفة بعد أخرى حتى انتهت بي إلى المحسن فرأيته جالساً على سرير ولم يكن عنده مؤانس وبين يديه حوض مأنوس وهو في أثناء خلع الملبوس فقال لي مبتدئاً وعليك السلام يا شيخ محمد بن يحيى تحية الكرام. فقلت وما هذه الحالة المغيرة لتلك الجلالة فقال قف لعلي أتطهر وأخبرك وما يجب لك علي أوفيك فأخذ فوطة واتزر بها ونزل الحوض وتطهر ولبس غير تلك الثياب ثم صلى بتضرع وخشوع فلما كمل صلاته أقبل علي وعانقني وبإزائه أجلسني ولم يزل بالرفق يحدثني وعن الأصحاب يسألني فقلت له ثانياً وعما رأيت منه سائلاً لقد خالفت أسلافك وارتكبت ما نهت عنه أجدادك اخترت الدنيا الدنية ولفظت الآخرة السنية. فقال والله أصبت ومن الخوف منهم وافقت ولو يقع الفرار لفررت وأنا كما روى الحديث من لا تقية له لا إيمان له ثم إنه أمر تلك الأمة أن تحضر معرضاً معلوماً وتأتي بما فيه فمضت عنا هنيهة وأتت بإناء مختوم فأمرها بدفعه إليَّ جميعاً فقال بعد القسم إنه لم يجد من الحلال سواه وهو ثمن النخل الفلاني الذي باعه والده فإنه قد منحني إياه. ثم أمرني بالانصراف وأكد علي عدم البيات خوفاً علي من

هؤلاء الغلاة المنكرين وحدانية الإله سبحانه وأمر الأمة معي بالتسيار بعد مضي نصف النهار فركبت مسرعاً في الحال» ا هـ.

قال: وله من الأولاد: (فلاح)، و(فرج الله)، و(صالح)، و(بدران)، و(داود)، و(حسن)، و(حسين)، و(ناصر)، و(حيدر).

ثم قال وولي بعده ولده فلاح. وهذا قتل أخاه حسناً في حياة والده وانهزم إلى الجزائر وأخذ أهلها وقتل عبادة سنة ٩١٣ هـ. وفي سنة ٩١٤ سار الشاه إلى المشعشعين وقتلهم. ففلاح خلف بدران. وهذا ولي بعد والده ولبدران هذا: (سجاد، وعامر، وهاشم، ومطلب، ومناف).

هذا ملخص ما جاء فيه ولا يطمئن القلب ببياناته وذلك أنه قال في حبيب السير إن الشاه بعد فتح بغداد توجه إلى جهة الحويزة وكانت بيد السيد علي والسيد أيوب أولاد السلطان محسن وذلك بتحريك من مير حاجي محمد وشيخ محمد رعناش اللذين كانا ابني مدرس أولاد السيد محمد فنهض نحوهما، وأن السيد علي كان قد تظاهر بالتشيع ولكن ادخلوا في فكر الشاه أنهما في غلو وإلحاد فقتل الأخوين مع أعيان طائفتهما سنة ٩١٤ المذكورة واستولى الشاه على الحويزة وتستر (شوشتر) وسائر أنحاء خوزستان ودخلت في تصرف رجال دولته وهذا المؤرخ معاصر للصفويين وهو مدون وقائعهم لهذا الحين... ونرى ابن شدقم لم يعدّ هذين الولدين في قائمة أسماء أولاده.

وعلى ما جاء في مجالس المؤمنين أن السيد فلاح ولي الحويزة بعد أن نهض الشاه من تستر إلى فارس فتصرف بالحويزة وأرسل التحف اللائقة لحضرة الشاه وحينئذ فوض إليه إيالة الحويزة...

ويلاحظ هنا أيضاً أن الشيخ علي بن حسن السنباني كان قد شرح قصيدة والده حسن بن علي السنباني بلداً، المالكي مذهباً، الحميري قبيلة التي مدح بها السلطان أيمن بن السلطان الملك عبد الحسين ابن الملك

المحسن ملك الديار الفارسية وصاحب الحويزة والزكية. ومالك الأقاليم المحسنية... وسمى شرح هذه القصيدة (كتاب بغية المفيد وبلغة المستفيد في شرح القصيد) وقال: لما كانت القصيدة التي نظمها سيدي ووالدي... مدح بها سليل الطينة الطيبة الهاشمية... وذكر الملك الآنف الذكر حتى قال: أحببت أن أضع لها شرحاً لطيفاً يوضح من الألفاظ غوامضها... فرغ من تأليفه في ١٧ رمضان لسنة ٩٩٣ هـ ومن بيانه يفهم أن الملك عبد الحسين من أولاد الملك المحسن وهذا لم يعد في قائمة أسماء أولاده الذين ذكرهم ابن شدقم وفي هذا ما يستدرك عليه.. كما أنه قال:

السلطان أيمن هو السلطان الممدوح بالقصيدة... ومسكنه مدينة الحويزة على شاطىء نهر لطيف هناك يقال له شط كارون. وفيما يقابل مدينة الحويزة المذكورة مدينة أخرى يقال لها الحويزة أيضاً تشبه الأولى في الوضع والهيئة بها سلطان يقال له (علي بن بركة) ذو قوة وشدة يعتقد ما تعتقده طائفة المشعشعين من قولهم إن علياً كرم الله وجهه هو الله... إلا أن ابن بركة المذكور ليس بعلوي وتسليمه الأمر للملك أيمن مع أنه أشد منه قوة وأكثر جمعاً إنما هو لكونه علوياً ويشبه أن يكون شريكاً في المدينتين المذكورتين وتوابعهما من القرى والضياع. وأكثر أهل تلك الأرض شيعة كاعتقاد ملكهم أيمن المذكور لا يحبون من الأصحاب العشرة إلا علياً وآل البيت فقط رضوان الله عليهم أجمعين... والموجب لمدحه إنما هو لحسن صنيعه ومعروفه الذي أوصله إلى والدي ولا غرو أن مدح مثله بما هو فيه وإن كان فيه ما فيه...» اهـ.

حوادث سنة ٩١٥ هـ ـ ٩١٩ هـ (١٥٠٩ ـ ١٥١٣ م)

العراق ـ الحالة العامة:

كان الشاه إسماعيل وأمراؤه في حالة غليان ونشوة فتوح وأمل

اكتساح لكافة المعمورة فتراهم في جدال مع المجاورين وحروب لا تنقطع واستيلاء على ممالك وحصول على ظفر إثر ظفر وانتصارات متوالية.. ظن ذلك اعتماداً على قوته وشجاعة رجاله من جهة، ومن جراء إذاعاته عن المذهب الجعفري وتعصبه له من أخرى، فنكل تنكيلاً مرّاً بمن علم منه أنه مخالف له في العقيدة وتجاوز الحد ولم يدر أن الضعف المستولي على الإمارات. وسلوكها الشائن، وملل الناس من الظلم وسوء الإدارة.. هو الذي سهل له مهمته وكاد يربح قضيته لولا طيشه وظلمه ونكايته.. فاشتد الأمر وضاق الحال بالناس، وذلك ما أوجد رد فعل فاستغل العثمانيون هذا الوضع بالانتصار لجماعة السنة وأساساً توغل المذهب الشيعي في الأناضول على يد من يسميه الترك (بشيطان قولي) أي عبد الشيطان والمعروف عند العجم (بشاه قولي) أي عبد الشاه روجه هناك بقسوة.. مما دعا أن يهتم القوم للأمر فيخلعوا سلطانهم السلطان بايزيد ويقيموا ابنه (ياوز سلطان سليم) فيتأهب لحرب الشاه بلا توان ولا تراخ وصار شغله الشاغل.

ذلك ما جعل الشاه أيضاً يهتم للأمر ويجمع أطرافه ويتنصب لمقارعة السلطان والأمر كان دائراً بين أحدهما.. ولم نسمع في خلال هذه المدة سوى الفتوح أو التبدل في الأمراء، أو قتل بعضهم، واكتساح بعض الممالك إلا أن العراق كان هادئاً ولم يستفد من هذا الانشغال وتناطح الحكومتين وتنازعهما السلطة فيما بينهما..

وعلى كل في سنة ٩١٩ هـ ولد للشاه ابن سمي (طهماسب) فأجريت له المراسم والاحتفالات فرحاً بقدومه إلا أن تقدم العثمانيين للقراع وتقربهم للحدود مما نغص هذا الفرح... وحينئذ جمع الشاه أطرافه ودعا قواده وجيوشه وبين هؤلاء والي العراق الملقب (خليفة الخلفاء) ومعه السيد محمد كمونة... وهناك المفاداة وإظهار الإخلاص وصار الناس على أبواب الحرب، وينتظرون الطلقة الأولى.. ولم تكن

للعراق علاقة بها سوى ميل بعض العراقيين لجانب الشاه لا بأمل استقلال العراق وإنما كان بالإخلاص للشاه وإظهار الحب له.. ولم يدخل في فكر العراقي آنئذ حب الاستقلال والنزوع للحكم الذاتي.. والتاريخ في صفحاته يعين أن الأمة متى تفرقت، وتحكمت فيها الطائفية الممقوتة انحل كيانها وأضاعت استقلالها، وفاتتها الفرص. فبينما كان الواجب على العراق أن يتأهب ليوجد له مركزاً ويكون حكومة صار يسير بعض أبنائه لمساعدة الأغيار والتفادي في سبيل مصلحتهم.

وفيات

(قاضي بغداد):

في سنة ٩١٧ تقريباً توفي المولى قوام الدين يوسف العالم الفاضل الشهير (بقاضي بغداد) كان من بلاد العجم من مدينة شيراز وولي قضاء بغداد مدة فلما حدثت فتنة ابن أردبيل (ابن الأردبيلي وهو الشاه إسماعيل) ارتحل إلى ماردين وسكن بها مدة ثم رحل إلى بلاد الروم فأعطاه السلطان أبو يزيد (بايزيد) سلطانية بروسه ثم إحدى الثمانية. وكان عالماً متشرعاً ناقداً وقوراً. صنف شرحاً عظيماً على التجريد وشرحاً على نهج البلاغة وكتاباً جامعاً لمقدمات التفسير وغير ذلك[١].

حوادث سنة ٩٢٠ هـ ـ ١٥١٤ م

وقعة جالديران:

لم يكن للناس حديث سوى التطلع إلى ما سيقع، وما يتولد من النتائج فكانت التأهبات والاستعدادات للحرب بلغت النهاية من الاهتمام.. ولم تمض مدة إلا وجاءت الأخبار بوقوع الحرب في أوائل

(١) الشذرات ج٨ ص٨٥.

شهر رجب من هذه السنة وتمت بانتصار العثمانيين على الصفويين وبهزيمة الشاه من وجه عدوه وقتلة السيد محمد كمونة، ووالي بغداد وأمراء كثيرين ومن العرب نحو عشرة آلاف.. وتفصيل الخبر مدون في أكثر كتب التاريخ ولا يهمنا سوى أن ننظر إلى نتائجه فهو الذي أمن الحاكمية للعثمانيين في الأقطار العربية كسورية ومصر وديار بكر وما والاها وفي الحقيقة هذه الحرب قضت على النفوذ الإيراني وأضعفت شأنه وخيبت آماله حتى أنها من بواعث اختلال إدارة العجم في العراق وتزعزعها إلى أن صارت للعثمانيين. فهي من الحروب الكبرى التي كانت قد ترتبت عليها مقدرات الحكومتين وسميت الوقعة بهذا الاسم لحدوثها في موقع معروف بـ(جالديران) في أنحاء تبريز.. وبعد مدة يسيرة عاد السلطان سليم إلى مملكته بالفوز والنصر.

وفي هذه الحرب استولى السلطان على خزائن الشاه وأمواله وخيمه ونسائه كذا في القرماني[1]. وجاء في تاريخ أحمد راسم أن السلطان استولى على مخيم الشاه وزوجته تاجلي خانم وعلى تخته وخزانته وأخذ أسرى منه كثيرين، وإن هذه الحرب أدت إلى ضبط تبريز وعدا الغنائم التي أخذت اختير من أرباب الصناعة نحو ألف أستاذ سيرهم معززين إلى استانبول[2]...

ثم إن الشاه أرسل هدايا ثمينة مع أربعة من رسله وطلب إطلاق زوجته تاجلي خانم من الأسر ولكن السلطان حبس السفراء، وزوج امرأته من جعفر چلبي قاضي العسكر قال أحمد راسم المؤرخ التركي: وهذه المعاملة غير لائقة جداً[3] وأساساً نرى آمال العثمانيين مصروفة للاستيلاء وحقارة المقابل بكل شدة واستحصال الفتاوي في قتاله

(١) ص٣١٤.
(٢) عثمانلي تاريخي ج١ ص١٩٠.
(٣) ج١ ص١٩٢.

واستباحة حريمه وماله... وسنورد في حينه فتاوي كل جانب من المتقابلين أي أنهم استخدموا الدين وسيلة لأغراضهم وسيروا الفقهاء بمقتضى أهوائهم...

عرش الشاه:

هذا والمظنون أن (عرش الشاه) لا يزال موجوداً في استانبول وفي هذه الأيام عرض في المتحف للمشاهدة سواء للأهلين أو غيرهم... ولم نعثر على نصوص قديمة تؤكد أن للشاه (عرشاً) من بقايا تلك الحرب استولت عليه الحكومة، وقد كتب على بطاقة أن هذا العرش منسوب إلى الشاه إسماعيل وأرى أنه (عرش نادر شاه) والنصوص الواردة في (دوحة الوزراء) تؤيد أنه أهداه نادر شاه إلى السلطان العثماني، وكان نادر شاه قد غنمه من ملوك الهند، ومن المقطوع به أنه من معمولات الهند مما يؤكد وجهة نظرنا وقد ذكر وصفه هناك. بقي ببغداد مدة بعد قتلة نادر شاه... ثم أرسل إلى استانبول.

وفيات

السيد محمد كمونة: (آل كمونة)

في هذه السنة قتل السيد محمد كمونة في واقعة چالديران كما تقدم. واشتهر اسم هذه الأسرة في الأقطار وأخذ يرددها التاريخ فإن السيد محمد رئيس أسرة آل كمونة في وقعة بغداد كان متهماً في الميل إلى الشاه فناله من جراء ذلك حبس وإهانة، من حكومة البايندرية ثم أخرجه أهل بغداد من الحبس عندما رأوا أن حكومتهم ليس لها قدرة الدفاع، وصد الهاجم... فكان ما كان مما مر، والشاه في هذه الحالة أكرمه، وأعزه، وأنعم عليه بإنعامات كبيرة... والأهلون لم تكن فيهم قدرة المقاومة. والملحوظ أنهم رأوا من الحكومة الزائلة ما أضعفهم

وأنهك قواهم، فلم يروا بداً من التسليم...

والحالة التي نعرفها في تلك الأيام أن الأهلين يرون الإذعان للحكومة الإسلامية ضرورياً فلا يسلون السيف في وجه القوي، ولا يدافعون كثيراً ولكن أهل السلطة والحكومة يقومون أحياناً وينازعون أغلبياً... ولم تظهر الحوادث القومية وأمثالها إلا في هذه الأيام فأبدلت تلك بمعاهدات واتفاقات فقللت من الحرص والطمع كثيراً، ووقفت بالحكومات عند آمالها المحدودة لما رأت من تيارات قوية...

وإن السيد محمد آل كمونة من حين ورد الشاه أخلص له الود ورافقه في حروبه، وناصره في السر والعلن... حتى قتل في واقعة چالديران مع من قتل في سنة ٩٢٠ هـ.. وبقي اسم هذه الأسرة معروفاً باسمها الأول، وولي بعض أفرادها النقابة في النجف... وطرأ على رجالها القوة والضعف شأن غيرها، وقد رأيت شجرة النسب، ووثائق عديدة وفرامين وحجج شرعية في مختلف الأزمان تؤكد الاتصال ولا تدع ريباً أو محلاً للتشكيك، فهي أسرة قديمة، حسينية النجار وإن السيد محمد هو ابن حسين بن ناصر الدين بن علي بن حسين بن أبي جعفر الحسين بن منصور بن أبي الفوارس طراد بن شكر الأسود، وهذا الأخير مذكور في عمدة الطالب، وهم بنو كمكمة أولاد شكر الأسود. وجاء ذكر آل كمونة في أحسن التواريخ وفي كلشن خلفاء وكتب عديدة مما لا يسع المقام إيرادها، وسنتعرض لمن عرف منهم، واشتهر بعلم أو جاء ذكره في التاريخ...

ولا تزال هذه الأسرة عامرة لحد الآن وقد أطنب صاحب (ماضي النجف وحاضره)[1] في ذكرها وبين المراجع التي تشير إلى أفرادها،

---

(١) ص٢٢٢ طبع في النجف.

ومن كانت له صلة قرابة بها، ويطول بنا بيان أسماء أفرادهم وتسلسلهم فإنه لا يحتمله هذا المقام ولعلنا نشبع الموضوع أوسع في (بيوتات العراق).

حوادث سنة ٩٢١ هـ - ١٥١٥ م

في العراق:

في هذه السنة أيضاً لم تقع حوادث مهمة وإنما غطت حوادث السنة الماضية على غيرها، وإيران مشغولة في ترتيبات جديدة للم شعثها... والمفهوم أنها أبقت الإدارة كما كانت بأيدي قوامها الذين تركتهم فيها.

الموصل والأنحاء المجاورة:

وفي هذه السنة أحب أهل آمد أن يدخلوا في طاعة السلطان سليم فأخرجوا واليهم المنصوب من سلطان العجم وأرسلوا يطلبون أميراً من السلطان ليكون ولياً عليهم فنصب بيقلو محمد بيك الآمدي وجعله أمير الأمراء فوصل إلى تلك البلاد وقاتل واليها قره خان فانتصر عليه وقتله، ثم إن محمد باشا حاصر مدينة ماردين فافتتحها ثم افتتح بلاد الموصل وعانة وحديثة وهيت وسنجار وحصن كيفا وجمشكز والعمادية وحصن سوران وسائر بلاد الأكراد وعامة جزيرة ابن عمر[١] ومن ثم نرى أوائل العلاقة بين العراق والعثمانيين بعد واقعة چالديران وفي هذه الأيام كان العراق في اضطراب وتشوش... وأن الحكومة التركية أرسلت بيقلو محمد باشا وإدريس البدليسي[٢] نظراً لوقوفه على الأحوال هناك فصادف

(١) قاموس الأعلام والقرماني ص٣١٥.

(٢) تكلمنا عليه في حكومة آق قوينلو.

مشاكل إلا أنه بمغلوبية قرا خان في قوج حصار دخل أمراء الكرد في طاعة السلطان وكذا صارت كركوك في حوزتهم[١].

حوادث سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م

الحالة كما كانت:

لا تزال الحالة على ما هي عليه بل كانت أسوأ فإن الإيرانيين لم ينظموا أمورهم ويقرروا إدارتهم بعد حتى عاد السلطان ياوز وتوجه نحوهم فجعلهم في اضطراب إلا أنه مضى إلى قانصوه الغوري سلطان مصر وسورية والحجاز فاستولى على مملكته وذلك لما علمه من مساعدته للصفويين فقتله وأعلن خلافته...

فقويت آمال السلطان سليم في الأنحاء العربية وما جاورها وتولدت فكرة توحيد الممالك الإسلامية.

حوادث سنة ٩٢٣ - ٩٢٥ هـ
١٥١٧ - ١٥١٩ م

الأوضاع السياسية:

مضت هذه السنين والأوضاع السياسية في العراق مرتبكة والحكومة الإيرانية شغلت بحوادثها مع العثمانيين والحكومات الأخرى المجاورة لها في الأنحاء الشرقية.

حوادث سنة ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م

وفاة السلطان سليم:

وفي هذه السنة توفي السلطان سليم فكان ذلك أكبر خبر سر به

---

(١) أحمد راسم ص١٩٢.

الصفويون لنجاتهم من غوائل كبرى وخلاصهم من خطر عظيم.. وقد استولى على أكثر الممالك التي بيد الشاه إسماعيل كما أنه تولدت فيه فكرة الفتوحات في الممالك الشرقية الإسلامية وتوحيدها... ولم يهم العراق إلا من ناحية الميل إليه والفرح بفتوحه وانتصاراته.

وكل ما يقال عنه أنه قاهر الشاه إسماعيل الذي قتل كثيرين من المسلمين مما دعا أن يقابل في قتل العجم وانتهاك حرمات الكثيرين منهم حتى أنه لم تسلم زوجته من الأسر لما حنق عليه المسلمون وفرحوا بمقابلته بالمثل... وقد قال صاحب الشذرات عنه «إنه في أيامه ـ أيام السلطان سليم ـ ظهر إسماعيل شاه واستولى على سائر ملوك العجم وملك خراسان وآذربيجان وتبريز وبغداد وعراق العجم وقهر ملوكهم وقتل عساكرهم بحيث قتل ما يزيد على ألف ألف وكان عسكره يسجدون له ويأتمرون بأمره وكان يدعي الربوبية وقتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم ونبش قبور المشائخ من أهل السنة وأخرج عظامهم وأحرقها، وكان إذا قتل أميراً أباح زوجته وأمواله لشخص آخر فلما بلغ السلطان سليم ذلك تحركت همته لقتاله وعد ذلك من أفضل الجهاد فالتقى معه بقرب تبريز بعسكر جرار وكانت وقعة عظيمة فانهزم جيش شاه إسماعيل واستولى سليم على خيامه وسائر ما فيها وأعطى الرعية الأمان[1]...» اهـ.

ومثله جاء في كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام وأنه استولى على تبريز وقال:

«أخذ ـ السلطان سليم ـ من أراد منها من الأفاضل المتميزين في الصنائع والفضائل والشعراء الأماثل وساقهم سركناً (جلاء) إلى اصطنبول

---

(١) الشذرات ص١٤٤ ج٨.

(استانبول)[1]... وبوفاته نجوا من أكبر عدو لهم، ولم يدروا أن سليمان أعظم منه، وأنه أتم مشروع والده ونهج نهجه.

حوادث سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م

١ - أحمد البغدادي:

هو شهاب الدين أحمد ابن القاضي علاء الدين علي بن البهاء بن عبد الحميد بن إبراهيم البغدادي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي الإمام العلامة. ولد سنة ٨٧٠ هـ وأخذ العلم عن أبيه وغيره وانتهت إليه رياسة مذهبه وقصد بالفتوى وانتفع الناس به وفوض إليه نيابة القضاء في الدولة العثمانية ثم ترك ذلك وأقبل على العلم والعبادة توفي بدمشق سنة ٩٢٧ هـ[2].

٢ - بدر الدين حسن الفلوجي البغدادي:

هو ابن عيسى بن محمد الفلوجي البغدادي الأصل العالم الحنفي اشتغل قليلاً على الزيني بن العيني واعتنى بالشهادة ثم تركها وحصل دنيا واسعة وولي نظر الماردانية والمرشدية ونزل له أخوه شمس الدين عن تدريسها وعدة مدارس ولم تكن فيه أهلية. مات سنة ٩٢٧ هـ[3].

حوادث سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م

وفاة الشاه إسماعيل: (ترجمته)

تقدم الكلام على حكومته وما جرى للعراق في أيامه وترجمه كثيرون... وهذا قام بيد حديدية وحاول أن يقضي على كافة الحكومات

---

(١) ص١٢٧.

(٢) الشذرات ج٨ ص١٤٩.

(٣) الشذرات ج٨ ص١٥٢.

الإسلامية بما أبداه من شدة... وأعاد للناس ذكرى وقائع تيمور وأمثاله والحكومات كانت مضعضعة الجانب، والأقوام والشعوب منهوكة القوى، تتربص الصيحة لتقوم على حكوماتها وتمد يدها للقائم الثائر، ولا يحتاج الأمر إلى الاهتمام الكبير، ولا إلى تطبيق مناهج مشاهير السفاكين أو مراعاة خططهم في حروبهم. فكان من نتائج هذه المعركة أن خذل ونالته الضربة القوية من يد السلطان سليم العثماني بحيث أضاع رشده، وصار لا يقوى على مجابهته، أو مقابلته. وترك معظم الممالك التي حصل عليها ومن خسائره ذيوع أعماله وتدميراته التي نقلها المؤرخون ونددوا به من أجلها... وبغداد التي سلمت له بالأمس طائعة بلا قيد ولا شرط صارت تضمر السخط عليه لما أصابها من ضيم وتعصب، وصار يلتجيء رجالها إلى البلاد الأخرى وخاصة إلى بلاد العثمانيين شاكين ضيمهم، مستصرخين بهم، راجين النصرة على أيديهم...

قال في كتاب (الأعلام بأعلام بيت الله الحرام):

«قتل خلقاً لا يحصون... وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم في بلاد العجم إلا وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم... وكلما مرّ بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها، وإذا قتل أميراً أباح زوجته وأمواله لشخص آخر...» ا هـ[1].

وعلى كل لا يفسر قيامه بعمل معقول وقد ذكر له هذا التعصب رئيس وزراء إيران سابقاً ذكاء الملك محمد علي فروغي في كتابه تاريخ إيران[2]... ولم ينظر إلى أن المسلم أخو المسلم، ويجب أن تكون

(١) ص١٢٦ تأليف قطب الدين الحنفي طبع بالمطبعة العامرة بمصر سنة ١٣٠٣ هـ.
(٢) بيوك إيران تاريخي المترجم إلى التركية ص٥٤.

العقيدة حرة. فنرى المؤرخين ينقلون القسوة والحيف إلا بعض كتاب العجم من صنائعه... بل نجد بين مؤرخي الإيرانيين من يندد بسياسته ويعدها خرقاء... أوردنا فيما سبق من النصوص ما ينبيء بغروره قبل كسرته، وبذلته بعدها وانهزامه من وجه العثمانيين، ولم يجسر أن يأخذ بحيفه بل قامت عليه مملكته وصار يركن دائماً إلى الانحراف عن وجه عدوه... وهكذا فعل أخلافه من بعده... ولا نطيل في تاريخ حياة الشاه إسماعيل وغاية ما نعلم عنه أنه صوفي الأصل، نشأ نشأة تركية وله ديوان في التركية ومخلصه في أغلب قصائده (خطائي) وفي كشف الظنون ذكر ديوان خطائي وهو ديوانه...

وما قام به العثمانيون من معاملته كان مبناه المقابلة بالمثل وهذا أيضاً لا مبرر له، وفيه غفلة عن قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وقبيل وفاته انتزعت العراق منه فاستقل بها بعض أمرائه للاعتقاد بأن حكومته سائرة للزوال... والإيرانيون يجدون أنه الوحيد الذي جعل كياناً خاصاً لإيران، وقوى آدابها... والحق أنه سعى سعياً بليغاً لاستقلال إيران.

حكومة ذي الفقار

لم يستمر حكم الصفويين في العراق وقد ثار عليهم ثائر قضى على حكومتهم هنا.. وهذا أيضاً لم تلبث حكومته إلا قليلاً فماتت. وذلك أنه في هذه الأيام دارت الدائرة على الحكومة الصفوية... فكانت تستمد من أمرائها في الأطراف وتطلب المعونة منهم بإلحاح لتوقيف الاضطرابات المتوالية، أو الثورات الناشبة عليهم...

ومن أهم الوقائع حادثة ذي الفقار الثائر على حكومة الصفوية وذلك أن أمراء قبيلة موصلو وهم أمير خان وأخوه إبراهيم خان كان لهما ابن أخ هو ذو الفقار بن نخود سلطان. وكان هذا حاد المزاج، حار الطبع إلا أنه مشتهر بالسخاء والشجاعة فمالت إليه القلوب وأحبته. وقد

أعانه بسبب هذا الحب والميل أكراد كلهر[1] فافتتح أكثر بلادهم وصار الكل ينقادون له ولا يقصرون في نصرته!

وإن عمه إبراهيم خان والي بغداد ترك أخاه أمير خان وأولاده وأنسباءه وأعوانه في بغداد وذهب هو إلى الشاه بنحو خمسة آلاف من رجاله... والحاجة إلى مثله كانت شديدة جداً. ولما وصل إلى (ما هي دشت) أغار علاليه ذو الفقار خان بثلثمائة فارس تقريباً وهاجمه بمن معه على غرة فأورده حتفه كما أن أتباعه انقادوا إلى ذي الفقار. وبذلك نال قصده، وخسر الشاه هذه القوة.

وعلى هذا توجه نحو بغداد وضرب خيامه في أطرافها، فأقام بضعة أيام ثم عقد مصالحة فدخلها بتسليمها القياد له. فقضى على حاكمها وهو عمه أمير خان وعلى أولاده فاستقل بها...

وكان فارساً مقداماً كريماً جواداً لا يدانيه أحد، نال شهرة ذائعة وأحبه أكثر الناس وأذعن الكل له بالطاعة فشاع صيته وعلت مكانته في القاصي والداني فبسط بساط العدل والرأفة.

ومع هذا كله كان يشعر بضعف ويخشى صولة العجم عليه وهو في أوائل تأسيس الملك فأراد أن يركن إلى قوة تكفيه الغوائل وعون يعتمده من الطوارق فأول ما قام به أن حبب نفسه للأهلين من جهة تأمين العدل وإبداء اللطف والمكارم فعلقت به القلوب، ومن أخرى ضرب النقود باسم السلطان سليمان القانوني وقرأ الخطبة له وشايعه وأبدى أنه من أتباعه وأرسل إليه سفيراً يعرض له ذلك دون أن يحصل أي نزاع يقتضي ذلك.

---

(١) هؤلاء لا يزالون في شمال لورستان، مجاورون لهم وهم طوائف عظيمة وكبرى لا يقلون عن اللر كثرة ويعدون فرعاً من فروع الكرد الأصلية.

ولما طرق ذلك سمع الشاه طهماسب حرّق عليه الأرم وغضب غضباً شديداً وهاجت نخوته... فتقدم بجيش عظيم سنة ٩٣٦ هـ في تموزها فهاجم بغداد في مدة يسيرة خوفاً من أن يصل إليه المدد من السلطان سليمان فعاجل في الأمر بقصد استخلاصها من ذي الفقار...

قاومه ذو الفقار أشد المقاومة وأظهر من البسالة أكثر مما هو مشهور عنه فصرف كل مجهوداته للنضال وتمكن من صدّ الهجومات وقارع مقارعات عظيمة خارج البلد ولكن السيد محمد كمونة[1] كان يثبط العزائم ويخذل وكاد الشاه يرجع بالخيبة، فلم يطق الحرب في أيام الحر... لولا أن الشاه أطمع إخوة ذي الفقار علي بك وأحمد بك مع آخرين نحو ١٧ فعزموا على قتل ذي الفقار وصاروا يترقبون الفرص للوقيعة به...

ففي بعض الأيام رجع ذو الفقار إلى داره منهوك القوى بقصد أن يستريح فرمى سلاحه وعدته وأراد أن ينام للراحة من العناء وحينئذ هاجمه أخوه علي بك على حين غرة ومعه ثلة فبادروه بالضربات. ولما حاول مقابلتهم فاجأه أخوه الآخر أحمد بك فأخذ بتلابيبه فقضى عليه...

صار لهذه الوقعة رنة سرور وفرح للشاه طهماسب إذ كان الحر اضجره ودعاه أن يرجع لولا هذا الحادث الذي نال به بغيته من أسهل طريق وأكرم ذينك الأخوين على فعلتهما ومنح منشور الولاية (حكومة بغداد) إلى محمد خان تكلوا آل شرف الدين وبرات كركوك إلى صوفيي كلهر، ولواء بندنيج إلى غازي خان ولواء الحلة إلى سيد بك، ولواء واسط والجوازر إلى قانصوه بك، ولواء الرماحية إلى صالح سلطان وصدرت البروات بذلك طبق مراسيمها.

---

(١) الظاهر ابن السيد محمد كمونة لأنه مر بنا أنه قتل في وقعة جالديران...

وحينئذ وبعد أن تم للشاه الأمر ذهب إلى قزوين ورحل عن بغداد.

وبذلك عاد العجم الكرة على العراق فصارت تحت حكمهم...

وعلى كل حال إن هذا يعتبر ثائراً عليهم ومن أمرائهم ولا يعد مالكاً حقيقياً للعراق مهما تعلق العراقيون به، وقد حاول فصل سلطة الإيرانيين عنه وأن يتمكن من الاستقلال بإقناع العثمانيين بالخطبة والسكة وأمثالهما فلم يفلح.

ثم أنه لم تطل مدة حكم الإيرانيين على هذا القطر وإنما تعد ببضع سنوات لا تتجاوز الخمس... أي أنها امتدت إلى سنة ٩٤١ هـ.

وهذا الوالي (حاكم بغداد) هو الذي انتزعت بغداد منه على يد السلطان سليمان خان القانوني ولا يمكن أن يقال عن هذه السنين إلا أيام حروب وأوقات جدال فلا تنتظر إدارة منتظمة وحكومة مدنية معتبرة... فالكل مخرب يحاول النصرة على عدوه، والمسألة بين الحكومتين.

والحاصل أن ذا الفقار ولي بغداد بعد عمه إبراهيم خان موصلو الذي هو آخر ولاة العجم، وبعد أن انقضى تغلبه خلفه (محمد خان تكلو)[1]... وهذا دامت ولايته في بغداد إلى أن جاء السلطان سليمان القانوني... ولا أمل أن نجد وقائع مطردة، وحوادث مرتبة عن مدة مثل هذه والصحيح لم نعثر على مؤرخ عراقي يميط اللثام عما جرى في هذه الأيام من الوقائع على وجه التفصيل.

بصري شطرنجي:

في تاريخ دمشق عن ابن المقار أنه في سنة ٩٣٦ هـ وصل إلى

---

(١) راجع سليمان نامه وأوليا چلبي وكلشن خلفا.

دمشق حماد البصري الأعمى ونزل بالبادرائية وكان بارعاً (يلعب الشطرنج) فتقدم إليه أكابر دمشق ومصر والحجاز ولعبوا معه بعد أن ربطوا عينيه ربطاً محكماً فغلبهم وذكروا أنه يمكن أن يلعب مع خمسة أنفس على خمس رقع انتهى[1] وفي هذا ما يشير إلى أن العراق لم يخل في عصر عن رجال لهم شهرتهم وبعد صيتهم في مختلف المواهب إلا أن الوقائع المؤلمة أنست تثبيت أعمالهم والقوة غالبة عليهم والأطماع شديدة في الاستيلاء...

لم نسمع بعدها عن العراق شيئاً من الوقائع إلى أن انتهى أمد حكومة العجم الصفوية عام ٩٤١ هـ.

ولاة بغداد:

١ ـ خليفة الخلفاء أبو منصور المعروف بخادم بك المتوفى سنة ٩٢٠ هـ.

٢ ـ إبراهيم خان وكان والياً على بغداد فقتله ابن أخيه ذو الفقار.

٣ ـ ذو الفقار. (ثائر).

٤ ـ تكلو محمد خان. وهذا انتزعت منه حكومة بغداد سنة ٩٤١ هـ افتتحها السلطان سليمان القانوني وبعدها انقطع حكم إيران نحو مائة سنة عن العراق... وكانت هذه الحكومة تركمانية في إدارتها وغالب أمرائهم منهم، اشتغلت بحروب كبيرة، وهي في دور التأسيس، وأصابتها صدمات قوية... وعلى رأسها الشاه طهماسب وفي هذه الحالة دام حكمها إلى هذه الأيام وما بعدها.

---

(١) من مقال للأستاذ عيسى إسكندر معلوف.

فتح بغداد:

كان من نتائج سوء الإدارة، وقلة التدبير أن نفرت ممالك كثيرة من الحكومة الصفوية، استنصر بعضهم العثمانيين، ومن بغداد ذهب آخرون إلى استانبول يشكون الحالة.. والآن نورد فتح بغداد مجملاً على أن نعود للتفصيل، ونبين الأوضاع السياسية والحربية، ففي جامع الدول عزم السلطان سليمان على استخلاص بغداد... وادعى سبق اليد، وأمر رئيس العسكر نظام الملك إبراهيم باش أن يشتي في حلب، فإذا ذهبت شدة الشتاء سار هو أيضاً في جيوش كثيرة واجتمع به في حلب، فامتثل الأمر... وفي ١٠ جمادى الآخرة سنة ٩٤٠ هـ وصل حلب.. وإن الشاه أخذ العدة، وتأهب للطوارىء.. ثم توجه السلطان وقطع مراحل في طريقه إلى العراق.. فوصل بغداد، ودخلها في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ وكان النائب بها من قبل الشاه تكلو محمد خان، فلما سمع بوصول العسكر إلى حدود العراق بعث إلى السلطان يقدم له الطاعة، ثم أخذ أمواله وعياله وهرب، فدخل العسكر بغداد.. ثم عاد في ١٨ ذي الحجة ومثله في الجنابي. وفي منشآت فريدون[١]، ومطراقي (بيان منزل العراقين)[٢]، وسليمان نامه تعداد للمنازل التي قطعها السلطان بجيشه كما أن التفصيلات عن مدة إقامته ببغداد، وأعماله فيها مما يتعلق بالجزء التالي، فلا نتعرض لها الآن ونكتفي بهذه الإشارة لضيق المجال.

القبائل التركية والتركمانية

كان الترك في العراق قبل المغول بكثير، دامت علاقتهم، إلا أنهم

---

(١) في منشآت فريدون ج٢ ص١٦ وصل السلطان بغداد في ٢١ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ وفي الجنابي في ٢١ منه.

(٢) مصور، يحكي حركة السلطان، ويعين منازل سفره وهو مهم جداً يأتي الكلام عليه.

عاشوا فيه في كل أحوالهم في قلة حتى في أيام تسلطهم، وفي أيام المغول تكاثر عددهم نوعاً، ومال إلى العراق أقوام وقبائل عديدة منهم بالوجه المشروح، وبمرور الأيام ذابوا في المدن، أو صاروا إلى مواطن القوة، وبعضهم لا يزالون بصورة قبائلية ضئيلة، أو سكنوا قرى خاصة بهم أو مختلطة بغيرهم، ومنهم من كانت لهم مكانة، أو عاشوا مجتمعاً، أو عرفت لهم وقائع في التاريخ:

١ ـ البيات:

وهؤلاء من أقدم القبائل التركمانية، ولهم كيان خاص، وهم مجموعة لا يستهان بها، يقطنون لواء كركوك، وكانوا في لواء وسط، والآن مال قسم كبير منهم إلى المدن، وصاروا في قلة واختلطت بهم عشائر عربية، وهذه أشهر فروعهم:

١ ـ البسطملية. رئيسهم وهب بن محمد أبو زيد، وكاظم بن حبيب. وهؤلاء ترك وأفخاذهم:

(١) ـ المحمودية.

(٢) ـ عز الدينية.

(٣) ـ الليبالي.

٢ ـ پير أحمد. رئيسهم محمد الفرحان، ومحمد بن حمد البكعة. وهم من الأمراء، مختلطون تركاً وعرباً وأفخاذهم:

(١) ـ البو علي الناصر.

(٢) ـ البو خالد.

٣ ـ كله وند. رئيسهم حسن المحمد وعسكر بن بيات. والظاهر أنهم فيهم كرد.

٤ ـ رويزات. رئيسهم حمد بن حمادي. وهم عرب وترك.

٥ ـ إسماعيل بكلية. رئيسهم فارس بك ابن الحاج محمد بك هو رئيس عموم البيات ويزاحمهم البو حسين ويدعون أنهم من طيىء. وهم عرب وترك:

(١) ـ البو عبو.

(٢) ـ البو نجم.

(٣) ـ البو حسين.

(٤) ـ البو حسن. رئيسهم حسين بن حميد القدو.

٦ ـ قره ناز. رئيسهم علي بك ابن هادي بك، ترك.

٧ ـ براوجليه. رئيسهم رضا بن موسى، وسداح بن رضا.

٨ ـ حسن درلية. رئيسهم حسن بن قايه.

٩ ـ الأمرليه. رئيسهم جاسم بن محمود. ونخوتهم (إخوة شاطرة) ويدعون أن أصلهم من (آل مري)، مالوا من واقعة آل مري. ويتكلمون التركية والعربية وفروعهم:

(١) ـ عايشلية.

(٢) ـ كرملية.

(٣) ـ باكرليه.

(٤) ـ زربرليه.

(٥) ـ قلابليه.

١٠ ـ مراد ليه. رئيسهم محمد بن نجم.

١١ ـ دلالوه. رئيسهم محمد الحسون وعزيز بن علي خان.

١٢ ـ البو ولي. رئيسهم طعان بك ابن حبش بك.

١٣ ـ قوشجية. رئيسهم حميد أغا. وآل كنه في بغداد منهم.

(١) ـ الياسات.

(٢) ـ اليلانجية.

(٣) ـ الشوخورتلية. رئيسهم رضا بن يوسف. عرب وترك.

(٤) ـ البو صبحة.

(٥) ـ زنكولية.

١٤ ـ ينكيجة. رئيسهم حميد بن صمد، وعلي كهيه بن أيوب. وهؤلاء مختلطون ترك وكرد (داوده). وسموا باسم المكان.

وهؤلاء ابيات ورد ذكرهم في (ديوان لغات الترك) من فروع أوغز. وبين سمة دوابهم، وفي اللهجة العثمانية لأحمد وفيق باشا أيضاً. وهي منتشرة في العراق وخارجه، ولا يخلو تاريخ تقريباً من التعرض لهم كما أنه جاء عنهم في تاج العروس. وفي أوليا جلبي تعيين لمواطنهم الحالية. ومنهم فضولي الشاعر البغدادي المعروف وفي بستان السياحة بيان لهذه القبيلة في صحيفة ١٧٩ وما جاء في عنوان المجد من أنهم وردوا العراق أيام السلطان مراد فغير صحيح. فهم من أقدم القبائل التركمانية، قطنوا العراق قبل المغول، وكانت مواطنهم في المقاطعة المعروفة بـ(بيات ودليران) التابعة لواسط قديماً.

وفي (فارسنامه) إيضاح عن علاقتهم بـ(الخلج، والزنكنة، وموصلو) وأقوام كثيرة[1]. كما أن صاحب جهانما أورد مكان لوائهم وأنه قرب جنكوله وهو في لواء واسط قديماً...

---

(١) فارسنامة ص٣١٣ وما يليها.

واليوم هم مزيج كما أن لغتهم كذلك. وفي الوقائع التاريخية نتعرض لما يرد ذكره.

٢ ـ قراولوسي:

وهؤلاء قرا أولوس. من قبائل المغول. عاشت قرب مندلي (بندنيجين)، فنسيت لغتها، وعادت الآن لا تعرف أنها تركية. ومن فروعها (قايتول)، (كجيني)، (ونفطجي) وأفخاذ أخرى سنتعرض لها في (عشائر العراق) عند الكلام على العشائر الكردية.

٣ ـ الخلج: (الخلجية):

جاءت بلفظ كلجية[1] وفي جهانكشاي جويني بلفظ (خلجان) وخلج، وهناك يظن أنهم قبيلة من الأتراك فلم يقطع في أصلهم. والنصوص العربية تعين أنهم من العرب كما في لسان العرب وتاج العروس. وجاء في صحائف الأخبار لمنجم باشي ما يؤيد ذلك، اختلطوا بالتتار، وفي قاموس الأعلام ودائرة المعارف الإسلامية ما يعين أنهم نالوا الحكم، وتكون منهم سلاطين في أنحاء الهند بعد أن عاشوا مع الغورية، وعدهم المؤرخ التركي الشهير نجيب عاصم في كتابه تاريخ الترك شعبة من الغورية وبين أن (قال آج، وخولج، وقلج) من أصل واحد وندد بقول منجم باشي[2]. وفي الحلة من الوية بغداد محلة تسمى (كلج) كان يسكنها هؤلاء فسميت باسمهم. والآن لا يعرف لهم وجود في العراق، أو اختلطوا فلم يعد يعرف لهم كيان خاص.

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ والحوادث الجامعة ص٤٦٥ وص٤٦٦.

(٢) صحائف الأخبار ج٢ ص٦٠٥، قاموس الأعلام ص٤١٤٧.

٤ ـ صارلية: (سارلو)

وهؤلاء اضطربت الأقوال فيهم، وهم تركمان. وجاء ذكرهم في دائرة المعارف الإسلامية باعتبار أن ذلك عقيدة. وقيل أصلها (صارت لي الجنة). وهذا غير صحيح قطعاً لأن أصلها (سارلو) (بالسين) قبيلة تركمانية كان لها موقع خاص وذكرت في كتب التاريخ. والآن تعد فرقة من الكاكائية كأنها نحلة من نحلهم، وطريق اشتقاقها المذكور أعلاه غريب. فلا علاقة لأصل اسمها بماهية نحلتها وتلفظ (صاره لو).

والآن تحتوي على عدة قرى تركمانية بين الموصل وأربيل على الجانب الأيمن والأيسر من الزاب الأعلى تابعة ناحية الكوير من لواء إربل وفي مواطن أخرى وهذه أشهر قراهم:

١ ـ دربند سارلو (صاره لو).



٢ ـ وردك.

٣ ـ تل اللبن.



٤ ـ قرقشة.

٥ ـ صفية.

٦ ـ مطراد سارلو (صاره لو).

٧ ـ فتحاوة.

٨ ـ كلك ياسين آغا.

٩ ـ زنكل.

١٠ ـ توله بند.

١١ ـ كنزكان.

١٢ ـ تل الحميد.

١٣ ـ كبرلو.

١٤ ـ خرابه سلطان.

١٥ ـ زاره خاتون.

وقد جاء ذكر قبائل وفروع تنطوي ضمن المذكورين، أو مر القول عنهم.

الحكومات والإمارات المجاورة

وهذه كثيرة لا يسع المقام ذكرها، والمهم ما له علاقة بالعراق. وقد مضى بيان جملة منها وأشهرها:

١ ـ الدولة الغادرية:

إمارة استولت على مرعش وما والاها ودام حكمها إلى ما بعد علاء الدولة، قضت عليها الدولة العثمانية، وأول من عرف منهم ذو القدر زين الدين قراجة ابن ذي الغادر (دلغادر)، وتوالوا إلى أيام علاء الدولة بن سليمان. وهذا قتل كما تقدم، فخلفه علي بيك بن شاهسوار بن علاء الدولة. وفي سنة ٩٢٨ هـ قضى العثمانيون عليه وعلى ابنه سارو أرسلان واستولوا على مملكتهم[١].

٢ ـ القرمانية:

تكونت في أوائل القرن الثامن، وأول أمرائهم قرمان بن نور صوفي، وآخرهم أحمد بيك بن إبراهيم. وهذا انقرضت حكومته على يد العثمانيين سنة ٨٧١ هـ. وأوضح أصلها (تاريخ القرمان) ذكره في جامع الدول قال «ظفرت بتاريخ تركي غليظ التعبير في أحوال القرمانية لشخص

---

(١) قاموس الأعلام والقرماني.

يقال له (شكاري)، ترجمه من منظومة فارسية على أسلوب الشهنامة نظمها (دهاني) في أحوال سلاجقة الروم، ثم ذيلها (أرحاني) في أحوال القرمانية، فترجمها (شكاري)[1] هذا إلى التركية نثراً فقال فيه أن أصل (القرمانية) من طائفة (الغز)، ثم قيل لهم (أغوز)، انتقلت منهم نحو عشرة آلاف بيت إلى الروم من أذربيجان وشروان لما أن تسلط عليهم التاتار، والتجأوا إلى سلطان الوقت من السلاجقة، وصاروا رعية لهم، فأسكنهم السلطان في ثغور بلاد الروم فاختلطوا بالتركمان...

٣ ـ آل المشعشع:

مر الكلام عليهم. والمولى محسن توفي أيام الشاه إسماعيل فخلفه ولداه أيوب وعلي فقتلهما الشاه سنة ٩١٤ هـ، واستناب أحد أمرائه. ولما عاد ولوا عليهم فلاحاً ابن المولى محسن، فأظهر الطاعة للشاه وقبل الالتزام وأداء المال للشاه، وبعد وفاته خلفه ابنه بدران، ثم قام ابنه سجاد. وهذا أطاع الشاه وبذل المال المقطوع. وفي جهان آرا للغفاري انتهى بحوادثهم إلى سنة ٩٧٣ هـ.

٤ ـ حكومة مصر:

وهذه كانت حوادثها متعلقة بحكومات العراق، وذات اتصال بها. ويتلو ما سبق ذكره:

١ ـ الملك المؤيد شيخ (٨١٥ هـ ـ ٨٢٤ هـ).

٢ ـ الملك المظفر أحمد (٨٢٤ هـ ـ ٨٢٤ هـ).

٣ ـ الملك الظاهر ططر (٨٢٤ هـ ـ ٨٢٤ هـ).

---

(١) منه نسخة خطية في استانبول. راجع أيلك متصوفلر للأستاذ الجليل محمد فؤاد الكوبريلي.

٤ ـ الملك الصالح محمد (٨٢٤ هـ ـ ٨٢٥ هـ).

٥ ـ الملك الأشرف برسباي (٨٢٥ هـ ـ ٨٤١ هـ).

٦ ـ الملك العزيز يوسف (٨٤١ هـ ـ ٨٤٢ هـ).

٧ ـ الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ هـ ـ ٨٥٧ هـ).

٨ ـ الملك المنصور عثمان (٨٥٧ هـ ـ ٨٥٧ هـ).

٩ ـ الملك الأشرف إينال (٨٥٧ هـ ـ ٨٦٥ هـ).

١٠ ـ الملك المؤيد أحمد (٨٦٥ هـ ـ ٨٦٥ هـ).

١١ ـ الملك الظاهر خشقدم (٨٦٥ هـ ـ ٨٧٢ هـ).

١٢ ـ الملك الظاهر بلباي (٨٧٢ هـ ـ ٨٧٢ هـ).

١٣ ـ الملك الظاهر تمربغا (٨٧٢ هـ ـ ٨٧٢ هـ).

١٤ ـ الملك الأشرف قايتباي (٨٧٢ هـ ـ ٩٠١ هـ).

١٥ ـ الملك الناصر محمد (٩٠١ هـ ـ ٩٠٤ هـ).

١٦ ـ الملك الظاهر قانصوه (٩٠٤ هـ ـ ٩٠٥ هـ).

١٧ ـ الملك الأشرف جانبلاط (٩٠٥ هـ ـ ٩٠٦ هـ).

١٨ ـ الملك العادل طومانباي (٩٠٦ هـ ـ ٩٠٦ هـ).

١٩ ـ الملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ هـ ـ ض٩٢٢ هـ).

هذا، وقد مر ذكر باقي الحكومات التي له صلة بالعراق رأساً أو بالواسطة.. مثل الدولة الشروانية (الدربندية) وغيرها.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خاتمة الكتاب

هذه الأيام كانت في غاية الاضطراب، والظواهر الثابتة تشير إلى ما وراءها والحكومات المتسلطة على العراق استقرت في البارانية أولاً، والبايندرية ثانياً، ثم الصفوية، وانتهى الحكم بالفتح العثماني، فانقضى هذا العهد ببؤسه، فلم يحصل انقياد لواحد وفي أيام الضعف بدت الحزبيات، واشتعلت نيران الفتن بين الأمراء، فلم يصف الجو ولم يسد الهدوء، وكانوا قوة عظيمة ترهب العدو، فصارت الحوادث تلتهم بسعيرها، وسهل الاستيلاء عليهم، فقامت الدولة الصفوية، وقد مل الناس الحروب، ورأت تسليماً من كل جانب بغية الراحة، ولكنها لم تراع السياسة في تقريب الأقوام، فحصلت النفرة منها...

ذلك ما سهل الفتح العثماني، وكانت الدولة العثمانية من أكبر دول الشرق، وسيأتي من الحوادث ما يبصر بنتائج هذا النزاع بين الدولتين، والآمال حالت دون التفاهم، فكانت القاضية بل السبب الوحيد لتدمير الشرق وجموده وانحلال إدارته...

والعهد المذكور مبدأ الانحطاط، وأول اندثار الثقافة العلمية والأدبية، وضياع القدرة المادية، والمعنوية وانحلال الإدارة مما يستدعي الدراسة، وهي خير عبرة، والانتباه للتوقي من حالات مثل هذه لازم بقدر الإمكان... وقد استفاد الأغيار من هذه الأوضاع فلم نبال بها،

وإنما جابهتنا معضلات لم نأبه لمزاولة حلها أو بالتعبير الأصح فقدنا التفكير فهلكنا . . .

وحياتنا الحقيقية تتوقف على المعرفة، فلا يكفي التألم للمصاب. والله ولي الأمر.



الفهارس العامة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ ـ فهرس الشعوب والقبائل والنحل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

٣ - فهرس المدن والأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤ ـ فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

٥ ـ فهرس الألفاظ الدخيلة والغريبة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٦ ـ فهرس الصور

٧ ـ فهرس الموضوعات

(٢)
الدولة البايندرية (آق قوينلو)

(٣)
الدولة الصفوية



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی